

الإِتِّهَاتِجْ
شَرْحُ
صَحِيحِ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللهُ

لِلشَّيْخِ الْفَاضِلِ
أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَوَارِي (رَحِمَهُ اللهُ)

المجلد الحادي عشر
من كتاب البر والصلة إلى آخر كتاب التوبة

الإِتِّهَاجُ
شَرْحُ
صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِرَبِّ الْجَاهِ



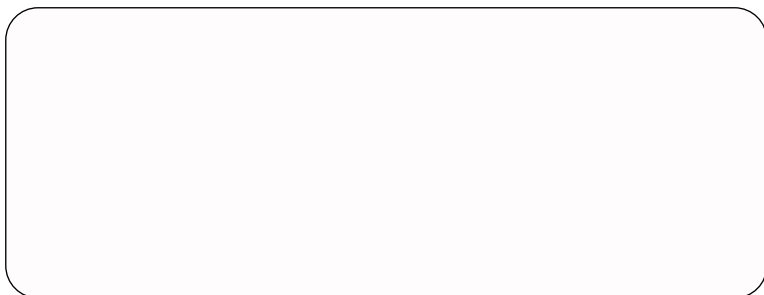
الإِتِّهَاتِج
شَرْح
تَرْجِيحُ مُسْئِلَاتِ الْجَاهِج

المجلد الحادي عشر

من كتاب البر والصلة إلى آخر كتاب التوبة

للشيخ الفاضل

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى الجوزي (رحمته)





الإفتاء شرح صحيح مسلم في الحج

المجلد الحادي عشر

من كتاب البر والصلة إلى آخر كتاب التوبة

للشيخ الفاضل
أبي محمد عبد الحميد بن يحيى المجتري (رحمته)

الطبعة الأولى منبذة ومصححة

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ م

روابط قنوات فضيلة الشيخ على منصات التواصل:

الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ حفظه الله تعالى:

<https://alzokory.com>

✖ A_Alzokorys

▶ <https://www.youtube.com/channel>

📞 <https://chat.watsapp.com/FglUKZ0nwzr5EYaguQttsz>

➦ https://t.me/A_lzokory

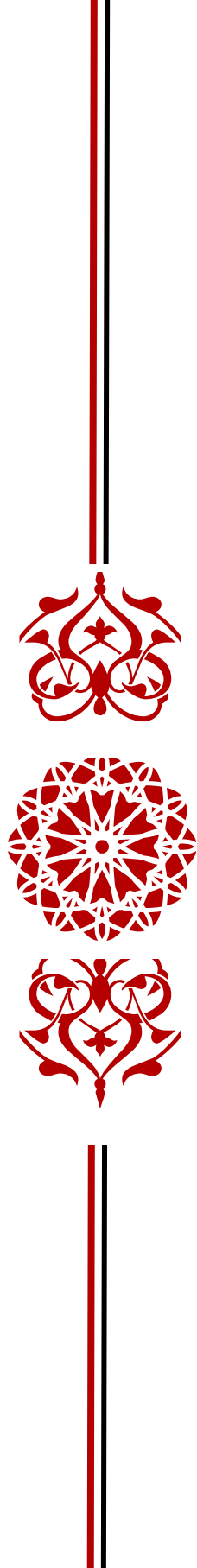
📌 <https://www.facebook.com/649918028352367>

كتاب
البر والصلة والآداب

الإلهام

شرح

صحيح مسلم بن الحجاج



قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْآدَابِ

أولاً: معنى البر إذا انفرد عن التقوى شمل المعنيين البر: فعل المأمور وترك المحذور، وأما إذا اجتمع مع التقوى فالبر: فعل المأمور، والتقوى: اجتناب المحذور. والصلة: ما أمر الله به أن يوصل، كما مدح الله **عَزَّجَلَّ** المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [سورة الرعد: ٢١] سواء من الأرحام أو غير ذلك، فهو معنى عام. والآداب: المقصود بعض الأخلاق الذي يتخلق بها العبد. وهذا الباب قد لا يخلو منه كتاب، وبعضهم يسميه كتاب الأدب، وبعضهم يسميه كتاب الآداب، وبعضهم قد يطلق عليه غير ذلك من الأسماء، كالجامع ويذكرون فيه كثيرا من الأحاديث.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَأَنَّهُمَا أَحَقُّ بِهِ

أنهما حق من غيرهما بالإحسان؛ لفضلهم العظيم، ومنزلتهم الرفيعة، فهما السبب في وجود هذا المخلوق، وكم سهرًا وكم نصبا وكم تعبًا وكم أنفقا وكم حزنًا من أجل هذا العبد! فحقهما الإحسان إليهما كما أحسنا في تربيته، وأحسنا في نفقته، الله **عَزَّجَلَّ** يقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، ولذلك يقول في آيات كثيرات: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وهكذا: ﴿حُسْنًا﴾ [سورة العنكبوت: ٨].

وقد قرن الله **عَزَّجَلَّ** حق الوالدين بحقه في مواطن: ﴿وَعَبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة النساء: ٣٦]، ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، في آيات. إلا أن الإحسان إلى الوالدين مقرون بالمعروف، أي الطاعة في المعروف، وأما الإحسان فهو مطلق، يحسن إليهما وإن كانا كافرين، ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [سورة لقمان: ١٥].

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١ - (٢٥٤٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ جَمِيلٍ بْنُ طَرِيفٍ الثَّقَفِيُّ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقُعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ».

وَفِي حَدِيثِ قُتَيْبَةَ: مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ وَلَمْ يَذْكُرِ النَّاسَ (١).

٢ - (٢٥٤٨) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقُعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: «أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَبُوكَ».

٣ - (٢٥٤٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ عُمَارَةَ وَابْنِ شُبْرَمَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ جَرِيرٍ، وَزَادَ: فَقَالَ: «نَعَمْ وَأَبِيكَ لَتَبَّانَ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٩٧١).

٤- (٢٥٤٨) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ (ح) وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ خِرَاشٍ، حَدَّثَنَا حَبَّانُ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ شُرَيْمَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ فِي حَدِيثِ وَهَيْبٍ: مَنْ أَبْرُ؟ وَفِي حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ: أَيُّ النَّاسِ أَحَقُّ مِنِّي بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ جَرِيرٍ.

وهذا بيان وترتيب للناس من حيث البر، فيبدأ بالأبوين، والأم أحق في البر والأب أحق في الطاعة، ولذلك جاء عن بعضهم: أن أمه أمرته بأمر وأباه أمره بآخر فقال ذلك العالم: أطع أباك وأبر أمك، الطاعة يقدم فيها الأب، والبر تقدم فيها الأم فيحسن إلى الأم، ويتلطف بها، ويراعى جناها، وهكذا الأب يطاع في طاعة الله.

(ثُمَّ أَذْنَاكَ أَذْنَاكَ) كالعم، والخال، والجد والجدة، كل بحسبه، كل له حق، إذ أن هذا الدين دين شمولي، كل يأخذ حقه، ويلزمه أن يعطي الحق الذي عليه.

جاء في رواية زيادة: (نَعَمْ وَأَيْكَ لَتَنْبَأَنَّ) هذه الرواية بعضهم قد قال فيها كما بينا في كتاب الإيمان: أنها شاذة، وبعضهم قال: هي تصحيف من: (نعم والله)، وبعضهم قال: هناك تقدير: (نعم والله ورب أهلك لتنبأن)، والصحيح أن هذه الألفاظ لا يثبت أن النبي ﷺ أقسم بغير الله.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٥- (٢٥٤٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ حَبِيبٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ، عَنْ سُفْيَانَ وَشُعْبَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا حَبِيبٌ، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: «أَحْيٍ وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٠٠٤).

٥ - (٢٥٤٩) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ حَبِيبٍ سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ بِمِثْلِهِ. قَالَ مُسْلِمٌ: أَبُو الْعَبَّاسِ اسْمُهُ السَّائِبُ بْنُ فَرُّوخَ الْمَكِّيُّ.

٦ - (٢٥٤٩) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ بَشْرٍ، عَنْ مِسْعَرٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، (ح) وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَاءَ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُعْفِيُّ، عَنْ زَائِدَةَ كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ جَمِيعًا عَنْ حَبِيبٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلُهُ.

٦ - (٢٥٤٩) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ أَنَّ نَاعِمًا مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ حَدَّثَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَبَايُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ قَالَ: «فَهَلْ مِنْكَ أَلَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ بَلْ كِلَاهُمَا، قَالَ: «فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَارْجِعِي إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَخْسِنِي صُحْبَتَهُمَا».

(سفیان) الثوري.

دليل على تقديم طاعة الوالدين على الجهاد، والمراد به هنا جهاد الطلب، أما جهاد الدفع فإنه واجب على كل مستطيع، ولا يحتاج إلى إذن الوالدين، إذ أن الجهاد يتعين في حالات:

الحالة الأولى: في دفع الكفار ممن استطاع.

الثاني: عند استنفار الإمام.

الثالث: أن يكون من أصحاب الخبرة الذي يحتاج إليه.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَنَقَلَ الْحَارِثُ الْمُحَاسِبِيُّ إِجْمَاعَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ الْأُمَّ تَفْضَلُ فِي الْبِرِّ عَلَى الْأَبِ، وَحَكَى الْقَاضِي عِيَّاضٌ خِلَافًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ الْجُمْهُورُ بِتَفْضِيلِهَا،

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَكُونُ بَرُّهُمَا سَوَاءً، قَالَ: وَنَسَبَ بَعْضُهُمْ هَذَا إِلَى مَالِكٍ، وَالصَّوَابُ الْأَوَّلُ لِصَرِيحِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فِي الْمَعْنَى الْمَذْكُورِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ الْقَاضِي: وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْأُمَّ وَالْأَبَّ أَكْثَرُ حُرْمَةً فِي الْبِرِّ مِمَّنْ سِوَاهُمَا.

قَالَ: وَتَرَدَّدَ بَعْضُهُمْ بَيْنَ الْأَجْدَادِ وَالْإِخْوَةِ لِقَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ»، قَالَ أَصْحَابُنَا: يُسْتَحَبُّ أَنْ تُقَدَّمَ فِي الْبِرِّ الْأُمُّ، ثُمَّ الْأَبُّ، ثُمَّ الْأَوْلَادُ، ثُمَّ الْأَجْدَادُ وَالْجَدَّاتُ، ثُمَّ الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ، ثُمَّ سَائِرُ الْمَحَارِمِ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ كَالْأَعْمَامِ وَالْعَمَّاتِ، وَالْأُخْوَالِ وَالْخَالَاتِ، وَيُقَدَّمُ الْأَقْرَبُ فَلِأَقْرَبُ، وَيُقَدَّمُ مَنْ أَدْلَى بِأَبْوَيْنِ عَلَى مَنْ أَدْلَى بِأَحَدِهِمَا، ثُمَّ بِذِي الرَّحِمِ غَيْرِ الْمَحْرَمِ كَابْنِ الْعَمِّ وَابْنَتِهِ، وَأَوْلَادِ الْأُخْوَالِ وَالْخَالَاتِ وَغَيْرِهِمْ، ثُمَّ بِالْمُصَاهَرَةِ، ثُمَّ بِالْمَوْلَى مِنْ أَعْلَى وَأَسْفَلَ، ثُمَّ الْجَارِ، وَيُقَدَّمُ الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ الدَّارِ عَلَى الْجَارِ، وَكَذَا لَوْ كَانَ الْقَرِيبُ فِي بَلَدٍ آخَرَ قُدِّمَ عَلَى الْجَارِ الْأَجْنَبِيِّ، وَالْحَقُّو الزَّوْجَ وَالزَّوْجَةَ بِالْمَحَارِمِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى الْأَمْرِ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَأَنَّ عُقُوبَهُمَا حَرَامٌ مِنَ الْكِبَائِرِ.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ تَقْدِيمِ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى التَّطَوُّعِ بِالصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا

قَالَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧ - (٢٥٥٠) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ قَالَ: كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمِعَةٍ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ، قَالَ حُمَيْدٌ: فَوَصَفَ لَنَا أَبُو رَافِعٍ صِفَةَ أَبِي هُرَيْرَةَ لِصِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُمُّهُ حِينَ دَعَتْهُ كَيْفَ جَعَلَتْ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ تَدْعُوهُ: فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ كُلَّمَنِي، فَصَادَفْتُهُ يُصَلِّي، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَرَجَعَتْ ثُمَّ عَادَتْ فِي الثَّانِيَةِ، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ فَكُلَّمَنِي، قَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي

فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ وَهُوَ ابْنِي وَإِنِّي كَلَّمْتُهُ، فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي، اللَّهُمَّ فَلَا تُؤْتِهِ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُؤْمِسَاتِ.
قَالَ: وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَفْتَنَ لَفَتَنَ، قَالَ: وَكَانَ رَاعِي ضَّانٍ يَأْوِي إِلَى دَيْرِهِ قَالَ: فَحَرَجَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْقَرْيَةِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي، فَحَمَلَتْ، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقِيلَ لَهَا: مَا هَذَا؟ قَالَتْ: مِنْ صَاحِبِ هَذَا الدَّيْرِ، قَالَ: فَجَاؤُوا بِفُؤُسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ فَنَادَوْهُ، فَصَادَفُوهُ يُصَلِّي فَلَمْ يُكَلِّمَهُمْ، قَالَ: فَأَخَذُوا يَهْدُمُونَ دَيْرَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُ: سَلْ هَذِهِ. قَالَ: فَتَبَسَّسَ ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: أَبِي رَاعِي الضَّانِ، فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ قَالُوا: نَبْنِي مَا هَدَمْنَا مِنْ دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ قَالَ: لَا وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تُرَابًا كَمَا كَانَ، ثُمَّ عَلَاهُ ^(١).

(كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ) وهذا صنيع النصارى، كانوا يلزمون الصوامع ويعتزلون الناس، بخلاف دين الإسلام نهى عن ذلك، نهى عن التبتل، ونهى عن العزلة إلا لحاجة.

والخلطة مع الناس أفضل من العزلة، مع الصبر، وإنكار المنكر، وبذل المعروف.
(كَيْفَ جَعَلْتَ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا) يعني لاتقاء الشمس، هكذا من باب اتقاء الشمس.

(ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ تَدْعُوهُ فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ)؛ لأنه أعلى منها.
(فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي) يعني وجدته يصلي.
(فَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي) لعله قاله في نفسه، أو لعله يجوز في شرعهم التلفظ في الصلاة.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٢٠٦).

(ثُمَّ عَادَتْ فِي الثَّانِيَةِ، فَقَالَتْ: يَا جَرِيحُ أَنَا أُمُّكَ) والأم تجد على ولدها، وربما جاءته محتاجة إليه.

(اللَّهُمَّ فَلَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُؤْمِسَاتِ) أي الزانيات، وقد جاء الشرع بالنهاي عن الدعاء على الولد؛ لما يجر إليه من إفساده وضرره، وبعد ذلك حرقة والديه عليه والنبي ﷺ يقول: «لا تدعوا على أنفسكم ولا على أموالكم، ولا على أبنائكم»، فينبغي للمرء أن يجتهد في الدعاء لأولاده، وللمن إليهم، حتى وإن كان في حال الغضب، يأطر نفسه ويعود نفسه الدعاء لهم.

وسبحان الله لو دعت عليه بالزنا ربما زنى، ولكنها قال: (اللَّهُمَّ فَلَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُؤْمِسَاتِ) فراهن، فكيف لو دعت عليه بما هو أشد من ذلك؟ مع أنه كان في صلاة، وفي هذا دليل على أن دعاء الوالد قد يُستجاب وإن كان في باطل، فلذلك يحذر الأبناء والبنات من دعاء الآباء والأمهات.

وفيه أن النظر إلى أهل الباطل يعتبر مصيبة ومذمة بقدره، فانظر أرادت عقوبته فقالت: (حَتَّى تُرِيَهُ الْمُؤْمِسَاتِ)، دليل على أنها عقوبة، لا سيما أهل الحق إذا رأوا مثل هذه المناظر تقسوا قلوبهم.

(وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ) لا إله إلا الله، هذا قول النبي ﷺ إذا. (وَكَانَ رَاعِي ضَانٍ يَأْوِي إِلَى دَيْرِهِ) أي إلى صومعته أو مكان تعبدته. (فَخَرَجَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْقَرْيَةِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي) سيأتي أنها بغيا بني إسرائيل أرادت أن تفتن جريح، فسلمه الله منها، فأمكنك نفسها من الراعي.

(مِنْ صَاحِبِ هَذَا الدَّيْرِ) اتهمته بالباطل. (فَأَخَذُوا يَهْدُمُونَ دَيْرَهُ) دليل على أن أغلب الناس لا يتثبتون فيما يسمعون، ولو أنهم صبروا وثبتوا والبيئة على المدعي لكان هذا هو المتعين، فكم يخاض في الأعراض وفي غير ذلك بسبب كلمة خرجت ربما من كذاب أو نمام أو بهات ونحو ذلك؟ فما



أسوء الظنون الفاسدة على من علقت في قلبه! تصرفه عن الظن الحسن بإخوانه المسلمين، وتجره إلى مهاوي سيئة، من غيبة ونميمة وبهت، وغل وحقد وحسد.

وفيه عدم قبول النقل إلا بعد التثبت، ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنْهُ﴾ [سورة الحجرات:

٦]، كيف يقبل قول زانية على رجل بدون بينة؟ لعلها تريد تشويهه، وهذا هو الواقع.

وفيه أن الناس سراع إلى الباطل، ويتباطئون في الحق، لو كان الشأن شأن أمر بمعروف ونهي عن المنكر لرأيت هؤلاء يتباطئون، لكن العامة همج رعا، يتحمسون في مواطن ليست مدعاة للتحمس، ويفترون في مواطن حقها التحمس والقيام.

فانظر إلى زمننا هذا يتسارعون إلى المظاهرات، وإلى الاعتصامات، والثورات، وإلى الأقوال الباطلات، بينما يتباطئون عن واجبات، كالصلوات، وطلب العلم، وتكثير سواد أهل الحق.

وفيه شأن الصلاة عند أصحابها، انظر إلى شأن هذا العابد لم يكلم أمه مع أنه في وضع قد جاز له الكلام لدفع البغي عن نفسه.

(فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: سَلْ هَذِهِ) يعني بعد أن نزل سألهم: ما شأنكم؟

(نَبْنِي مَا هَدَمْنَا مِنْ دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ) مكانهم في جهلهم، غلو في إنكار المنكر

زعموا، ثم غلو في الإصلاح، لا يجوز الشرب في آنية الذهب والفضة، فضلا أن تبنى صومعة وبيت بإناء الذهب والفضة.

(قَالَ: لَا وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تَرَابًا كَمَا كَانَ ثُمَّ عَلَاهُ) فيه أن من أفسد شيئا لزمه الضمان،

وهذا حكم عام، سواء كان المفسد من المكلفين أو كان المفسد من غير المكلفين، ما عدا «العجماء جرحها جبار».

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٨ - (٢٥٥٠) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجُ رَجُلًا عَابِدًا فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي؛ فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُؤْمِسَاتِ.

فَتَدَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يَتِمَثَّلُ بِحُسْنِهَا فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَا فِتْنَتَهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضْتُ لَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ فَأَمَكَّتَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهِذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيِّ؟ فَجَاءُوا بِهِ فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أَصَلِّيَ فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانُ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبِلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يَقْبَلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: بَنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ، كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا.

وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارَاهُ وَشَارَهُ حَسَنَةً، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا. فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْضَعُ، قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةِ فِي فَمِهِ، فَجَعَلَ يَمْصُهَا، قَالَ: «وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتَ سَرَقْتَ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعَمَ

الْوَكِيلُ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرِّضَاعَ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَهَنَّاكَ تَرَا جَعَا الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ: حَلَقَى، مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهِذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَيْنَتٌ سَرَفَتْ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا: زَيْنَتٌ وَلَمْ تَزِنْ وَسَرَفَتْ وَلَمْ تَسْرِقْ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا» (١).

(لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةً) هذا ليس على الحصر، فقد جاء أنه تكلم غيرهم كغلام الذين خُدوا في الأخاديد، ويذكرون أيضا غلام ماشطة بنت فرعون، وربما ذكروا غيرهم.

(يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي) انظروا إلى دين النصرانية وإلى البدعة التي ابتدعوها على أنفسهم ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ﴾ [سورة الحديد: ٢٧]، أي: هم فعلوها ابتغاء رضوان الله، زد على ذلك ﴿فَقَا رَعَوْهَا﴾ [سورة الحديد: ٢٧]، لم يقوموا بها كما وعدوا.

وفيه أن العابد قد يخطئ ويزل من حيث يظن الإحسان، وإلا ثلاثة أيام تأتي وتدعوه وتناديه، كان ينتهي من صلاته، ويذهب لبر أمه، ولسماع كلامها، وللنظر في حاجتها، ولكنهم ابتدعوا الرهبانية والصوامع مخالفة لشرع الله، ثم لم يلتزموا إلا ما رحم ربي. فلا تضيع بر أبيك وأمك بسبب عبادة زعمت، فالعبادة لا تتعارض مع بر الوالدين والإحسان إليهما، إما بالكلام، وإما بالسلام، وإما بالعطاء، وإما بالدعاء.

في هذا الحديث على أن الأم إذا نادى الابن وهو يصلي النافلة فإنه يجيبها وهكذا الأب إذا نادى الابن وهو يصلي النافلة فإنه يجيبه، وإن كان في الفريضة تجوز

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٤٣٦).

لإجابتهما، ويستأنف صلاته، ما قطعه بالكلام أو السلام الذي هو الكلام يُلغى، وليس هو داخل في قول الله: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [سورة محمد: ٣٣]؛ لأنه فعل ذلك بتقديم الواجب على المستحب، فطاعة الوالدة أو الأب في مثل هذا الموطن يقدم على النفل. **(فَتَذَكَّرَ أَبُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ)** أهل الباطل ما تطمئن قلوبهم على سلامة أهل الحق، وإنما يسعون إلى الفتنة.

(فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَا فَنِينَهُ لَكُمْ) أهل الباطل يتبجحون بباطلهم، ويظهرونه ولا يكتُمونه، لا سيما إذا كثر الشر والفساد، يعني امرأة تخبرهم أنها ستفتنه وتعرض له! **(فَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَلَمْ يَلْتَمِثْ إِلَيْهَا)** صبر عن معصية الله، «ومن يستغفب يعفه الله». **(فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ)** هذا من البلاء.

(رَزَيْتَ بِهِذِهِ الْبَغْيِ) يعرفون أنها بغية ويصدقونها ويقبلون خبرها! وفيه أيضا الثبوت، مع أنهم أخطأوا في قبول خبرها إلا أنهم تثبتوا، ما عاجلوه بالقتل أو العقوبة في نفسه، مع أنهم عاجلوه في ماله. **(فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أَصْلِي)**؛ لأن الصلاة أرجى ما يكون فيها استجابة الدعاء. **(فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانُ الرَّاعِي)** هذا من كرامات الأولياء، ينكرها المعتزلة والخوارج ومن إليهم، ولكنها ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة، ومن ذلك ما قصه الله **عَزَّجَلَّ** في سورة الكهف عن أصحاب الكهف، وما في هذا الحديث وغيره من الأحاديث.

(فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقْبَلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ) أي لطلب البركة، وهذه بدعة، لا يجوز التبرك بذوات الصالحين، إلا ما كان من التبرك بذات رسول الله ﷺ. **(عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ)** يعني على دابة جميلة، قد زينت باللباس ونحو ذلك. **(وَشَارَةً حَسَنَةً):** هيئة حسنة.

(فَجَعَلَ يَمْصُهَا) كما يرضع الطفل، فيه التعليم بالفعل.

(وَيَقُولُونَ: زَيْنَتٌ سَرَفَتْ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) ظلم وعدوان كما

أسلفت: ما أسرع الناس إلى المجاوزة وما أقل الناس عند المحاققة!

وفيه دعاء الله بقوله: حسبي الله ونعم الوكيل، فإنه من أنفع الدعاء، قالها إبراهيم

حين ألقى في النار فسلمه الله، وقالها محمد ﷺ حين قيل له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا

لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَرَادَهُمْ فَرَادَهُمْ إِيْمَانًا﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣].

(فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا) حرص الأم على سلامة ولدها.

(فَهَذَا تَرَاجَعَا الْحَدِيثُ) يعني لما رأته يتكلم جعلت ترد عليه لماذا تقول كذا؟

ولماذا ما تقول كذا؟

(فَقَالَتْ: حَلَقَى) يعني كأنها دعت على نفسها بالويل وبفقد الولد؛ لأنهم كانوا

يحلّقون الرؤوس من المصيبة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي حَدِيثِ جُرَيْجٍ هَذَا فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ:

مِنْهَا: عِظَمُ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَتَأَكُّدُ حَقِّ الْأُمِّ، وَأَنَّ دُعَاءَهَا مُجَابٌّ، وَأَنَّهُ إِذَا تَعَارَضَتِ

الْأُمُورُ بُدِئَ بِالْأَهَمِّ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ لِأَوَّلِيَّائِهِ مَخَارِجَ عِنْدَ ابْتِلَائِهِمْ بِالشَّدَائِدِ غَالِبًا،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [سورة الطلاق: ٢] وَقَدْ يُجْرِي عَلَيْهِمُ

الشَّدَائِدُ بَعْضُ الْأَوْقَاتِ زِيَادَةً فِي أَحْوَالِهِمْ، وَتَهْذِيْبًا لَهُمْ، فَيَكُونُ لُطْفًا.

وَمِنْهَا: اسْتِحْبَابُ الْوُضُوءِ لِلصَّلَاةِ عِنْدَ الدُّعَاءِ بِالْمُهِمَّاتِ، وَمِنْهَا أَنَّ الْوُضُوءَ كَانَ

مَعْرُوفًا فِي شَرْعٍ مِنْ قَبْلِنَا، فَقَدْ ثَبَتَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فِي كِتَابِ الْبُخَارِيِّ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى،

وَقَدْ حَكَى الْقَاضِي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ زَعَمَ اخْتِصَاصَهُ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَمِنْهَا: إِثْبَاتُ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ.

وَفِيهِ: أَنَّ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ قَدْ تَقَعُ بِاخْتِيَارِهِمْ وَطَلَبِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا الْمُتَكَلِّمِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَا تَقَعُ بِاخْتِيَارِهِمْ وَطَلَبِهِمْ^(١).
وَفِيهِ أَنَّ الْكَرَامَاتِ قَدْ تَكُونُ بِخَوَارِقِ الْعَادَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَنْوَاعِهَا، وَمَنْعَهُ بَعْضُهُمْ، وَادَّعَى أَنَّهَا تَخْتَصُّ بِمِثْلِ إِبَابَةِ دُعَاءٍ وَنَحْوِهِ، وَهَذَا غَلَطٌ مِنْ قَائِلِهِ، وَإِنْكَارٌ لِلْحَسَنِ. اهـ
وبعضهم يسأل: إذا اتصلت الأم بالتلفون؟ إذا اتصلت جاوبها.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: «رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩ - (٢٥٥١) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ». قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ.

١٠ - (٢٥٥١) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ»، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ».

١٠ - (٢٥٥١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، حَدَّثَنِي سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُهُ» ثَلَاثًا ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ.

(شيبان بن فروخ) أبو محمد.

(أبو عوانة) وضاح.

(١) قد تقع باختيارهم وطلبهم وقد لا تقع، وقد تقع بدون اختيار وطلب، الأمر إلى الله.

(سهيل) بن أبي صالح.

(عن أبيه) ذكوان.

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: مَعْنَاهُ ذَلَّ وَقِيلَ: كُرِهَ وَخُزِيَ، وَهُوَ بَفَتْحِ الْغَيْنِ وَكَسْرِهَا، وَهُوَ الرُّغْمُ بِضَمِّ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا وَكَسْرِهَا^(١)، وَأَصْلُهُ لَصِقَ أَنْفُهُ بِالرَّغَامِ، وَهُوَ تُرَابٌ مُخْتَلَطٌ بِرَمْلٍ، وَقِيلَ: الرُّغْمُ كُلُّ مَا أَصَابَ الْأَنْفَ مِمَّا يُؤْذِيهِ.

وَفِيهِ عَلَى الْحَثِّ عَلَى بَرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَعَظَمِ ثَوَابِهِ.

وَمَعْنَاهُ: أَنَّ بَرَّهُمَا عِنْدَ كِبَرِهِمَا وَضَعْفِهِمَا بِالْخِدْمَةِ، أَوْ النَّفَقَةِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَمَنْ قَصَرَ فِي ذَلِكَ فَاتَهُ دُخُولُ الْجَنَّةِ، وَأَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَهُ. أفاده النووي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وربما كان الحديث من باب الأخبار وربما كان من باب الدعاء، وأيهما كان فخير

النبي ﷺ حق لا خلف فيه، ودعاء النبي ﷺ أقرب أو هو يستجاب.

وفيه أن عقوق الوالدين والتقصير في حقهما من الكبائر.

وفيه عظيم شأن صلة الوالدين، أو صلة أحدهما، وقد جاء عند أبي داود: «الْوَالِدُ

أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَاحْفَظْهُ وَإِنْ شِئْتَ فَضَيِّعْهُ»^(٢)، وقد جاء أيضا: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا، ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ»^(٣).

(١) رَغْمٌ، وَرَغَمٌ، وَرَغِمَ.

(٢) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٢٧٥٥٢)، والترمذي حديث رقم: (١٩٠٠)، وابن ماجه حديث رقم: (٣٦٦٣)،

عن أبي الدرداء رَحِمَهُ اللَّهُ عَنهُ.

(٣) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١٩٠٢٧)، عن أبي بن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عَنهُ.

قال رحمه الله:

بَابُ صَلَاةِ أَصْدِقَاءِ الْأَبِّ وَالْأُمِّ وَنَحْوِهِمَا

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١١ - (٢٥٥٢) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ سَرْحٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْوَلِيدِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وَدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ أَبْرَّ الْبَرِّ صَلَاةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ».

١٢ - (٢٥٥٣) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي حَيَّوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ، عَنِ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَبْرُّ الْبَرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وَدَّ أَبِيهِ».

(حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ سَرْحٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ) كلهم من مصر.

(الوليد بن أبي الوليد) أيضا مصري، فيه ضعف.

(فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ) لعله كان الراكب، فالسنة أن يسلم الراكب على الماشي.

(وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ) أي أعطاه حمارا يركبه ويستفيده.

(إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ) بخلاف أهل الحاضرة، ربما يطلبون من

الهدايا الغالية.

(إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وَدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) لأبيه رضي الله عن الجميع، (ودا): صاحبا

وجليسا.

(إِنَّ أَبْرَ الْبِرِّ صَلََةُ الْوَلَدِ أَهْلٌ وَدُّ أَبِيهِ) يعني صلة الوالد من البر، وصلت صاحب الأب من أبر البر؛ لأن الأب يكون قد مات، والابن كونه يراعي ود أبيه هذا دليل على محبته له، والإحسان إليه، والوفاء بعهده.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣ - (٢٥٥٢) حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ جَمِيعًا عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسَامَةَ بْنِ الْهَادِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ إِذَا مَلَ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ، فَبَيْنَا هُوَ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الْحِمَارِ إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَلَسْتَ ابْنَ فُلَانٍ بْنِ فُلَانٍ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَعْطَاهُ الْحِمَارَ، وَقَالَ: ارْكَبْ هَذَا وَالْعِمَامَةَ قَالَ: اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ أَعْطَيْتَ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَبْرَ الْبِرِّ صَلََةُ الرَّجُلِ أَهْلٌ وَدُّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ»، وَإِنْ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعَمْرٍ.

(أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ)؛ لأنه يتعب من الإبل الركوب على الإبل ربما يكون فيه مشقة.

(وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ) يربط بها الشعر، العمامة تيجان العرب، يتقي بها الحر والقر.

(إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ) رجل من أصحاب البادية.

(كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ) ترتاح عليه.

(بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ) يعني بعد أن يموت، أما إذا كان حيا سيقوم بالبر الوالد، وربما الولد يقوم به لكن من باب أن يشكره الأب، أما هذا بعد موت الأب دليل على حسن الوفاء والإحسان.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذَا فَضْلُ صَلََةِ أَصْدِقَاءِ الْأَبِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ، وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِبِرِّ الْأَبِ وَإِكْرَامِهِ ; لِكَوْنِهِ بِسَبَبِهِ، وَتَلْتَحِقُ بِهِ أَصْدِقَاءُ الْأُمِّ وَالْأَجْدَادِ وَالْمَشَائِخِ وَالزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ، وَقَدْ سَبَقَتْ الْأَحَادِيثُ فِي إِكْرَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَلَائِلَ خَدِيجَةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفيه جواز اتخاذ أكثر من راحله يركب عليها، فربما كان في مسيره معه فرس وحمار وبعير، فيركب البعير، ويتروح على الحمار، وإذا أراد الإسراع ركب على الفرس، وبعضهم ربما اتخذ بغلة؛ لأن ظهر البغلة أوسع وأريح، إلا أنها غير موجودة في بلاد العرب، وإنما تؤخذ من بلاد العجم.

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

بَابُ تَفْسِيرِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

١٤ - (٢٥٥٣) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ بْنُ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».

١٥ - (٢٥٥٣) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ يَعْنِي ابْنَ صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ نَوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ سَنَةً مَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْهَجَرَةِ إِلَّا الْمَسْأَلَةُ كَانَ أَحَدُنَا إِذَا هَاجَرَ لَمْ يَسْأَلْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».

(محمد بن حاتم بن ميمون) السمين.

(ابن مهدي) عبد الرحمن، شيخ الإمام أحمد.

(جبير بن نفير) تابعي، كان مع المسلمين في غزوة قبرص.

(مَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَّا الْمَسْأَلَةُ)؛ لأن الصحابة رَضُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فهو أن يسألوا النبي ﷺ، ورخص للأعراب.

(الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ) **أولا:** البر من حيث المعنى العام تشمل معنى التقوى أيضا: فعل المأمور وترك المحظور، وأما من حيث المعنى الخاص فالبر: فعل المأمورات، والتقوى: ترك المحظورات، هذا إذا جُمع بينهما.

(وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ) أي: ترددت في حله أو حرمة، لم ينشرح له الصدر وحصل منه الفرق والتخوف، وربما كنت متأثما أن يطلع عليه الناس، لو كان مبرة ما تأثمت في ذلك، بل إن طبيعة الإنسان ربما أحب أن يرى منه الخير، لكن لما كان مأثمة تخرجت من إظهاره على الناس.

وفي هذا أيضا رد المشتبهات، وأن الإنسان لا يقدم إلا على الحلال الواضح البين، لأن الأمور ثلاثة حلال: حلال واضح بين فتعاطيه لا محظور فيه، وحرام واضح بينا، فتعاطيه من الممنوعات، وأمر مشتبه بين الحل والحرمة، فمن تمام الإيمان أن تتقي الشبهات، «فمن أتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام»، معناه: كاد أن يقع في الحرام، ليس معناه أنه وقع في الحرام حقيقة، لكن لقربه من الحرام كان كالواقع فيه، الإنسان يستبرئ لدينه.

وفي هذا الحديث من الفوائد على ما تقدم: أهمية سؤال أهل العلم فيما يشكل والعودة إليهم، فما لحق الأمة الضرر إلا حين تركوا سؤال أهل العلم، وربما أقبلوا على المبتدعة والجهال يسألونهم، فأفتوهم بغير علم، فضلوا وأضلوا.

وفي هذا الحديث أيضا من الفوائد: أن الناس يختلفون من حيث المعاملة فالأعرابي يحتاج إلى رفق، وحسن خطاب، ورد جواب، وتجاوز، بخلاف الحضري خلاف

المهاجري، فإن النبي ﷺ حين غضب من شأن الأسئلة وجعل يقول: «سلوني سلوني» قام عمر وبرك على ركبتيه فقال: نتوب إلى الله وإلى رسوله؛ لأنه قد جاء في حديث أنس: نهينا - والنهي يفيد التحريم - أن نسأل النبي ﷺ، وكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل يسأل ونحن نسمع.

والسبب في النهي: حتى لا يُحرم الشيء بسبب سؤال أحدهم، ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَكَلَّمُوا عَنْ شَيْءٍ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكٌ﴾ [سورة المائدة: ١٠١]؛ لأنهم في زمن تشريع، ربما سألوا عن الشيء فحرم، والنبي ﷺ يقول: «أعظم الناس إثماً الرجل يسأل عن الشيء ثم يحرم بسببه».

قال الشعبي: لو كان الصحابة رائيون لكان أكثر القرآن: ويسألونك ويسألونك، لكن ليس في القرآن إلا العدد اليسير من الآي التي فيها: ويسألونك؛ لأنهم كانوا يستجيبون أكثر مما يسألون.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ صَلَاةِ الرَّحِمِ، وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦ - (٢٥٥٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ جَمِيلٍ بْنُ طَرِيفٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ (١) وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ قَالَا: حَدَّثَنَا حَاتِمٌ وَهُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ ابْنُ أَبِي مُزَرَّدٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، حَدَّثَنِي عَمِّي أَبُو الْحُبَابِ سَعِيدُ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ مِنَ الْقَطِيعَةِ قَالَ: نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ قَالَتْ: بَلَى قَالَ: فَذَاكَ لَكَ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اقْرَءُوا إِنَّ شِئْتُمْ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ

(١) ما شاء الله، جاء باسمه ونسبه، مصري.

إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٣٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٣٤﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُتْرَانَ أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٣٥﴾ [سورة محمد: ٢٢-٢٤] ^(١).

(إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ) كأنه المراد به خلق آدم وما إليه، والله أعلم.
(فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ مِنَ الْقَطِيعَةِ) تعلقت بالعرش، وفي رواية: «بحقو الرحمن».
(أَمَّا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلِكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ)؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فالواصل يُوصل والقاطع يُقطع، ومن وصله الله وصله بالخيرات والمبرات وغير ذلك من المكرمات، ومن قطعه الله قُطِعَ عن الخيرات والمبرات، وغير ذلك من المكرمات، بل إن قاطع الرحم متوعد باللعن والطرْد، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٣٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة محمد: ٢٢-٢٣].

و«الرَّحِمَ شَجْنَةً مِنَ الرَّحْمَنِ»، كما جاء في حديث عائشة في البخاري ^(٢)، أي: أنها مشتقة من اسم الرحمن.

والنبي ﷺ يقول: «الصَّدَقَةُ وَالصَّلَةُ تُعَمِّرَانِ الدِّيَارَ وَتَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ». وفيه إثبات أن الله يتكلم متى شاء بما شاء، بحرف وصوت.
(﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾) إن توليتم عن الاستجابة لأمر الله، وأمر رسوله ﷺ،
(﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾) بأنواع الفساد، من قتل، وقطع الطريق ونحو ذلك،
(﴿وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾) الآباء ابتداءً، ويدخل فيه جميع الرحم.
(﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾) أصمهم عن سماع الحق، وأعمى أبصارهم عن رؤيته.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٨٣٠).

(٢) حديث رقم: (٥٦٤٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾) (أفلا يتدبرون): يتفكرون ويتعظون بأوامر القرآن، ويستجيبون، (﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾) (﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾) [سورة الأعراف: ١٧٩].

وهذا دليل على أن صلة الرحم من الواجبات، وأن قطعها من المحرمات.
قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٧ - (٢٥٥٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي مُزَرِّدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُوْمَانَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ».

قد يكون هذا من باب الخبر، وقد يكون من باب الدعاء.
قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٨ - (٢٥٥٦) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ».

قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ: قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ^(١).

١٩ - (٢٥٥٦) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَسْمَاءَ الضُّبَيْعِيُّ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَحِمٍ».

١٩ - (٢٥٥٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ، وَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٩٨٤).

(ابن أبي عمر) محمد بن يحيى بن أبي عمر.

(يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ) هذا تفسير للحديث؛ لأن معنى قاطع: كل من قطع ما أمر الله به أن يوصل، لكن رحم تقييد الإطلاق.
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٠ - (٢٥٥٧) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التَّجِيبِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(١).
٢١ - (٢٥٥٧) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ شَهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

(حرملة بن يحيى) التجيبي، مصري.

(ابن وهب) مصري.

(يونس) بن يزيد.

هذا الحديث استدل به على زيادة العمر بصلة الأرحام، وقد تكلم العلماء في هذه المسألة، وللشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة رد بها على سؤال وجه إليه من بعض أبناء وأحفاد الإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ اللَّهُ، يسأله عن معنى هذا الحديث، فكان المعنى: أن ما في اللوح المحفوظ لا يتغير ولا يتبدل؛ لأن اللوح المحفوظ كُتِبَ فيه علم الله، وعلم الله لا يتغير ولا يتبدل، وإنما التغير والتبديل يقع فيما في يد الملك، فيقال: إن وصل رحمه فعمره كذا، وإن لم يصل رحمه فعمره كذا وأما ما في اللوح المحفوظ فهو شيء واحد.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٠٦٧).

لكن قد يكون الحديث له معنى آخر: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) يوسع له بالخير، لأن المبرات تأتي بالمكرمات، ولأن الإحسان باب للإحسان، ولأن الرزق يأتي مع الطاعة، بينما المعاصي تكون سببا لبعث ذلك.

(أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ) يبقى له ذكر في عقبه، ويبقى له بشارة حسنة.

(فَلْيَصِلْ رَحِمَةً): يحسن إليها، بطيب الكلام، وحسن الفعال والخصال.

وسبحان الله! السبب في مثل هذه الفضائل العظيمة؛ لأن التداخل بين الأرحام وكثر الملامسة والمعاشرة وكثر المداخل في الأموال ونحوها قد يؤدي إلى المباغضات والمقاطعات والتدابير، وربما إلى القتل والقتال، فهذا الذي يجاهد نفسه على صلة الرحم له الأجر العظيم، وسيأتي بيان ذلك في الحديث الآتي، من أن الإنسان قد يحتاج إلى مجاهدة نفسه من أجل الإحسان إلى رحمه، حتى في باب العلم إلا ما رحم الله، وإلا روي عن عروة وغيرها: أزهد الناس في العالم أهله؛ لأن الإنسان كلما كان أكثر خلطة بالغير كلما كان الزهد فيه حاصل، وربما كلما كان الانقباض منه أكثر.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٢ - (٢٥٥٨) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ (وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى) قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ الْعَلَاءَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسَفِّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ».

(محمد بن المثنى) أبو موسى العنزي.

(محمد بن بشار) بندار.

(محمد بن جعفر) غندر.

(شعبة) بن الحجاج.

(العلاء بن عبد الرحمن) مولى الحرقة.

(أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي) والأولى أن يكون مع الصلة صلة، ومع الإحسان إحسان.

(وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ) يجازونه بنقيض فعله.

(وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ): أتجاوز وأصفح، وأتحمل، (وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ): يطيشون، بالسب،

ونحو ذلك، فإن الجهل يأتي بمعنى: عدم العلم، ويأتي بمعنى: المجاوزة والطيش.

(فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَأُ): كأنما تسف في وجوههم الرماد الحار، ونحو ذلك.

(وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ) يعني تظهر به عليهم، وتعلو به عليهم، وتكون

أنت الخاصم لهم.

(مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ): ما دمت على الصلة وهم على القطيعة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَعْنَاهُ: كَأَنَّمَا تُطْعِمُهُمُ الرَّمَادَ الْحَارَّ، وَهُوَ تَشْبِيهُ لِمَا يُلْحَقُهُمْ

مِنَ الْأَلَمِ بِمَا يُلْحَقُ أَكْلَ الرَّمَادِ الْحَارِّ مِنَ الْأَلَمِ، وَلَا شَيْءَ عَلَى هَذَا الْمُحْسِنِ، بَلْ يَنَالُهُمُ الْإِثْمُ الْعَظِيمُ فِي قَطِيعَتِهِ، وَإِدْخَالِهِمُ الْأَذَى عَلَيْهِ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ إِنَّكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ تُخْزِيهِمْ وَتُحَقِّرُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ لِكَثْرَةِ إِحْسَانِكَ

وَقَبِيحِ فَعْلِهِمْ مِنَ الْخِزْيِ وَالْحَقَارَةِ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ كَمَنْ يُسِفُّ الْمَلَأُ.

وَقِيلَ: ذَلِكَ الَّذِي يَأْكُلُونَهُ مِنْ إِحْسَانِكَ كَالْمَلِّ يُحَرِّقُ أَحْشَاءَهُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّدَابُرِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٣ - (٢٥٥٩) حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابُرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ»^(١).

٢٣ - (٢٥٥٩) حَدَّثَنَا حَاجِبُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ الزُّبَيْدِيُّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ، (ح) وَحَدَّثَنِيهِ حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ مَالِكٍ.

٢٣ - (٢٥٥٩) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ وَعَمْرُو النَّاقِدُ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَزَادَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: «وَلَا تَقَاطَعُوا».

٢٣ - (٢٥٥٩) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ يَعْنِي ابْنَ زُرَيْعٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ جَمِيعًا عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، أَمَّا رِوَايَةُ يَزِيدَ، عَنْهُ فَكِرَوَايَةُ سُفْيَانَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ يَذْكُرُ الْخِصَالَ الْأَرْبَعَةَ جَمِيعًا، وَأَمَّا حَدِيثُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ: «وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابُرُوا».

٢٤ - (٢٥٥٩) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٠٦٥).



٢٤ - (٢٥٥٩) حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ الْجَهْزَمِيُّ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ
بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ وَزَادَ كَمَا أَمَرَ كُمْ اللَّهُ.

(يحيى بن يحيى) هو التميمي النيسابوري، أكثر عنه الإمام مسلم.

(قرأت على مالك) وهكذا كان شأن الإمام مالك أنه يُقرأ عليه، لا يقرأ على طلابه،
وهذه المرتبة الثانية من مراتب التحمل، وهو الإمام مالك بن أنس الأصبحي، أبو عبد
الله، إمام دار الهجرة ومفتيها.

يأبى الجواب فلا ينازع هيبة والسائلون نواكس الأذقان
(لا تَبَاغُضُوا) التباغض بالقلب، البغض والكراهة، والحقد، والحسد، أمراض
قلبية.

(وَلَا تَحَاسَدُوا) هو: تمنى زوال النعمة عن الغير.

(وَلَا تَدَابَرُوا) وهو نتيجة التباغض والتحاسد، يصل الناس إلى التدابر والتقاطع
والتهاجر، سمي بالتدابر؛ لأن كل منهما يولي دبره للآخر ويمضي.
(وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) كما أمركم الله، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٠]،
وهذه الأخوة الدينية لا الطينية، وهي مقدمة على الأخوة الطينية إذا تجردت عن
الدينية، أما إذا كانت دينية وطنية فهي أولى من الأخوة الدينية وحدها، وإذا كانت طينية
لا دينية فالمقدم الدينية.

(وَلَا يَجُلْ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ) أي: أخاه المسلم، فوق ثلاثة أيام
وهذا لأن الإنسان إذا وقع بينه وبين أخيه شيء قد يقع في نفسه، فأباح الشرع ثلاثة أيام
حتى يذهب ما في نفسه، فإن استمر بعد ذلك فهذا دليل على فساد في القلب، وعلى
تجاوز في الحد، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٠].

قال رحمه الله:

بَابُ تَحْرِيمِ الْهَجْرِ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ عُدْرٍ شَرْعِيٍّ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٢٥ - (٢٥٦٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّثَنِيِّ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيَعْرِضُ هَذَا وَيَعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»^(١).

٢٥ - (٢٥٦٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، (ح) وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ (ح) وَحَدَّثَنَا حَاجِبُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، عَنِ الزُّبَيْدِيِّ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ كُلُّهُمْ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِإِسْنَادِ مَالِكٍ وَمِثْلَ حَدِيثِهِ إِلَّا قَوْلَهُ: «فَيَعْرِضُ هَذَا وَيَعْرِضُ هَذَا»، فَإِنَّهُمْ جَمِيعًا قَالُوا فِي حَدِيثِهِمْ غَيْرَ مَالِكٍ: «فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا».

(أبي أيوب الأنصاري) خالد بن زيد، وهناك زيد بن خالد وهو الجهني.

(لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ) هذا في الأمور الدنيوية، أما إذا كان

الهجر بسبب إحداث في الدين كبدعة ونحوها فيجوز أكثر من ذلك، فإن النبي ﷺ هجر كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية خمسين ليلة، وهكذا عبد الله بن عمر هجر ابنه حتى مات، وعبد الله بن مغفل هجر من نصحه بعدم الخذف، وهجر أهل البدع والريب إجماع بين أهل العلم.

(يَلْتَقِيَانِ فَيَعْرِضُ هَذَا، وَيَعْرِضُ هَذَا) أي؛ لما في قلوبهم على بعضهم.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٠٧٧).

(وَحَيَّرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ)؛ لإزالة ما في القلوب من الضغائن، فقد قال النبي ﷺ: «أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ».

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٦ - (٢٥٦١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي فُدَيْكٍ، أَخْبَرَنَا الضَّحَّاكُ وَهُوَ ابْنُ عُثْمَانَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَجِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ».

(محمد بن رافع) المروزي.

(الضحاك بن عثمان) وافق مالك في رواية ذكر أهل العلم: أن مالك شذ بهذه الرواية وافقه الضحاك، وهي: (من المسلمين)، في صدقة الفطر.

(نافع) وهو مولى ابن عمر.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٧ - (٢٥٦٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ ثَلَاثٍ».

على ما تقدم في حديث أبي أيوب، وفي حديث ابن عمر.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ تَحْرِيمِ الظَّنِّ وَالتَّجَسُّسِ وَالتَّنَافُسِ وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٨ - (٢٥٦٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥١٤٣).

٢٩ - (٢٥٦٣) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَهَجَّرُوا، وَلَا تَدَابَّرُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».

٣٠ - (٢٥٦٣) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».

٣٠ - (٢٥٦٣) حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ وَعَلِيُّ بْنُ نَصْرِ الْجَهْضَمِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ: «لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَّرُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ».

٣١ - (٢٥٦٣) وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا حَبَّانٌ، حَدَّثَنَا وَهْبٌ، حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابَّرُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».

(أبي الزناد) عبد الله بن ذكوان.

(الأعرج) عبد الرحمن بن هرمز.

(أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عبد الرحمن بن صخر.

عبد الله عن عبد الرحمن عن عبد الرحمن.

هذا حديث عظيم، شمل عدة آداب:

الأول: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ) وقد قال الله عز وجل: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ

إِثْمٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٢]، والمراد به: الظن السيء، الذي يكون بغير قرينة، وإنما هو الخواطر التي يلقيها الشيطان في قلوب الناس على المؤمنين، وقد قال عمر بن الخطاب: من أظهر لنا خيرا أمناه وقربنا، ومن أظهر لنا شرا لم نأمنه ولم نقر به، وسريته إلى الله.

(فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ) ربما تظن أن الأمر على ما ظننته وهو خلاف ذلك وأسوأ الظن ظن الجاهلية بالله: ﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤]، يظنون أن الله يديل على المؤمنين، وأن الله يمكن الكافرين من استئصال الدين. **(وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا)** التحسس والتجسس بمعنى متقارب، إلا أن التحسس قالو: في الخير، والتجسس في الشر.

(وَلَا تَنَافَسُوا) على الدنيا، أما التنافس من أجل الآخرة فمرغّب فيه، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾ [سورة المطففين: ٢٦]، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَسَارِعُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٣٣]، و﴿سَابِقُوا﴾ [سورة الحديد: ٢١]، ﴿فَاسْتَبِقُوا﴾ [سورة البقرة: ١٤٨]، والنبي ﷺ قال: «بادروا».

(وَلَا تَحَاسَدُوا): تمنى زوال النعمة عن الغير، وهو صفة يهودية، وصفة من صفات المشركين، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة البقرة: ١٠٩]، والنبي ﷺ يقول: «مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّامِينِ»^(١).

وقد قال الله عز وجل أمرا نبيه بالاستعاذة: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]. وأسوأ الحسد: أن تتمنى زوال الاستقامة، أو ذهاب الحفظ، أو ذهاب الاستفادة، أو حتى عدم الزيادة من الخير، هذا من الحسد.

(وَلَا تَبَاغَضُوا) التباغض بين المؤمنين منهى عنه، وأما بغض الكافرين والمنافقين ومن إليهم فمتعين، ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢].

(وَلَا تَدَابَرُوا) بمعنى: «لا تهاجروا».

(١) أخرجه ابن ماجه، حديث رقم: (٨٥٦)، عن عائشة رضي الله عنها.

(وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) تقدم الكلام عليها.
(وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ) وفي غير هذا الموطن: **«ولا يخطب بعضكم على خطبة بعض»**؛ لأن ذلك يؤدي إلى التباغض، والتدابير، والتقاطع، والتهاجر.
 وبيع الأخ على بيع أخيه محرم من وجهين:
الوجه الأول: إذا باع وابتاع يريد السلعة، فهو محرم مع أنه صادق في بيعه وشرائه.
النوع الثاني: أن يبايع لا يريد السلعة، إنما يريد الزيادة في السعر، وهذا هو النجش، وربما جاء في بعض الروايات: **«ولا تناجشوا»**.
 وهكذا **«ولا يخطب على خطبة أخيه»**؛ لما يؤدي إلى ضيق الصدور، وتنافر الأبدان، وحصول ما لا يحمد.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ، وَدَمِهِ، وَعَرْضِهِ، وَمَالِهِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٢ - (٢٥٦٤) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ يَعْنِي: ابْنَ قَيْسٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا»** وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، **«بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرْضُهُ»** ^(١).

(لا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) تقدمت هذه الست والكلام عليها.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢١٤٠).

(الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ) أي أخوة دينية، ومقتضى هذه الأخوة الدينية أنه:

(لَا يَظْلِمُهُ) أي بنفسه، «فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(وَلَا يَخْذُلُهُ) إذا ظلم من الغير، واستطاع نصره فلينصره.

(وَلَا يَحْقِرُهُ) لا يحقره لدماة فيه، أو لجهل فيه، أو لنحو ذلك، فاحتقار المسلم لا

يجوز، المسلم في خير وعلى خير على أي حال كان، وقد جاء في الحديث وسيأتي:

(بِحَسَبِ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ)، يعني يكفيه إثما أن يحقر أخاه المسلم،

فكيف إذا تجاوز الاحتقار إلى السب والشتم والغيبة والنميمة والضرب والقتل؟ يكون

هذا إثما فوق إثم، نسأل الله السلامة والعافية.

والمؤمن كريم عند الله، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَدَّرُ﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

(التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) أي في القلب، ويصدقها العمل وفيه

تكرار الكلام ثلاثا؛ حتى يحفظ ويستفاد، ولتعظيم المذكور.

(بِحَسَبِ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ) سواء كان رجلا أو أنثى، لا يجوز

احتقار المسلمين، وقبل سنوات حصلت فتنة، وكنا نرى أن ذلك المفتون لن يقع منه

الرجوع لما كان عليه من احتقار غيره، فاحتقار المسلم لا يجوز، لا سيما المسلم

السلفي المستقيم، حتى وإن أخطأ في حقك أو قصر.

إنما الاحتقار لأهل البدع، وقبل ذلك للكافرين والمشركين، قال النبي ﷺ في

المسلم في المسلم: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلَّةِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا» وأشار إلى الكافر، والنبي ﷺ

يقول: «رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ»، ما تدري أنت، كم من

مولى أفضل من سيد! وكم من عبد أفضل من حر! وكم من أنثى أفضل من ذكر! وكم

من فقير أفضل من غني! وكم من مرعي أفضل من راعي!

فالأمر عائد إلى الاستقامة الدينية، فلا يُحتقر المسلم، حتى أن ابن القيم ذكر في هذا

الموطن عن بعضهم: ربما يصلي من الليل ويكون أخوه نائما بجانبه فيحتقره تكلم

بكلام مؤداه: لا صليت، كان نومك أكرم لك وأحسن لك من احتقار المسلم، فالإنسان ما يدري، فرب عامي أفضل من عالم في بعض الأمور، فلا يحتقر المسلم أخاه المسلم أبداً، بل يحمد الله على ما آتاه من فضله، ويسأل الله لأخيه الخير.

(كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ) دمه وما يلحق به من الأعضاء، لا يُضْرَب، لا يسجن، لا يقتل، لا يفعل به شيء من ذلك، إلا إن فعل ما يستوجب القصاص.

(وَمَالُهُ) لا يُسْرَق، ولا يغصب ولا ينهب، كما تقدم في كتاب الإيمان.

(وَعَرْضُهُ) لا يُقْذَف، ولا أيضاً تنتهك حرمة، ولا يُتَكَلَّمُ فيه بما ليس فيه، ولا بما فيه غيبة، لا يجوز أن يُتَكَلَّمُ بما ليس فيه فهذا بهت، ولا يتكلم بما فيه غيبة، أو لقصد النميمة.

فهذا حديث جامع، **(كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ)** أي: لا تؤذ في شيء من شأنه، لا في ذاته، ولا في ماله، ولا في عرضه من أبنائه وبناته وزوجته.
قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٣٣ - (٢٥٦٤) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ سَرِّحَ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ أُسَامَةَ وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ كُرَيْزٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ دَاوُدَ وَزَادَ وَنَقَصَ، وَمِمَّا زَادَ فِيهِ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»، وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ.

٣٤ - (٢٥٦٤) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ».

وهذه الرواية رد على من يقول: الإيمان في القلب، الإيمان في القلب وصدقه العمل، ثم أيضاً إيمان قول وفعل واعتقاد.

وفيه إثبات صفة النظر لله **عَزَّوَجَلَّ**، ينظر بعينين حقيقتين، تليق بجلاله.

وأن العبرة ليست بجمال الظاهر، وإنما بجمال الباطن.

وإذا جميل الوجه لم يأت الجميل فما جماله
يعني: إذا كنت جميل الوجه قبيح الفعل فلا فائدة في هذا الجمال، وإنما يُمدح
الجمال إذا توافق جمال الظاهر مع الباطن، كان النبي **ﷺ** أجمل الناس خلقاً وخلقا،
وكان أبو لهب من أجمل الناس خلقاً ولكنه من أسوأهم خلقاً ولذلك ذمه الله: **﴿تَبَّتْ**
يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ وَامْرَأَتُهُ
حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۚ﴾ [سورة المسد: ١-٥].

(يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ) دليل على تعيين العمل الظاهر حتى يتوافق مع
الاعتقاد الصحيح الباطن، وتجد أن بعض الناس يستدل بقول (ولكن ينظر إلى
قلوبكم) على التقصير في العمل الظاهر، فيرد عليه بهذه الزيادة (وأعمالكم)، وفيه تعيين
الإخلاص والمتابعة، فالإخلاص في القلب والمتابعة في الظاهر.

قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الشَّحْنَاءِ، وَالتَّهَاجُرِ

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

٣٥ - (٢٥٦٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيْمَا قُرِئَ عَلَيْهِ عَنْ سُهَيْلٍ،
عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ
الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ،
فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ
يَصْطَلِحَا».

٣٥ - (٢٥٦٥) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّيَّيِّ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ الدَّرَاوَرْدِيِّ كِلَاهُمَا عَنْ سَهْلٍ، عَنْ أَبِيهِ بِإِسْنَادٍ مَالِكٍ نَحْوَ حَدِيثِهِ غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ الدَّرَاوَرْدِيِّ: «إِلَّا الْمُهْتَجَرِينَ»، مِنْ رَوَايَةِ ابْنِ عَبْدِ، وَقَالَ قُتَيْبَةُ: «إِلَّا الْمُهْتَجَرِينَ».

٣٦ - (٢٥٦٥) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ مَرَّةً قَالَ: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيَقَالُ: ازْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا اِرْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا».

٣٦ - (٢٥٦٥) حَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ وَعَمْرُو بْنُ سَوَادٍ قَالَا: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّتَيْنِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيَغْفِرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، إِلَّا عَبْدًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيَقَالُ: اتْرْكُوا أَوْ اِرْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَفْسِحَا».

(عن أبيه) ذكوان.

قوله: (تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ) دليل على أبواب الجنة، وهي ثمانية، كما تقدم في حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا دليل على فضل الله الواسع، وفضيلة ليوم الإثنين ويوم الخميس، ولذلك يستحب صيامهما.

قوله: (فَيَغْفِرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا)؛ لأن الشرك من مات عليه لا يغفر له ومن كان في حياته لا يغفر له إلا بتوبة منه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨].

(إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ) الرجل خرج مخرج الغالب، وإلا فالحديث شامل للرجال والنساء.

والمراد بالأخوة هنا الأخوة الدينية، وربما دخل فيها الطينية.
والشحناء: هي البغضاء، وما تسببه من النفرة، ونحو ذلك.
(فَيَقَالُ) لعل الله عَزَّجَلَّ هو القائل، أو لعل ملك من ملائكة الله هو الموكل بهذا الأمر
يقول هذا.

(أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا) أي أخرُوا التجاوز عنهما حتى يصطلحا، وكررها
ثلاثاً؛ لبيان أهمية الصلح بين المسلمين.

(إِلَّا الْمُتَهَاجِرَيْنِ) أي من كان هجرهما لغير الله، أما الهجر الشرعي كهجر المبتدعة،
فلا يلتفت إلى أثره، ولا يتخوف منه، بل صاحبه مأجور غير مأزور، والمواصل لهما
مأزور غير مأجور.

(تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ) أي في كل أسبوع، المراد بالجمعة: الأسبوع،
يوم الإثنين ويوم الخميس.

(فَيَغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ) بهذا القيد، مؤمن مسلم، أما غير المؤمنين وغير المسلمين
لا يغفر لهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٧ - (٢٥٦٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ عَنْ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْمَرٍ، عَنْ أَبِي الْحُبَابِ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أَظْلُهُمْ
فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي».

هذا يسمى بالحديث القدسي، وتجري عليها أحكام الحديث من حيث الصحة والضعف، ولا يقرأ به في الصلاة، ويضاف إلى الله من حيث أنه قاله.

(أَيُّنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟) أي من أجل الله **عَزَّوَجَلَّ**، فيه فضيلة الحب في الله فإن الحب في الله والبغض في الله من أوثق على الإيمان.

(الْيَوْمَ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي) قيل: ظل العرش، وقيل: ظل يخلقه الله **عَزَّوَجَلَّ**، أما أن الظل صفة لله **عَزَّوَجَلَّ** فلا، فإن النبي **ﷺ** يقول: «كل امرئ تحت ظل صدقته».

ولا يلزم إذا قلنا: ظل العرش أن تكون الشمس أعلى من العرش، فالله **عَزَّوَجَلَّ** يجعل للعرش ظلاً، والشمس دونه، فإن العرش أعلى المخلوقات، والله **عَزَّوَجَلَّ** مستو عليه، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة طه: ٥].

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٣٨ - (٢٥٦٧) حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ**: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيُّنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ** قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَكَ كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ».

٣٨ - (٢٥٦٧) قَالَ الشَّيْخُ أَبُو أَحْمَدَ: أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ زَنْجَوِيَّةَ الْقُسَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو أَحْمَدَ: أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ زَنْجَوِيَّةَ الْقُسَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(حماد بن سلمة) بن دينار، إمام في السنة، وفيه شيء في الحديث، حتى أن البخاري

لم يعتمد.

(ثابت) وهو البناي.

فضيلة التزاور في الله؛ لأن ذلك مما يكون سببا في ثبات الأخ، وتذكيره، وإدخال السرور عليه، وهي عباده بحد ذاتها، وفي الحديث الذي رواه مالك^(١) وغيره: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ»، عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا) قيض له ملكا ينتظره ويترصد له حتى يلقاه، والمدرج: الطريق.

(فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَتَيْتُ تَرْيَدُ؟) مع أنه ربما يعلم.

(قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ) أي أخا في الاستقامة لا في القرابة.

(قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرْبُّهَا؟) يعني: تطلبها، أو تردها، أو تقوم بإصلاحها،

وكان الداعي لك هذا الأمر.

(لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّجَلَّ) وهذا هو الداعي لزيارته والمجالسة له.

(فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ) فيه فضل الحب في الله

والبغض في الله، وفيه اثبات صفة المحبة لله عَزَّجَلَّ.

وفيها أن بني آدم قد يرون الملائكة إذا أمكنهم الله من التحول على غير صورتهم

وقد رأت أم سلمة جبريل، وراه ابن عباس.

قال رحمه الله:

بَابُ فَضْلِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٣٩ - (٢٥٦٨) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَأَبُو الرَّبِيعِ الرَّهْرَانِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَادُ يَعْنِيانِ ابْنَ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثُوبَانَ قَالَ أَبُو الرَّبِيعِ: رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَفِي حَدِيثِ سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَائِدُ الْمَرِيضِ فِي مَخْرَفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ».

٤٠ - (٢٥٦٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثُوبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ».

٤١ - (٢٥٦٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحْبِيِّ، عَنْ ثُوبَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ».

٤٢ - (٢٥٦٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ جَمِيعًا عَنْ يَزِيدَ وَاللَّفْظُ لِرُزْهَيْرٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا عَاصِمٌ الْأَحْوَلُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ وَهُوَ أَبُو قَلَابَةَ، عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيِّ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحْبِيِّ، عَنْ ثُوبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: جَنَّاهَا».

٤٣ - (٢٥٦٨) حَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

(حماد بن زيد) بن درهم، أمام في الحديث.

(أبي قلابة) عبد الله بن زيد الجرمي.

(أبي أسماء) الرحبي.

(ثوبان) بن بجدد، مولى النبي ﷺ.

(عَائِدُ الْمَرِيضِ فِي مَخْرَقَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ) يعني أنه في جنى الجنة، وأنه يرجى له الخير، وفي هذا فضل عيادة المريض المسلم، حيث يدخل السرور عليه، ويذكر بالله، ويُدعى له، ويرقى، وغير ذلك مما يقع، وربما وقعت الهدية.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ فِي أَسَانِيدِ هَذَا الْحَدِيثِ: (عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ) وَفِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى: (عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنِ الْأَشْعَثِ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ) قَالَ التِّرْمِذِيُّ: سَأَلْتُ الْبُخَارِيَّ عَنْ إِسْنَادِ هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ: أَحَادِيثُ أَبِي قِلَابَةَ كُلُّهَا عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ لَيْسَ بَيْنَهُمَا أَبُو الْأَشْعَثِ إِلَّا هَذَا الْحَدِيثُ.

(قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا خُرْقَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: جَنَاهَا) دليل على أن الصحابة كانوا يسألون عما لا يعلمون معناه، وفي هذا رد على المعتزل والجهمية والمفوضة والأشاعرة من أن الصحابة رَضُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ لَا يعلمون معاني الأسماء والصفات فإنهم كانوا يعلمون معانيها، ولو أشكل معناها لسألوا كما في هذا الحديث.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٣ - (٢٥٦٩) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ بْنُ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا بِهِزٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرَضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتَنِي فَلَمْ

تَسْقِيَنِي، قَالَ: يَا رَبَّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانَ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي.

(محمد بن حاتم بن ميمون) هو السمين.

(بهز) هو ابن أسد.

(إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فيه إثبات صفة الكلام لله عَزَّجَلَّ، وهي من الصفات الذاتية الفعلية.

(أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ) والله عَزَّجَلَّ على عرشه، والحديث على ظاهره، لكن ما ظاهره؟ ظاهره أن العبد هو الذي يمرض، وإنما أضافه الله عَزَّجَلَّ الشأن إلى نفسه؛ إكراما للعبد، قال الله عَزَّجَلَّ مخبرا عن إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [سورة الشعراء: ٨٠]، والمرض نقص، والله منزّه عن النقائص والعيوب.

والمبتدعة قد اتهموا أهل السنة بأنهم مؤوله بمثل هذا الحديث، وليس ثمة عند أهل السنة تأويل، إنما أجروا الحديث على ظاهره، لكن ما هو ظاهرة حتى يتهم المبتدعة أهل السنة بالتأويل والتحريف؟ إنما أهل البدعة فهموا الظاهر على سوء ما في قلوبهم من وصف الله عَزَّجَلَّ، فليس ظاهر الحديث بأن الله مرض، هذا لا يقوله عاقل مستقيم العقيدة، إنما ظاهر الحديث عند العربي السليم: أن العبد المسلم هو الذي مرض، وأضاف الله المرض إلى نفسه؛ إكراما لهذا العابد وتشريفا له.

(أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي) وهذا على المعنى الأول، ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [سورة الأنعام: ١٤].

(أَمَّا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي) مثوبة وأجر.

وفي هذا الحديث عظيم شأن المؤمن عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعظيم فضل هذه العبادات الجليلات، عيادة المريض المسلم، وإطعام الجائع المسلم، وسقي المسلم وقد جاء في الحديث: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ سَقْيُ الْمَاءِ»، مذكور عن ابن عباس عند تفسير

قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [سورة الأعراف: ٥٠].

ولو سلمنا جدلاً للمبتدعة أن هذا تأويل سيكون تأويلاً بقرينة، ما هي القرينة؟ القرينة أن الله على العرش استوى، وأنه كامل من كل وجه، وأنه يطعم ولا يطعم، وأن هذه من صفات المخلوقين المربوبين، فأول الحديث؛ لوجود هذه القرائن.

أما هم يؤولون الأدلة بالهوى، ﴿بَلْ يَكْفُرُ الْإِنْسَانُ بِمَا كُنَّ يَدْعَاهُ مَبْسُوطَتَيْنِ﴾ [سورة المائدة: ٦٤] قالوا: نعمته، أو قالوا: قوته، أو قالوا: قدرته، تأويل بغير قرينة أو دليل شرعي، فهو التحريف المحذر منه.

قال رحمه الله:

بَابُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ أَوْ حُزْنٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكِمُهَا

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٤٤ - (٢٥٧٠) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِي رِوَايَةِ عُثْمَانَ مَكَانَ الْوَجَعِ: وَجَعًا^(١).

٤٤ - (٢٥٧٠) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، أَخْبَرَنِي أَبِي، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، (ح) وَحَدَّثَنِي بَشْرُ بْنُ خَالِدٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ كُلُّهُم عَنْ شُعْبَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٦٤٦).

الرَّحْمَنِ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ الْمِقْدَامِ كِلَاهُمَا عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ الْأَعْمَشِ بِإِسْنَادِ جَرِيرٍ مِثْلَ حَدِيثِهِ.

(عثمان بن أبي شيبة) عثمان بن محمد بن إبراهيم، أمام له غرائب، وبعضها قد لا يثبت، فهو من أئمة التفسير، وربما اتهم باللحن في القرآن.

(إسحاق بن إبراهيم) الحنظلي.

(جرير) بن عبد الحميد.

(الأعمش) سليمان بن مهران.

(أبي وائل) شقيق بن سلمة.

(مسروق) بن الأجدع، الوادعي الهمداني.

(مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) سيأتي أنه بسبب: أن النبي ﷺ

يؤجر كما يؤجر الرجال، وللحديث الذي خرج في السنن: أن الناس يتلون على قدر إيمانهم، فأعظمهم إيماناً أعظمهم بلاء والنبي ﷺ لما كان أفضل البشرية وسيد البشرية شدد عليه البلاء وضوعف له العطاء والثواب والأجر.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥ - (٢٥٧١) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسَسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَجَلٌ إِنِّي أُوَعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»، قَالَ: فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَجَلٌ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى مِنْ مَرَضٍ

فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا نَحَطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقُهَا»، لَيْسَ فِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ: فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي ^(١).

٤٥ - (٢٥٧١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ وَيَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي عَنِيَّةَ كُلُّهُمْ عَنْ الْأَعْمَشِ بِإِسْنَادٍ جَرِيرٍ نَحْوَ حَدِيثِهِ وَزَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ.

(دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ): يمرض، فيه عيادة المريض.

(فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي) فيه جس المريض لمعرفة حرارته، وللتطمئن عليه.

(إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا): تمرض مرضاً شديداً.

(أَجَلٌ) أي: نعم.

(إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ) وكان يصبر ﷺ على شدة الألم.

وهذا دليل على أن المرض كفارة لذنوب العباد، فما على العبد إلا أن يحتسب وقد اختلف السلف رَضَوَاللَّهُ عَلَيْهِمْ هل يؤجر العبد بدون احتساب أم لا بد من الاحتساب؟ والذي يظهر أنه يؤجر مطلقاً، احتسب أو لم يحتسب، صبر أم لم يصبر إلا أنه لو صبر كان أجره أكثر وأعظم وأبرك.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦ - (٢٥٧٢) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعًا عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: دَخَلَ شَبَابٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ بِمَنَى وَهُمْ يَضْحَكُونَ فَقَالَتْ: مَا يَضْحَكُكُمْ؟ قَالُوا: فَلَانٌ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٦٤٧).

حَرَّ عَلَى طَنْبٍ فُسْطَاطٍ فَكَادَتْ عُنُقُهُ أَوْ عَيْنُهُ أَنْ تَذْهَبَ فَقَالَتْ: لَا تَضَحِكُوا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيتُ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»^(١).

٤٧ - (٢٥٧٢) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لَهُمَا، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ الْحَنْظَلِيُّ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ».

٤٨ - (٢٥٧٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُصِيبُ الْمُؤْمِنَ شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا قَصَّ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطِيئَتِهِ».

٤٨ - (٢٥٧٢) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.
٤٩ - (٢٥٧٢) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَيُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ يُصَابُ بِهَا الْمُسْلِمُ إِلَّا كُفِّرَ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا».

٥٠ - (٢٥٧٢) حَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ خُصَيْفَةَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ مُصِيبَةٍ حَتَّى الشَّوْكَةُ إِلَّا قُصِّ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»، أَوْ «كُفِّرَ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»، لَا يَدْرِي يَزِيدُ أَيُّهُمَا قَالَ عُرْوَةُ.

٥١ - (٢٥٧٢) حَدَّثَنِي حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنَا حَيْوَةُ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْهَادِ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ، عَنْ عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٦٤٠).



اللَّهُ ﷻ يَقُولُ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ حَتَّى الشُّوْكَةِ تُصِيبُهُ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ».

(منصور) بن المعتمر.

(إبراهيم) تقدم، التيمي.

(الأسود) النخعي.

(دَخَلَ شَبَابٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى عَائِشَةَ) لعله محرم لها، أو كانت محتجبة ولم تكن ثمة

خلوة.

(فُلَانٌ خَرَّ عَلَى طَنْبٍ فُسْطَاطٍ) يعني على عمود فسطاط، أو بقايا فسطاط، الفسطاط:

الخيمة، والطنب: العمود الذي تقام عليه، أو المثبت الذي تثبت به، هو الحبل الذي يشد به الفسطاط، وهو الخباء ونحوه.

انظر لم يذكر الاحتساب في هذا الحديث، وهذا دليل على أنه يؤجر مطلقاً، قال

الحافظ في "الفتح" (١٠/ ١٠٥): قال القرافي المصائب كفارات جزماً سواء اقترن بها الرضا

أم لا لكن إن اقترن بها الرضا عظم التكفير وإلا قل كذا قال والتحقيق أن المصيبة كفارة

لذنب يوازئها وبالرضا يؤجر على ذلك فإن لم يكن للمصائب ذنب عوض عن ذلك من

الثواب بما يوازئيه. اهـ

(إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ) لا يعارض الحديث الأول فالخط

بمعنى: المحو، والرفع بمعنى: الكتابة، أي كتب الله له به درجة وفضيلة ومنزلة مع أن

أسباب الرفع كثيرة، منها العلم والعمل والإيمان وكثرة الخطى إلى المساجد.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٢ - (٢٥٧٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمُّ يَهْمُهُ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»^(١).

(نَصَبٍ): تعب، (وَصَبٍ): مرض، (وَلَا سَقَمٍ) بمعناه.

(وَلَا حَزَنٍ) يعني مما فاته أو مما فقد.

(حَتَّى الْهَمُّ) الذي يقلقه ويشغله ويكرهه.

(إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ) وهذا من عظيم فضل الله على المؤمنين، وإلا لهلكنا كما

سيأتي في تفسير الآية في الحديث الآتي: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [سورة النساء:

١٢٣]، مصيبة، لو أن كل عامل للسوء يجرى به مصيبة وهلكة وفتنة، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ قد

جعل كفارات، فلا يصل المسلم إلى ربه إلا وقد ذهب كثير من ذنوبه.

فمن هذه الكفارات التوبة، والاستغفار، والأعمال الصالحات، كالصلاة والصيام،

والجمعة، والمشي إلى المساجد، وهكذا ما يصيبه من لأواء الدنيا وشدتها وهكذا

سكرات الموت، وما في القبر من الفتنة والضمة ونحو ذلك، كل هذه كفارات، وأيضا

الدعاء له، ولذلك شرعت صلاة الجنازة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٢ - (٢٥٧٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ ابْنِ مُحَيْصِنٍ شَيْخٍ مِنْ قُرَيْشٍ سَمِعَ مُحَمَّدَ بْنَ قَيْسٍ بْنِ مَخْرَمَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٦٤١).

[سورة النساء: ١٣] بَلَغَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدُّوا فَنَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّى النَّكْبَةُ يُنْكَبُهَا، أَوْ الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا» (١)

قَالَ مُسْلِمٌ: هُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَيْصِنٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ.

(لَمَّا نَزَلَتْ ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾) سيئات ومخالفات ومعاص.

(﴿يُجْزَ بِهِ﴾) يعاقب عيله في دنياه وأخراه، أو في كليهما.

(بَلَغَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغًا شَدِيدًا) لأن ما من المسلم إلا وهو يعمل سوء قاصدا

أو غير قاصد، كان السوء كبيرا أو صغيرا، إلا ما رحم ربي.

(قَارِبُوا) أَي: اقْتَصِدُوا فَلَا تَغْلُوا وَلَا تُقْصِرُوا، بَلْ تَوَسَّطُوا (وَسَدُّوا)، أَي: اقْصِدُوا

السَّدَادَ وَهُوَ الصَّوَابُ.

(فَنَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ) من النوائب في نفسه أو ماله أو ولده.

(كَفَّارَةٌ) مذهبة لذنوبه ومعاصيه.

(حَتَّى النَّكْبَةُ يُنْكَبُهَا) وَهِيَ مِثْلُ الْعَثَرَةِ يَعْتَرُهَا بِرِجْلِهِ، وَرَبَّمَا جُرِحَتْ إِبْصَعُهُ، وَأَصْلُ

النَّكْبِ الْكَبُّ وَالْقَلْبُ.

(أَوْ الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا) في رجله أو يده فيكفر عنه بها، وهذا من عظيم فضل الله الواسع.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٣ - (٢٥٧٥) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ الصَّوَّافُ، حَدَّثَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا أُمُّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ

تُرْفَزِفِينَ؟» قَالَتْ: الْحُمَّى لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا فَقَالَ: «لَا تَسْبِي الْحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».

هذا الحديث مسلسل بالتحديث.

(أُمُّ السَّائِبِ أَوْ أُمُّ الْمُسَيَّبِ) شك من الراوي، وهي من الأنصار.

(تُرْفَزِفِينَ): أي تتفضين، شدة الانتفاض من شدة الحر، ربما تكون برودة الحمى من جهة حارة ومن جهة تسبب البرودة للجسم؛ لأن الحرارة تخرج من الجسم وتبقى البرودة داخل الجسم.

(الْحُمَّى لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا) دعت عليها لشدتها.

(لَا تَسْبِي الْحُمَّى) المرض الذي سببه الله وفيه خير.

(فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ) ذنوبه ومعاصيه.

(كَمَا يُذْهِبُ الْكَبِيرُ) النار.

(خَبَثَ الْحَدِيدِ)؛ لأن الحمى يأتي على جميع الجسم، ربما يتألم الإنسان من أسه إلى رأسه، وفي جميع بدنه.

(تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ) أي المسلمين، أما الكفار لا عبرة لهم، وهذا الإطلاق يوضحه الأحاديث السوابق.

وفيه ضرب الأمثال، وربما استدل به من يرى القياس على جواز القياس، وفيه أن النار تهذب الحديد والفضة والفلز، وهكذا المؤمن الذي عنده كبائر يدخل النار إن شاء الله أن يعذبه، فإذا هُذب دخل الجنة، أما المشرك لما كان لا يهذب مطلقاً فإنه يعذب مطلقاً، والذي يكفر من الذنوب بما تقدم هي الصغائر، وأما الكبائر فجمهور العلماء على شرط التوبة منها، والله أعلم.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٤ - (٢٥٧٦) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَبِشْرُ بْنُ الْمَفْضَلِ قَالَا: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ أَبُو بَكْرٍ، حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ قَالَتْ: إِنِّي أَصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي قَالَ: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ»، قَالَتْ: أَصْبِرُ قَالَتْ: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا ^(١).

(يحيى بن سعيد) القطان.

(عطاء بن أبي رباح) هناك أعطية كثر، عطاء بن يسار، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء

بن ميناء.

وفيه فضيلة الصبر، إذ بشرت هذه المرأة بالجنة بسبب صبرها، وفيها أن الجنة تنال بالأعمال الصالحة، لا مدخل للسواد أو البياض، والطول والعرض، والقبيلة وعدمها في ذلك، فإن المؤمن يوم القيامة أبيض والكافر أسود، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ [سورة آل عمران: ١٠٦-١٠٧].

وفيه أن الصرع ينقسم إلى قسمين: صرع بسبب مرض جسماني، وصرع بسبب مس شيطاني.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٦٥٢).

وفيه سوء الكشف، لا سيما من النساء، وانظروا إلى هذه المرأة مع مرضها وتحب السر، والآن كثير من النساء مع عافيتها تتعرض للكشف، والله المستعان، «نساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات».

(فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا تَكْشَفَ) جواز طلب الدعاء من الرجل الصالح.

(إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ) ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر:

١٠].

(وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِكَ) ودعاء النبي ﷺ غالبة يستجاب.

(قَالَتْ: أَصْبِرْ) في خارج الصحيح: لا أجعل الجنة خطرا.

وهذا دليل على أن الصرع يُثاب عليه من أفضل ما يكون من الثواب، والله المستعان.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٥ - (٢٥٧٧) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَهْرَامِ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ الدَّمَشَقِيِّ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبٍ

رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ
وَأَنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا
عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَأَنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي
فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا
أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ
خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».

قَالَ سَعِيدٌ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ.
٥٥ - (٢٥٧٧) حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُسْهَرٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْعَزِيزِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ غَيْرَ أَنْ مَرْوَانَ أَتَمَّهُمَا حَدِيثًا.

٥٥ - (٢٥٧٧) قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: حَدَّثَنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ابْنَا بَشِيرٍ
وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو مُسْهَرٍ فَذَكَرُوا الْحَدِيثَ بِطَوِيلِهِ.

٥٥ - (٢٥٧٧) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ
الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ،
عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى
نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي فَلَا تَظَالُمُوا»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ، وَحَدِيثُ أَبِي
إِدْرِيسَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ أَتَمُّ مِنْ هَذَا.

(عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي) صاحب السنن، إمام، رثاه البخاري

بقوله:

إِنْ تَبَقَّ تُفْجَعُ بِالْأُجْبَةِ كُلُّهُمْ وَفَنَاءُ نَفْسِكَ لَا أَبَالَكَ أَفْجَعُ
(أبي إدريس الخولاني) عاذه الله، ذكر أنه ألقى في النار وسلم منها، وقال عمر:
الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من حاله كإبراهيم.
(أبي ذر) جندب بن جنادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ) هذا يسمى حديث قدسي، وفيه إثبات أن الله عَزَّوَجَلَّ يتكلم بحرف وصوت، متى شاء وكيف شاء وبما شاء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١].

(يَا عِبَادِي) العبودية العامة التي يشترك فيها البر والفاجر والمؤمن والكافر.
(إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا) وفي هذا رد على الجبرية، من حيث تجويز أن يعذب العبد بدون جريمة أو ذنب حتى قال القائل:
وجاز للمولى يعذب الوري = من غير ما ذنب ولا جرم جرى

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت: ٤٦]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ٤٩]، فالظلم مذموم شرعاً وقدرًا، «والظلم ظلمات يوم القيامة»، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، ومع ذلك تنزه عن هذه الصفة؛ لأنها صفة نقص لا كمال فيها.

والظالم: هو الذي يأخذ حق غيره، أو يأخذ ما لا يجوز له، وأما حديث (لو أن الله عذب أهل سمواته وأرضه عذبهم غير ظالم لهم) فليس فيه أن يعذب من غير ذنب، ولكن لو أراد تعالى مآخذتهم على ما يعطي ويسدي لهم لكانت أعمالهم غير موزية لذلك، فيعذبون على القصور، ولكن الله يضاعف لمن يشاء.

(يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ) ضال: إما جاهل، وإما ضال: منحرف عن الصراط المستقيم، ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [سورة الضحى: ٧] أي: جاهلاً ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [سورة الفاتحة: ٧]: منحرفين.

(إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ): أرشدته ووفقته وعلمته.

(فَاسْتَهْدُونِي): اطلبوا مني الهدى وادعوا الله عَزَّوَجَلَّ به.

(أَهْدِكُمْ) ولهذا أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ أن نقرأ في الصلاة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [سورة الفاتحة: ٦-٧].

وفي هذا أهمية الدعاء، وأنه من الأمور المتحتمات، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [سورة البقرة: ١٨٦]، ومن ذلك سؤال الهداية؛ لأنه سبيل البعد عن الغواية.

(يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أُطْعِمْكُمْ) أي: لولا أن الله هو الذي يهيأ المطاعم لهلك الناس، والله **عَزَّوَجَلَّ** وإن كان قد قدر مطاعم العباد وأرزاق العباد لكنه يحب من عباده أن يسألوه أرزاقهم.

(يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ): ألبسته.

(فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ) سواء لباس الدين والاستقامة.

وإني بحمد الله لا ثوب فاجرٍ لبست ولا من غدره أتقنعُ ﴿وَيُنَادِيكَ فَطِيرٌ﴾ [سورة المدثر: ٤]، أو اللباس الحسي الذي يوارى السوءة، ﴿حُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف: ٣١].

وهذه الثلاثة الأسئلة دليل على فقر العبد إلى ربه، وإلى حاجته إليه، وإلى عدم غناه عنه.

(يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) تذنبن، وقد قال النبي ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ»**، وقد تكون الخطايا كبائر، وقد تكون صغائر، وقد تكون عن علم، وقد تكون عن جهل، إلا أن الجاهل عن العلم معذور بجهله إن لم يكن معرضاً عن العلم.

(وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) كما قال: ﴿وَمَنْ يَعْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٥]، لكن بشروطها، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [سورة طه: ٨٢]، والنبي ﷺ كثيراً ما كان يستغفر الله، كما قال: **«وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ وَأَتُوبُ فِي**

الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً».

(يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرْيَ فَتَضُرُّونِي)؛ لعجزهم، وفقْرهم، وحاجتهم وخُلَّتْهم، ولغنى الله عَزَّجَلَّ عن عبادِهِ، وقوته وقهره.

(وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي) مهما كان الإنسان في طاعة فالله غني عنه، ومهما كان في معصية فالله غني عنه، ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۚ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [سورة فاطر: ١٧-١٥].

(يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا)؛ لأنه متصف بالغنى المطلق، عبد أم كفر أطاعوه أم عصوه.

(يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا) فحين خلقهم لم يخلقهم لحاجة لهم، فالله هو الغني الحميد، غناه غنى ذاتي، بخلاف المخلوق حتى وإن كان غنيا فإنه غنى نسبي فتجد الرجل الغني يحتاج إلى زوجة، يحتاج إلى بيت، يحتاج إلى مركب، يحتاج إلى مأكُل، يحتاج إلى مطعم، يحتاج إلى ملبس، دليل على فقره، فالفقر لازم للمخلوق والغنى لازم للخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ)؛ مطلبه، ولو أبلغ في الطلب، لو قال كل واحد منهم: أريد مثل الأرض وأعطاهم الله عَزَّجَلَّ ما نقص ذلك من ملك الله شيء.

(مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرُ) ما عسى المَخِيط يخرج؟ بكم يخرج المَخِيط من الماء؟ لا يخرج بشيء، يخرج مبللا، سرعان ما تزول البلة عنه.

(يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ): أحفظها، من معاني الإحصاء: الحفظ،
﴿أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة يس: ١٢] أي: حفظناه، «من أحصاها دخل الجنة»
أي: حفظها، وقيل: من أطاقها؛ لأن من معاني الإحصاء الإطاعة أيضا.
(ثُمَّ أَوْفَيْكُمُ يَتَاهَا) أي يوم القيامة، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [سورة الشعراء: ٨٨-٨٩].

(فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا) الحسنات والمضاعفات.
(فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ) الذي وفقه وسدده وأعانته على فعل الخير وقبلة منه.
(وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ) أي وجد شرًا وسيئات.
(فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)؛ لأنه خُذِلَ بسبب ذنوبه ومعاصيه وتقصيره وزهده في الخير.
(كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ جَنَّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ)؛ لما فيه من
المعاني البليغة، والجمل البديعة، الدالة على عظيم غنى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، والدالة على
حاجة العبد وضعفه إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

وإذ يخبر ربنا عَزَّوَجَلَّ بهذه الأخبار يدعوننا إلى تحقيق ما دلت عليه، من تعين العبادة،
والطاعة، والدعاء، وحسن العمل، ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ [سورة يس: ١٢]،
تكتب أعمالهم، وتكتب آثارهم التي تكون بعدهم.

فهنيئًا لمن كان من أهل العلم، والدعوة، والخير، والويل لمن نشر الشر والضير،
وقد تقدم قول رسول الله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى الْهُدَى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ،
لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامٍ مَنْ
تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»، فالإنسان يلوم نفسه.

وهذا رد على الجبرية الذين يزعمون أن الإنسان كالريشة في مهب الريح، لو كان
كما قالوا لكان اللوم واقع على الله، تعالى الله عن قولهم، ولكن اللوم واقع على
أنفسهم، إذ أنهم هم الذين كفروا وأعرضوا وعصوا.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٦ - (٢٥٧٨) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنُ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ يَعْنِي ابْنَ قَيْسٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِقْسَمٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحْلَوْا مَحَارِمَهُمْ».

(عبد الله بن مسلم بن قعنب) القعني، كان رَحِمَهُ اللَّهُ يتصدر لطلابه في الليل بعد أن لم يجدوا الوقت الكافي للتلمذ عليه.

(جابر بن عبد الله) أبو عبد الله.

(اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ظلمات، ربما يكون من أسباب دخول النار والنار ظلمات، أي اجتنبوا الظلم؛ لما يؤدي إليه من الظلمات يوم القيامة، ولما يؤدي إليه من أخذ الحقوق، فإن الإنسان لا يمكن أن يدخل الجنة وعنده لأحد مظلمة، فإن فنيت الحسنات أخذ من السيئات وطرح عليه.

(وَاتَّقُوا الشُّحَّ): هو شدة البخل، اجتنبوه.

(فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) أي من الأمم، البخل صفة ذميمة، قال النبي ﷺ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ»، ولذلك كان الكرم صفة لله عَزَّوَجَلَّ، وصفة للأنبياء، وصفة للمؤمنين.

(حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ) بخلوا بالأموال حتى وصل بهم الأمر أن تسفك الدماء؛ لشدة الحرص على الأموال، يقتتلون.

(وَاسْتَحْلَوْا مَحَارِمَهُمْ) استحلوا الحرام من أجل المال، من أجل الدنيا.

وهذا الحديث قد جاء بلفظه عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



قَالَ الْقَاضِي: يُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا الْهَلَاكَ هُوَ الْهَلَاكَ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ فِي الدُّنْيَا بِأَنَّهُمْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ هَلَاكَ الْآخِرَةِ، وَهَذَا الثَّانِي أَظْهَرَ. وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَهْلَكَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قَالَ جَمَاعَةٌ: الشُّحُّ: أَشَدُّ الْبُخْلِ، وَأَبْلَغُ فِي الْمَنَعِ مِنَ الْبُخْلِ.

وَقِيلَ: هُوَ الْبُخْلُ مَعَ الْحِرْصِ.

وَقِيلَ: الْبُخْلُ فِي أَفْرَادِ الْأُمُورِ، وَالشُّحُّ عَامٌّ.

وَقِيلَ: الْبُخْلُ فِي أَفْرَادِ الْأُمُورِ، وَالشُّحُّ بِالْمَالِ وَالْمَعْرُوفِ.

وَقِيلَ: الشُّحُّ: الْحِرْصُ عَلَى مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، وَالْبُخْلُ بِمَا عِنْدَهُ. أَفَادَهُ النُّووي

وفي هذا أن الأخلاق السيئة تجر إلى السيء من الأخلاق، والسيء من الأفعال، فالشجاعة تجر إلى الكرم، والمروءة، والمعروف، والبذل، والبخل يجبر إلى الجبن، والخوف، والحرص، والإساءة.

وقد ذكر أهل العلم: أنه لا يجتمع الشجاعة والبخل في شخص، كما لا يجتمع الكرم والجبن في شخص، والله المستعان.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٥٧ - (٢٥٧٩) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمَاجِشُونُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(١).

(محمد بن حاتم) هو السمين.

(شبابة) هو ابن سيار.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٤٤٧).

قال الحافظ في "فتح الباري" (٥/ ١٠٠): قال بن الجوزي الظلم يشتمل على معصيتين أخذ مال الغير بغير حق ومبارزة الرب بالمخالفة والمعصية فيه أشد من غيرها لأنه لا يقع غالبا إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب لأنه لو استنار بنور الهدى لا اعتبر فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عنه ظلمه شيئا. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٨ - (٢٥٨٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

(قتيبة بن سعيد) أبو رجاء.

هذا السند يتكرر كثيرا، لو أن الطالب يتتبع ما في صحيح مسلم لخرج بصحيفة.

(سالم) قيل فيه: أحد الفقهاء السبعة أو العشرة.

(عن أبيه) عبد الله بن عمر.

(الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ) أخوة إيمانية، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

(لَا يَظْلِمُهُ) بنفسه، (وَلَا يُسْلِمُهُ) لغيره.

(مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ) كما في الحديث الآخر: «والله في عون

العبد ما كان العبد في عون أخيه»، والجزاء من جنس العمل، وهذه منقبة عظيمة ودعوة

إلى السعي في قضاء حوائج المسلمين، وأن النفع المتعدي أنفع من اللازم.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٤٤٢).

(وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) وربما فرج عنه كربة من كرب الدنيا والآخرة، فربنا أكرم، كما في الحديث: «نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عن عبادي»، وفيه عظيم تفريج كرب المسلمين وقضاء حاجاتهم.

(وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) من ستر مسلماً في الدنيا بجريرة ارتكها ستره الله يوم القيامة، ولا سواء، فإن فضيحة الدنيا لا شيء بالنسبة إلى فضيحة الآخرة، فإن فضيحة الآخرة تكون على رؤوس الأشهاد، ينادى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة هود: ١٨]، والجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٩ - (٢٥٨١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

(علي بن حجر) السعدي.

(إسماعيل بن جعفر) شذ بقوله: «أفلح وأبيه إن صدق»، كلمة (وأبيه).

(العلاء) بن عبد الرحمن، مولى الحرقة.

(عن أبيه) شذ بحديث: «إذا انتصف شعبان فلا تصوموا»، لفظ منكر، أنكر على

العلاء بن عبد الرحمن.

(الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ) وذلك أن كلمة مفلس تطلق على معنيين:

الفلس الحسي، وهو عدم وجود المال، والفلس المعنوي، وهو ذهاب الحسنات، ولا

يسمى الرجل مفلساً إلا إذا ذهب ماله أو ذهبت حسناته بعد أن كانت موجودة، ولذلك يوجد في كتب الفقه: أحكام المفلس، والحجر، ونحو ذلك.

(إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ) يعني من أصحاب الأعمال الصالحة، من أصحاب المبرات والقربات، فالصلاة أفضل الأعمال بعد التوحيد، والصيام أجره عظيم، والزكاة المفروضة أجرها كبير.

(وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا): سبة.

(وَقَذَفَ هَذَا) إما بالزنا أو بغير ذلك من القذف والتهم، فالقذف أعم من التهمة بالزنا.

(وَأَكَلَ مَالَ هَذَا) إما بالسرقة، وإما بالنهبة، وإما بالاغتصاب، وإما بالجحود ونحو ذلك.

(وَسَفَكَ دَمَ هَذَا) إما قتلاً وإما جراحة، فإن لم يتحلل لزمه الحكم.

(وَضَرَبَ هَذَا) بالعصا، أو بالنعل، أو بغير ذلك.

(فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ) أي يُعْطَى المظلوم من حسنات الظالم، وهذه فاقرة أن تذهب عنه حسناته في أحوج ما يكون إليها.

(فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ): من سيئاتهم.

(فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ) فزادت سيئاته، وتكون قد ذهبت حسناته، وهذه فاقرة أخرى أن يحمل من سيئات غيره، (ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ).

لكن ليس معنى هذا الحديث: أنها تذهب حسناته حتى حسنة التوحيد، فحسنة التوحيد باقية، ولذلك مآل الظالم من أهل الملة إلى الجنة، وإن عذب في النار قبل ذلك.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٠ - (٢٥٨٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرَنَاءِ».

(يحيى بن أيوب) المقابري، هناك الغافقي، فيه ضعف.

(لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) هذا قسم، والله لتؤدن الحقوق، المظالم إلى أهلها يوم القيامة، سواء كانت غيبة، أو نيمية، أو بهت، أو أخذ مال، أو قذف عرض، أو دم، أو نحو ذلك من الحقوق، فعلى المسلم أن يسعى في تخلص نفسه من الذنوب والمعاصي بالتوبة والتحلل، ففي البخاري (٦٥٣٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطَرِحَتْ عَلَيْهِ».

(حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ) التي ليس لها قرون (مِنَ الشَّاةِ الْقَرَنَاءِ)؛ لأنها أشد بطشا من الجلحاء.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا تَصْرِيحٌ بِحُسْرِ الْبَهَائِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِعَادَتِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يُعَادُ أَهْلُ التَّكْلِيفِ مِنَ الْأَدَمِيِّينَ، وَكَمَا يُعَادُ الْأَطْفَالُ وَالْمَجَانِينُ وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةٌ، وَعَلَى هَذَا تَظَاهَرَتْ دَلَائِلُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [سورة التكوين: ٥] وَإِذَا وَرَدَ لَفْظُ الشَّرْعِ، وَلَمْ يَمْنَعْ مِنْ إِجْرَائِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ عَقْلٌ وَلَا شَرْعٌ وَجَبَ حَمْلُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ. اهـ

حتى العقول الفاسدة إذا رأت المنع لا يلتفت إليها، فنحن نؤمن بما أخبر الله ﷻ. وهذا القصاص ليس من قصاص التكليف، إنما من باب أن الحقوق تقضى جميعها، وإلا الحيوان البهيم ليس بمكلف.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٦١ - (٢٥٨٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا بُرَيْدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ»، ثُمَّ قرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود: ١٠٢] ^(١).

(محمد بن عبد الله بن نمير) البخاري في الهمداني.

ويدخل في الحديث الظالم لنفسه، فليتنبه كل إنسان على نفسه، إن كانت مظلمته مع غيره فليتحلل، وإن كانت مظلمته مع نفسه فليتب إلى الله عَزَّجَلَّ، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ [سورة فاطر: ٣٢]، وموسى لما قتل القبطي خطأ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة القصص: ١٦].

(يُمْلِي): يؤخر العقوبة؛ لأنه الحليم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وفي رواية يمهل، وقد قال تعالى: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمْ رُؤُودًا﴾، حتى يأخذهم بعد ذلك، وكما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: ٤٥]، وعن عقبة بن عامر عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ" ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾. أخرجه أحمد

(فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ) أخذه ﴿أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ﴾ [سورة القمر: ٤٢].

(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ): مشركة، وربما يدخل فيها غير

ذلك من الظلم.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٦٨٦).

(﴿إِنَّ أَخَذَهُوْا إِلَيْكُمْ شَدِيدٌ﴾): موجه، نسال الله السلامة والعافية، من الظلم وما إليه. فهذا الباب أحاديثه في هذه الجريمة الشنعاء، المنتشرة، لا سيما في هذه الازمنة المتأخرة، تلبس بها أهل الرفض، والباطنية، ومن إليهم، فكلما كانت الفرقة أبعد عن دين الإسلام كلما كانت أشد حطمة على المسلمين، والله المستعان.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ نَصْرِ الْأَخِ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٦٢ - (٢٥٨٤) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: اقْتَتَلَ غُلَامَانِ غُلَامٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَغُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَنَادَى الْمُهَاجِرُ أَوْ الْمُهَاجِرُونَ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَنَادَى الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا هَذَا؟ دَعَوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا أَنَّ غُلَامَيْنِ اقْتَتَلَا فَكَسَعَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ قَالَ: «فَلَا بَأْسَ، وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْتَهُ فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ، وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ»^(١).

٦٣ - (٢٥٨٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّغِيِّ وَابْنُ أَبِي عَمْرٍو وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ ابْنُ عَبْدِ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ: سَمِعَ عَمْرُو جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَالُ دَعَوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنِنَةٌ»، فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فَقَالَ: قَدْ فَعَلُوهَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٥١٨).

مِنْهَا الْأَدَلُّ، قَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُتْقَ هَذَا الْمُتَنَافِقِ فَقَالَ: «دَعُوهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ».

٦٤ - (٢٥٨٤) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبرَاهِيمَ وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ. قَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عُمَرُو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ الْقَوْدَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوها فَإِنَّهَا مُتَنَتَةٌ» قَالَ ابْنُ مَنْصُورٍ فِي رِوَايَتِهِ: عَمَرُو قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرًا.

(أحمد بن عبد الله بن يونس) اليربوعي، قيل فيه: عالم سنة.

(أبو الزبير) محمد بن مسلم بن تدرس، حسن الحديث إذا صرح بالحديث أو كان الراوي عنه الليث، أو كان حديثه في الصحيح.

هذا حديث عظيم، فيه ما يقع بين الناس من الخلاف والشقاق، ولكن المسلم يتجرد للحق والدليل، فيكون ناصراً لأخيه، إن كان محققاً نصره لأخذ حقه، وإن كان مخطئاً نصره بدفعه عن باطله.

وفيه أن الانتساب للقبيلة لا لمجرد النسبة وإنما للمكاثرة والمغالبة أنها من دعوى الجاهلية، وإلا فإن الإنسان قد ينتسب إلى قبيلته وأهله وربعه من با التعريف. لكن إذا كان من باب الافتخار بالقومية، أو التكثر على الناس والمغالبة لهم فإنها دعوى الجاهلية.

وفي الحديث ذم دعوى القومية لأنها دعوة تقوم على عصبية وقديماً ذم الناس الشعوبية، وفي هذه الفترة ظهرت الدعوة القومية العربية، والدعوة القومية اليمنية، وتعالج هذه الفتنة بالدعوة إلى الإسلام والسنة الصحيحة، وقد أحسن من قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم
دعني القوم ينصر مدعيه فيلحقه بذئ النسب الصميم

وما كرمٌ ولو شرفت جدود ولكنَّ التقي هو الكريم
وفي هذا الحديث إنكار المنكر، إذ خرج النبي ﷺ مسرعاً لإنكاره.
وفيه إبداء العذر من قولهم: لا يا رسول الله لسنا دعاة جاهلية، إلا أن الواقع أن
غلامين اقتتلا فكسع أي: ضرب أحدهما الآخر.

وهذا الحديث قد جاء في البخاري عن أنس: «**أَنْصُرَ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**» فَقَالَ
رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ:
«**تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»، لأنك تنصره على الشيطان، وتأطره على
الحق، وتنصره على هوى النفس، ونحو ذلك.

وهذا من أبلغ وأنفع أنواع النصر، أن الإنسان يُنصر بتحصيل الحسنات والبعد عن
السيئات.

قوله: (دَعُوها فَإِنَّهَا مُتْنَتُهُ): قبيحة كريهة مؤذية، أي العصبية، وأبعد ابن حزم فقال:
بأنه يريد الدُّبر؛ لأن الكسعة كانت على دبر ذلك الغلام، فنهاه النبي ﷺ فإنها ممتنة.

وفيه استغلال المنافقين للخلاف بين الإخوان، فيدخلون منها، ويظهرون ما في
قلوبهم، فانظر إلى رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول مباشرة قال هذه الكلمة
المنكرة التي أنكرها الله في كتابه: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا
الَّذِلَّ﴾ [سورة المنافقون: ٨] وردها بقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٨]: لا يعلمون ذلك ولا يفهمونه؛ لأن العز
عندهم بالمال، والسلطة والجاه، بينما العزة في الإسلام بالطاعة، والتوحيد، والسنة،
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [سورة فاطر: ١٠].

وفي هذا الحديث من الفوائد: أن الإنسان يتقي قالة الناس بما استطاع، فإن الناس لا
يتثبتون، إلا ما رحم ربي، فربما يقول القائل: محمد يقتل أصحابه، لا يدرون أنه منافق،
وأنه ليس من الصحابة.

وهكذا الداعي إلى الله، عليه أن يتبين ويبين، ما يكون نافعا للناس، وما لا يؤدي إلى فتنة أحدهم.

وفي هذا الحديث من الفوائد: عدم عقوبة المستحق أو تأخير العقوبة عن المستحق إن كانت ستفضي إلى مفسدة، فالشأن يعود إلى المصلحة الشرعية والمصلحة القدريّة التي تحصل للمسلم.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاَضُدِهِمْ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٦٥ - (٢٥٨٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ وَأَبُو أُسَامَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ وَابْنُ إِدْرِيسَ وَأَبُو أُسَامَةَ كُلُّهُمْ عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»^(١).

(عبد الله بن إدريس) الأودي، (أبو أسامة) حماد بن أسامة.

(ابن المبارك) عبد الله.

السند مسلسل باليمينين.

(الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) إذ أن الحجرة تشد أختها، واللبنة تمسك بصاحبها، وإذا لم يكن ثم الترابط انهار البناء، وهكذا إذا لم تقم الأخوة الإيمانية والأخوة الإسلامية على المعنى الذي أراده الله وأراده رسوله ﷺ انهدم بناء الدولة المسلمة.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٨١).

وما ترونه من ضعف المسلمين الآن أمام الأعداء من اليهود والنصارى ومن إليهم سببه ضعف هذا الترابط، الذي جعله الله **عَزَّوَجَلَّ** بين المؤمنين، **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾** [سورة التوبة: ٧٨]: بعضهم من بعض.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٦٦ - (٢٥٨٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى**» ^(١).

٦٦ - (٢٥٨٦) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ الْحَنْظَلِيُّ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ** بِنَحْوِهِ.

٦٧ - (٢٥٨٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «**الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى**».

٦٧ - (٢٥٨٦) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «**الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ**».

٦٧ - (٢٥٨٦) حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ** نَحْوَهُ.

(محمد بن عبد الله بن نمير) الهمداني الخارفي.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٠١١).

(الشعبي) عامر بن شراحيل الشعبي، شعب همدان، اليمني.

(النعمان بن بشير) الأنصاري اليمني.

(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ) وهذا مثل آخر ضربه النبي ﷺ لعظيم شأن رابطة المسلمين والمؤمنين، وأنهم في المودة والرحمة والتعاطف والإعانة والتجاوز كمثل الجسد الواحد، والجسد الواحد يتألم من جرح في أي موطن فيه، (إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)، فهكذا المؤمن يتألم لأخيه المؤمن أن يصاب بشدة، أو جوع، أو حرب، أو أذى.

ولذلك تجد المؤمنين الآن جميعاً يتألمون على ما يحصل لإخوانهم في فلسطين وفي غيرها من البلدان، ويتمنى أحدهم لو استطاع أن ينصرهم بنفسه وماله، لكن هناك أسباب قدرية وأسباب شرعية حالت بين المسلمين وبين هذا الأمر الذي نزل بهم ومع ذلك يقع منهم الدعاء لبعضهم، وهكذا بذل النصيحة، ونحو ذلك مما يكون.

فهذان الحديثان العظيمان من أشهر ما يكون من الأحاديث في بيان عظيم الألفة بين المسلمين والمؤمنين، وقد تقدم في كتاب الإيمان: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، وخارج صحيح: «من الخير».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ النَّبِيِّ عَنِ السَّبَابِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٨ - (٢٥٨٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْتَبَانَ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ».

(يحيى بن أيوب) المقابري، هم أربعة في (التهذيب) يحيى بن أيوب: يحيى بن أيوب الغافقي، وفيه ضعف، يحيى بن أيوب المقابري، والثالث: يحيى بن أيوب البجلي لا بأس به، والرابع: يحيى بن أيوب الخولاني، مولا هم.

(المُستَبَان) الذي وقع بينهما السباب، فالواقع منهم يكون فيه الإثم على البادي، (مَا لَمْ يَتَعَدِ الْمَظْلُومُ) بالتجاوز في السب، أو اللعن، أو الانتصار.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذَا جَوَازُ الْإِنْتِصَارِ، وَلَا خِلَافَ فِي جَوَازِهِ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ عَلَيْهِ دَلَالَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ أَتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [سورة الشورى: ٤١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [سورة الشورى: ٣٩] وَمَعَ هَذَا فَالصَّبْرُ وَالْعَفْوُ أَفْضَلُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة الشورى: ٤٣] وَلِلْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ بَعْدَ هَذَا: «مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا».

وَأَعْلَمُ أَنَّ سَبَابَ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ حَرَامٌ كَمَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَلَا يَجُوزُ لِلْمُسَبُّوبِ أَنْ يَنْتَصِرَ إِلَّا بِمِثْلِ مَا سَبَّهُ، مَا لَمْ يَكُنْ كَذِبًا أَوْ قَذْفًا أَوْ سَبًّا لِأَسْلَافِهِ. فَمِنْ صُورِ الْمُبَاحِ أَنْ يَنْتَصِرَ بِنِهَا ظَالِمٍ، يَا أَحْمَقُ، أَوْ جَافِي، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يَنْفَكُ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ.

قَالُوا: وَإِذَا انْتَصَرَ الْمُسَبُّوبُ اسْتَوْفَى ظُلَامَتَهُ، وَبَرَى الْأَوَّلَ مِنْ حَقِّهِ، وَبَقِيَ عَلَيْهِ إِثْمُ الْإِبْتِدَاءِ، أَوِ الْإِثْمُ الْمُسْتَحَقُّ لِلَّهِ تَعَالَى.

وَقِيلَ: يَرْتَفِعُ عَنْهُ جَمِيعُ الْإِثْمِ بِالْإِنْتِصَارِ مِنْهُ وَيَكُونُ مَعْنَى عَلَى الْبَادِي، أَي: عَلَيْهِ اللَّوْمُ وَالذَّمُّ لَا الْإِثْمُ.

والصبر عظيم شأنه، إلا أن أكثر الناس لا يصبرون، والله المستعان.

قال رحمه الله:

بَابُ اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُّعِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٦٩ - (٢٥٨٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ».

قوله: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ) وإن كانت قد تنقصه حسا إلا أنها لا تنقصه معنى، إلا أَنَّهُ يُبَارَكُ فِيهِ، وَيَدْفَعُ عَنْهُ الْمَضَرَّاتِ، فَيَنْجِبُ نَقْصُ الصُّورَةِ بِالْبَرَكَةِ الْخَفِيَّةِ. والثاني: أَنَّهُ وَإِنْ نَقَصَتْ صُورَتُهُ كَانَ فِي الثَّوَابِ الْمُرْتَبِ عَلَيْهِ جَبْرٌ لِنَقْصِهِ، وَزِيَادَةٌ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعُ عَلَيْهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٦١].

(وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا) يعني: من عفى وقهر نفسه وقهر شيطانه وجاوز عن عدوه كان ذلك من أسباب رفعته.

تَوَاضَعَ تَكُنْ كَالنَّجْمِ لَاحٍ لِنَظِيرٍ عَلَى صَفْحَاتِ الْمَاءِ وَهُوَ رَفِيعٌ وَلَا تَكُ كَالدُّخَانِ يعلو بنفسه إِلَى طَبَقَاتِ الْجَوِّ وَهُوَ وَضِيعٌ والنبي ﷺ كان يحب العفو، ومن صفات الله عز وجل قبل ذلك أنه يعفو ويصفح، فالإنسان يتخلق بهذا الخلق العظيم، وما رُفِعَ إِلَى النبي ﷺ شيء لا أمر فيه بالعفو، فهذا خلق نبيل، وخلق عظيم، (اغفروا يغفروا الله لكم)، واعفوا، يعفو الله عنكم وتجاوزوا، يتجاوز الله عنكم، وهكذا، فالجزاء من جنس العمل.

(وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ) وفي حديث عياض بن حمار «وإن الله أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»، فالتواضع صفة

المؤمنين، والكبر صفة المخالفين، ولا يجوز لأحد أن يتصف بهذه الصفة إلا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ لأنه المستحق لها، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [سورة الحديد: ٣]، وهو المتكبر **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

فالمؤمن يكون لين الجانب لإخوانه ولمن إليه، فإن التواضع صفة آدم، والكبر صفة إبليس، أخرجته من الجنة.

قال ابن حبان في "روضة العقلاء" (ص: ٥٩): الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة التكبر ولو لم يكن في التواضع خصلة تحمله إلا أن المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعة لمكان الواجب عليه أن لا يتزيا بغيره.

والتواضع تواضعان أحدهما محمود والآخر مذموم والتواضع المحمود ترك التطاول على عباد الله والإزراء بهم والتواضع المذموم هو تواضع المرء لذي الدنيا رغبة في دنياه.

فالعاقل يلزم مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها ولا يفارق التواضع المحمود على الجهات كله. اهـ

قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

بَابُ تَحْرِيمِ الْغِيْبَةِ

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

٧٠ - (٢٥٨٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَذَرُونَ مَا الْغِيْبَةُ؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**»، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَتْهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَتْهُ**».

هذا مرض شديد في الأمة، قد لا يسلم منه إلا النادر، والنادر لا حكم له كما يقال، فالغيبة قد تقع بين الأزواج، وقد تقع بين الأصحاب، وقد تقع بين الآباء والأبناء، وقد تقع بين الأعداء، وهكذا، قد لا يسلم منها أحد.

وقد يظن الظن أن الغيبة هو فقط ذكرك الأخ بما ليس فيه، والصواب أنها: ذكر الأخ بما فيه إن كان يكره ذلك، كما فسرهما النبي ﷺ: **(ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ).**

وقول الصحابة: **(اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ)** ليس معناه أنهم لا يعلمون الغيبة، إنما لعلمهم ظنوا أن النبي ﷺ سيأتيهم بأمر لا يعلمونه، كما سألهم: **«أي يوم هذا؟»** قالوا: الله رسول الله أعلم، **«أي شهر هذا؟»** قالوا: الله رسول الله أعلم، مع أنهم يعلمون اليوم، ويعلمون الشهر، ويعلمون البلد، لكن كانوا لا يبادرون النبي ﷺ بالإجابة.

(ذِكْرُكَ أَخَاكَ) أي المسلم، مفهومه أن الكافر لا غيبة له، وهكذا المبتدع لا غيبة له، لأنه قد أظهر فسقه ومخالفته، ومن أظهر فسقه لا غيبة له، واختلفوا في ذلك، هل لا غيبة له مطلقاً أم لا غيبة له في ما كان من بدعته؟ وهذا هو الصحيح، أما أن تذهب وتتكلم مثلاً في طوله، في قصره، في دمامته، أو في ماله، أو نحو ذلك مما يكره الكلام فيه هذا لا يصلح، إنما إن كان شيئاً في عقيدته منحرفاً في طريقته فهنا تبين هذا، ولا حرج من ذلك.

(وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَهُ): كذبت عليه، وما أكثر هذه الصفة الآن! نسأل الله السلامة والعافية، يقوم الناس وينون على الظنون أموراً كثيرة، مفسدة.

وهنا كلام ذكره النووي ينقله أكثر العلماء نقرؤه في هذا الموطن قال **رَحِمَهُ اللَّهُ: تُبَاحُ الْغَيْبَةِ لِعَرَضِ شَرْعِيٍّ، وَذَلِكَ لِسَبَبِ:**

أَحَدُهَا: التَّظَلُّمُ؛ فَيَجُوزُ لِلْمَظْلُومِ أَنْ يَتَظَلَّمَ إِلَى السُّلْطَانِ وَالْقَاضِي وَغَيْرِهِمَا مِمَّنْ لَهُ وِلَايَةٌ أَوْ قُدْرَةٌ عَلَى إِنْصَافِهِ مِنْ ظَالِمِهِ، فَيَقُولُ: ظَلَمَنِي فُلَانٌ، أَوْ فَعَلَ بِي كَذَا.



الثَّانِي: الاسْتِغَاثَةُ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ، وَرَدُّ الْعَاصِي إِلَى الصَّوَابِ، فَيَقُولُ لِمَنْ يَرْجُو قُدْرَتَهُ: فَلَنْ يَعْمَلَ كَذَا فَازْجُرْهُ عَنْهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ.

الثَّالِثُ: الاسْتِفْتَاءُ بِأَنْ يَقُولَ لِلْمُفْتِي: ظَلَمَنِي فَلَانٌ أَوْ أَبِي أَوْ أَخِي أَوْ زَوْجِي بِكَذَا فَهَلْ لَهُ ذَلِكَ؟ وَمَا طَرِيقِي فِي الْخَلَاصِ مِنْهُ وَدَفْعِ ظُلْمِهِ عَنِّي؟ وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَهَذَا جَائِزٌ لِلْحَاجَةِ، وَالْأَجُودُ أَنْ يَقُولَ فِي رَجُلٍ أَوْ زَوْجٍ أَوْ وَالِدٍ وَوَلَدٍ: كَانَ مِنْ أَمْرِهِ كَذَا، وَمَعَ ذَلِكَ فَالْتَّعِينُ جَائِزٌ لِحَدِيثِ هِنْدٍ وَقَوْلِهَا: إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ.

الرَّابِعُ: تَحْذِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشَّرِّ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ: **مِنْهَا:** جَرْحُ الْمَجْرُوحِينَ مِنَ الرُّوَاةِ، وَالشُّهُودِ، وَالْمُصَنِّفِينَ، وَذَلِكَ جَائِزٌ بِالْإِجْمَاعِ، بَلْ وَاجِبٌ صَوْنًا لِلشَّرِيعَةِ.

وَمِنْهَا: الْإِخْبَارُ بِعَيْبِهِ عِنْدَ الْمُشَاوَرَةِ فِي مُوَاصَلَتِهِ، وَمِنْهَا إِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَشْتَرِي شَيْئًا مَعِيْبًا أَوْ عَبْدًا سَارِقًا أَوْ زَانِيًا أَوْ شَارِبًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ تَذَكُّرُهُ لِلْمُشْتَرِي إِذَا لَمْ يَعْلَمْهُ نَصِيحَةً، لَا بِقَصْدِ الْإِيذَاءِ وَالْإِفْسَادِ.

وَمِنْهَا: إِذَا رَأَيْتَ مُتَفَقِّهًا يَتَرَدَّدُ إِلَى فَاسِقٍ أَوْ مُبْتَدِعٍ يَأْخُذُ عَنْهُ عِلْمًا، وَخِفْتَ عَلَيْهِ ضَرَرُهُ، فَعَلَيْكَ نَصِيحَتُهُ بَيَانِ حَالِهِ قَاصِدًا النَّصِيحَةَ.

وَمِنْهَا: أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَايَةٌ لَا يَقُومُ بِهَا عَلَى وَجْهِهَا لِعَدَمِ أَهْلِيَّتِهِ أَوْ لِفِسْقِهِ، فَيَذْكُرُهُ لِمَنْ لَهُ عَلَيْهِ وَلَايَةٌ لِيُسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى حَالِهِ، فَلَا يَغْتَرُّ بِهِ، وَيَلْزِمُ الْإِسْتِقَامَةَ.

الخَامِسُ: أَنْ يَكُونَ مُجَاهِرًا بِفِسْقِهِ أَوْ بِدَعْتِهِ كَالْخَمْرِ وَمُصَادَرَةِ النَّاسِ وَجَبَايَةِ الْمَكُوسِ وَتَوَلَّى الْأُمُورَ الْبَاطِلَةَ، فَيَجُوزُ ذِكْرُهُ بِمَا يُجَاهَرُ بِهِ، وَلَا يَجُوزُ بغيرِهِ إِلَّا بِسَبَبٍ آخَرَ.

السَّادِسُ: التَّعْرِيفُ، فَإِذَا كَانَ مَعْرُوفًا بِلَقَبٍ كَالْأَعْمَشِ وَالْأَعْرَجِ وَالْأَزْرَقِ وَالْقَصِيرِ وَالْأَعْمَى وَالْأَقْطَعِ وَنَحْوِهَا جَازَ تَعْرِيفُهُ بِهِ، وَيَحْرُمُ ذِكْرُهُ بِهِ تَنْقُصًا وَلَوْ أَمَكْنَ التَّعْرِيفُ بِغَيْرِهِ كَانَ أَوْلَى. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

وقد نظمها بعضهم بقوله:

القدح ليس بغيبة في ستة متظلم ومعرف ومحذر
ومجاهراً فسقاً ومستفد ومن طلب الإعانة في إزالة منكر

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "مجموع الفتاوى": وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرِجُ

الْغَيْبَةَ فِي قَوْلِ سَتَّى:

تَارَةً فِي قَالِبِ دِيَانَةٍ وَصَلَاحٍ؛ فَيَقُولُ: لَيْسَ لِي عَادَةٌ أَنْ أَذْكَرَ أَحَدًا إِلَّا بِخَيْرٍ، وَلَا أَحِبُّ
الْغَيْبَةَ وَلَا الْكَذِبَ، وَإِنَّمَا أَخْبَرُكُمْ بِأَحْوَالِهِ، وَيَقُولُ: وَاللَّهِ إِنَّهُمْ سَكِينٌ، أَوْ رَجُلٌ جَيِّدٌ،
وَلَكِنْ فِيهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ، وَرُبَّمَا يَقُولُ: دَعُونَا مِنْهُ اللَّهُ يَغْفِرُ لَنَا وَلَهُ، وَإِنَّمَا قَصْدُهُ اسْتِنْقَاصُهُ
وَهَضْمًا لِجَانِبِهِ، وَيُخْرِجُونَ الْغَيْبَةَ فِي قَوْلِ سَتَّى صَلَاحٍ وَدِيَانَةٍ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ بِذَلِكَ كَمَا
يُخَادِعُونَ مَخْلُوقًا، وَقَدْ رَأَيْنَا مِنْهُمْ أَلْوَانًا كَثِيرَةً مِنْ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْفَعُ غَيْرَهُ رِيَاءً فَيَرْفَعُ نَفْسَهُ، فَيَقُولُ: لَوْ دَعَوْتُ الْبَارِحَةَ فِي صَلَاتِي لِفُلَانٍ؛
لَمَا بَلَغَنِي عَنْهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ لِيَرْفَعَ نَفْسَهُ وَيَبْصِعَهُ عِنْدَ مَنْ يَعْتَقِدُهُ.

أَوْ يَقُولُ: فُلَانٌ بَلِيدُ الذَّهْنِ قَلِيلُ الْفَهْمِ؛ وَقَصْدُهُ مَدْحُ نَفْسِهِ وَإِثْبَاتُ مَعْرِفَتِهِ وَأَنَّهُ أَفْضَلُ
مِنْهُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْمِلُهُ الْحَسَدُ عَلَى الْغَيْبَةِ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَبِيحَيْنِ: الْغَيْبَةِ وَالْحَسَدِ،
وَإِذَا أُتِنِي عَلَى شَخْصٍ أَزَالَ ذَلِكَ عَنْهُ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ تَنْقِصِهِ فِي قَالِبِ دِينٍ وَصَلَاحٍ، أَوْ
فِي قَالِبِ حَسَدٍ وَفُجُورٍ وَقَدَحٍ؛ لِيُسْقِطَ ذَلِكَ عَنْهُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرِجُ الْغَيْبَةَ فِي قَالِبِ تَمَسُّخٍ وَلَعِبٍ لِيُضْحِكَ غَيْرُهُ بِاسْتِهْزَائِهِ وَمُحَاكَاتِهِ
وَاسْتِصْغَارِ الْمُسْتَهْزَأِ بِهِ.

وَذَكَرَ فِي كِتَابِهِ مِنْ تَحْرِيمِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَتَحْرِيمِ الْغَيْبَةِ
وَالْهَمْزِ وَاللَّمْزِ مَا هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ اسْتِحْلَالًا لَهُ.



وَذَكَرَ فِي كِتَابِهِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْجَمَاعَةِ وَالْإِتِّلَافِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْفُرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ مَا هُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْهُ.

وَذَكَرَ فِي كِتَابِهِ مِنَ طَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَحَبَّتِهِ وَاتِّبَاعِ حُكْمِهِ مَا هُمْ خَارِجُونَ عَنْهُ.

اهـ

وما أكثر الذنوب والمعاصي التي يتعاطاها الإنسان قصداً أو بغير قصد! لكن نسأل الله السلامة والعافية.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ بَشَارَةِ مَنْ سَتَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَيْبَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَنْ يَسْتُرَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧١ - (٢٥٩٠) حَدَّثَنِي أُمِّيَّةُ بِنْتُ بَسْطَامِ الْعَيْشِيَّةُ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ يَعْنِي ابْنَ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

٧٢ - (٢٥٩٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وهذه بشارة عظيمة للمؤمنين، أن الله عزَّ وجلَّ إذا ستره في الدنيا يرجى أن يستره في الآخرة، ونسأل الله أن يسترنا في الدنيا والآخرة، فحالفنا كما قال القائل:

والله لو علموا قبيح سريري لأبى السلام علي من يلقيني
أحيانا يكون في القلب أمور لو ظهرت للناس لازدروه واحتقروه، وربما أفعال لو
ظهرت لازدروه واحتقروه، ولكن الله عزَّ وجلَّ سَتِيرٌ يحب الستر لعباده، ولا يزال العبد
على خير ما استتر بالبشر والفساد، ولذلك قال رسول الله ﷺ: "كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا

الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فَلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتَرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ"، والله المستعان، ولذلك يجازي من ستر المسلمين بالستر، «من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة».

وفي الستر تخفيف الشر لأن إشاعة الشر فساد، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ مُدَارَاةِ مَنْ يُتَّقَى فُحْشُهُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣ - (٢٥٩١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرُو النَّاقِدِ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَابْنُ نُمَيْرٍ كُلُّهُمْ عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ وَاللَّفْظُ لِرُزْهَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ وَهُوَ ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ سَمِعَ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ: حَدَّثَنِي عَائِشَةُ: أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «اَنْذِنُوا لَهُ فَلَبِثَسِ ابْنُ الْعَشِيرَةِ»، أَوْ «بِئْسَ رَجُلٌ الْعَشِيرَةُ»^(١)، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتُ لَهُ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنَتْ لَهُ الْقَوْلَ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَدَّعَهُ أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»^(٢).

٧٣ - (٢٥٩١) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَ مَعْنَاهُ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «بِئْسَ أَخُو الْقَوْمِ وَابْنُ الْعَشِيرَةِ».

(١) هذا شك من الراوي.

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٠٣٢).

في هذا الحديث جواز جرح أهل البدع ومن إليهم، وأنه ليس من الغيبة في شيء. وفيه حسن المداراة، فإن النبي ﷺ لو رده لربما صدر منه كلام قبيح، أو نحو ذلك، ولكن أذن له بالدخول.

والمدارة والمداينة بينهما فرق كبير:

المدارة من الدين، والمداينة خلاف الدين.

المدارة لا يقع بها تنازل عن الحق، والمداينة يقع بها التنازل عن الحق.

المدارة من حسن الخلق، والمداينة من سوء الخلق.

المدارة صنيع النبي ﷺ، والمداينة صنيع المنافقين ومن إليهم.

المدارة لا يسقط بها حق، والمداينة يسقط بها الحق.

(فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ آلَانُ لَهُ الْقَوْلُ) أي تكلم معه بلين، والله **عَزَّوَجَلَّ** قد أمره بذلك: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩].

وفيه سؤال الطالب لشيخه فيما يشكل عليه، من قول عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: **(قُلْتَ لَهُ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَنْتَ لَهُ الْقَوْلُ)**.

قوله: (إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فيه أن الناس يتفاوتون في المنازل من حيث الخيرية ومن حيث الشرعية.

(مَنْ وَدَّعَهُ أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتَّقَاءً فَحْشِهِ) لم يتعرضوا له؛ ليتقوا سوء كلامه وسوءفعاله.

وفي الحديث (أتركوا الترك ما تركوكم) فالإنسان يغلق مداخل الشيطان عليه من جميع طرقه، وقد قال رسول الله ﷺ: (وكرهت أن أثير على الناس شراً) فلربما بمواجهته بالكلام تحصل مفسدة أكبر من المصلحة، والحديث دليل على النظر في العواقب، وهذا سبيل الظفر، وكما قيل (من تأنى نال ما تمنى) والله أعلم.

وفي هذا الحديث دليل من دلائل نبوة النبي ﷺ.

قَالَ الْقَاضِي: هَذَا الرَّجُلُ هُوَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَلَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ حِينَئِذٍ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَظْهَرَ
الْإِسْلَامَ، فَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُبَيِّنَ حَالَهُ لِيَعْرِفَهُ النَّاسُ، وَلَا يَغْتَرَّ بِهِ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حَالَهُ.
قَالَ: وَكَانَ مِنْهُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَعْدَهُ مَا دَلَّ عَلَى ضَعْفِ إِيمَانِهِ، وَارْتَدَّ مَعَ
الْمُؤْتَدِّينَ، وَجِيءَ بِهِ أَسِيرًا إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَوَصَفُ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ بِأَنَّهُ بَسَّ أَخُو
الْعَشِيرَةِ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ؛ لِأَنَّهُ ظَهَرَ كَمَا وَصَفَ، وَإِنَّمَا أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ تَأْلُفًا لَهُ وَلَا مَثَالَهُ
عَلَى الْإِسْلَامِ. اهـ

المراد بالعشيرة: القبيلة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].
وفي هذا الحديث من الفوائد: ما يتعين على الدعاة إلى الله عزَّ وجلَّ أن يكونوا على فقه
ومعرفة وبينة في كيفية التعامل مع المخالفين ومع الموافقين؛ لأن الذي لا يحسن
التعامل قد يؤدي إلى ضرر نفسه أو إلى ضرر غيره.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فَضْلِ الرَّفْقِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤ - (٢٥٩٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، حَدَّثَنَا
مَنْصُورٌ، عَنْ تَمِيمِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ جَرِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: «مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ يُحْرِمِ الْخَيْرَ».

٧٥ - (٢٥٩٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجُ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
نُمَيْرٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو
سَعِيدٍ الْأَشْجُ، حَدَّثَنَا حَفْصُ يَعْنِي ابْنَ غِيَاثٍ، كُلُّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ (ح) وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ
بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَاللَّفْظُ لَهُمَا، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا وَقَالَ إِسْحَاقُ:
أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ تَمِيمِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هِلَالٍ الْعَبْسِيِّ

قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرًا يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُحَرِّمَ الرَّفْقَ يُحَرِّمَ الْخَيْرَ».

٧٦ - (٢٥٩٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هَلَالٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَرَّمَ الرَّفْقَ حَرَّمَ الْخَيْرَ، أَوْ مَنْ يُحَرِّمُ الرَّفْقَ يُحَرِّمُ الْخَيْرَ».

(مَنْ يُحَرِّمُ الرَّفْقَ يُحَرِّمُ الْخَيْرَ) وفي رواية خارج الصحيح: «حَرَّمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ»، وذلك أن الرفق كما سيأتي: «لا يكون في شيء لا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه».

فالإنسان إن لم يكن رفيقا طبيعة فليعود نفسه الرفق اكتسابا، فإن الرفق صفة الله، واسمه الرفيق، وهكذا النبي ﷺ كان رفيقا رفيقا، وهكذا أصحابه فإن الإنسان قد يتحصل بالرفق على ما لم يتحصل عليه بالعنف، وطبيعة الناس أنهم يحبون أهل الرفق ويبغضون أهل العنف والشدة.

وفيه أن الرفق مفتاح خير، بينما الشدة مفتاح شر، إلا فيما لا بد منه، من قوله ﷺ: (مَنْ يُحَرِّمُ الرَّفْقَ يُحَرِّمُ الْخَيْرَ).

والرفق قد يكون بالنفس وقد يكون بالغير، فالرفق بالنفس: أن لا تحمل ما لا تطيق، فالإنسان يأتي من العمل الصالح بما يطيق، والنفقات على قدر الإطاقة، وعندنا في المثل اليمني يقول: (على قدر فراشك مد رجلتك)، فهكذا الإنسان يرفق بنفسه، فإن المُنَبِّت لا ظهرا أبقى، ولا أرضا قطع.

والرفق أيضا بالحيوان، وبالآلة التي تركبها وتستخدمها، والرفق حتى بالكتاب الذي تقرأه، فإنك إن لم ترفق في حال القراءة والتعليق عليه وتقليب الصفحات ربما أدى ذلك إلى تقطعه وتهتكه، والرفق في الدرس، فلا تطل إطالة تتعب الطالب وهكذا لا تأت بكلام يعجز عن فهمه الطالب.

والرفق كذلك بين الأزواج، من الزوجة لزوجها ومن الزوج لزوجته، فإن العنف يولد العنف، والشدة تولد الشدة، والتحدي يواجهه بالتحدي، وفي الأخير يقع الانقطاع، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنْ اسْتَمْتَعَتْ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عَوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهَا كَسَرَتْهَا وَكَسَرُهَا طَلَاقُهَا».

والرفق كذلك بالأبناء، سواء لا يكلف ما لا يطيق، ولا يعنف فيما لا يصلح فيه التعنيف، ويُترَفَق به في حال التعليم، بالرفق القولي، وبالرفق الفعلي.

والرفق كذلك بالخدم والإماء، وهكذا الحكام يرفقون برعيّتهم، قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»، الحديث عام، ويدخل فيه أولياء الأمور دخولا أوليا.

قال ابن حبان في "روضة العقلاء" (ص: ٢١٥): الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها وترك العجلة والخفة فيها إذ الله تعالى يحب الرفق في الأمور كلها ومن منع الرفق منع الخير كما أن من أعطي الرفق أعطي الخير ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يحب إلا بمقارنة الرفق ومفارقة العجلة، وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري:

والخرف منه يكون العنف والزلل	الرفق ممن سيلقى اليمن صاحبه
والكف عنها إذا ما أمكنت فشل	والحزم أن يتأنى المرء فرصته
والله للبر عون ماله مثل	والبر لله خير الأمر عاقبة
لا يصلح القول حتى يصلح العمل	خير البرية قولاً خيرهم عملاً

وأنشدني منصور بن مُحَمَّد الكريزي:

والخرق أشأم شيء يقدم الرجلا	الرفق أيمن شيء أنت تتبعه
من يركب الرفق لا يستحقب الزللا	وذو التثبث من حمد إلى ظفر

حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْخَلَادِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خُلَفٍ الْبَسَامِيُّ عَنْ أَحْمَدَ ابْنِ مُوسَى الْأَزْرَقِ أَنَّهُ أَنْشَدَهُ:

وزن الكلام إذا نطقت فإنما يبدي العقول أو العيوب المنطق
لا ألفينك ثاويًا في غربة إن الغريب بكل سهم يرشق
لو سار ألف مدجج في حاجة لم يقضها إلا الذي يترفق
قال أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل يلزم الرفق في الأوقات والاعتدال في الحالات لأن
الزيادة على المقدار في المبتغى عيب كما أن النقصان فيما يجب من المطلب عجز وما
لم يصلحه الرفق لم يصلحه العنف ولا دليل أمهر من رفق كما لا ظهير أوثق من العقل
ومن الرفق يكون الاحتراز وفي الاحتراز ترجى السلامة وفي ترك الرفق يكون الخرق
وفي لزوم الخرق تخاف الهلكة. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٧ - (٢٥٩٣) حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التَّحِيْبِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي
حَيَّوَةُ، حَدَّثَنِي ابْنُ الْهَادِ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ، عَنْ عَمْرَةَ يَعْنِي بِنْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ،
عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ
الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ» ^(١).

(إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ) فيه دليل أن من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ الرفيق، وأسماء الله عَزَّ وَجَلَّ تتضمن
صفات عظيمة جليات، فهذا الاسم يتضمن صفة الرفق لله عَزَّ وَجَلَّ على ما يليق
بجلاله ويظهر ذلك في أوامره ونواهيه، وإقامة الحجة على عبادته، وأنه حرم الظلم على
نفسه وجعله محرماً بينهم، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت: ٤٦].

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٠٢٤).

فرفق بهم حيث فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، ورفق بهم بفرض صيام شهر في سنتهم، وبحج بيت الله الحرام مرة، وبإعطاء ربع العشر في أموالهم النقدية ونحو ذلك، والعشر في الزروع التي تسقى بالسماء؛ لأنه لا مشقة عليهم فيها، ونصف العشر فيما سقى بالسانية؛ رفقا بهم لما أنفقوا وبذلوا من الأوقات والأموال والتعب. وهكذا رفيق بعباده من تاب تاب عليه، وهكذا يرفق بعباده يوم القيامة فيسترهم ويرفعهم الدرجات العلا والنعيم المقيم.

ومن رفقته أن بعث إليهم رسولا رفيقا بهم، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].
(يحب الرفق) فيه صفة المحبة لله **عَزَّجَلَّ**، والصفات المحبوبة يتعين على العباد أن يأتوا بها، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٧٦]، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٦]، يحب الصادقين، يحب المؤمنين، ﴿يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَّرْصُورٌ﴾ [سورة الصف: ٤]، **«يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ»**.

(وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ) أي من الأجر والمثوبة، الدينية والدنيوية، فصاحب العنف تجده ضيق الصدر، سيئ الحال، كثير الأعداء، وصاحب الرفق تجده طيب النفس، منشرح الصدر، قليل الأعداء، كثير الهبات، عظيم العظا. **(وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ)** على ما سوى الرفق من الصفات، وإن كان بعضها حميدا، إلا أن الرفق شمل جميع صفات الحمد، فمثلا: الرفيق تجده حلما، تجده صبورا، تجده كريما، تجده شجاعا، تجده صاحب تودة، وصاحب سكينة، وصاحب لطف، وصاحب عفو، وصاحب تجاوز، إلى غير ذلك من الصفات الجميلة الجليلة في هذه الصفة العظيمة.

انظروا إلى الخوارج حين شقوا على أنفسهم في العبادة، وشقوا على أنفسهم بالعقيدة السيئة، كفروا المسلمين، وخرجوا على الاعتدال، فلم ينتفعوا هم بما هم عليه، ولم ينتفعوا غيرهم.

وانظروا إلى المرجئة حين تجاوزوا في بعض الرفق إلى حد عدم المبالاة بما تقع من المعاصي والسيئات، أساءوا إلى أنفسهم، وأساءوا إلى غيرهم، وأساءوا إلى دين الله. فينبغي للمسلم أن يكون رفيقه مقيدا بالكتاب والسنة، وبالوحي الذي أنزله الله عزَّ وجلَّ، بلا إفراط ولا تفريط، بلا عنف ولا ميوعة، فدين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، ورسول الله ﷺ مع عظيم رفيقه كان شديداً على الكفار، كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٧٨ - (٢٥٩٤) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْمُقْدَامِ وَهُوَ ابْنُ شُرَيْحٍ بْنِ هَانِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» (١).

٧٩ - (٢٥٩٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، سَمِعْتُ الْمُقْدَامَ بْنَ شُرَيْحٍ بْنِ هَانِيٍّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ: رَكِبَتْ عَائِشَةُ بَعِيرًا فَكَانَتْ فِيهِ صُعُوبَةً، فَجَعَلَتْ تُرَدِّدُهُ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكَ بِالرِّفْقِ» ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ.

بيانه: أن الرفق فيما وُضع من الأقوال أو الأفعال في البيع أو الشراء في المعاملات أو العبادات زين بالرجل، ونزعه شين بالرجل والمرأة، فعلى الإنسان أن يتخلق بهذا الخلق العظيم، الجميل الجليل، والله يحب ما يُزَان ويكره ما يَشَان.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٠٣٠).

الرفق زين إن أردت سلامة والعنف شينٌ مفسد الحالات
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ التَّنْهِيِ عَنِ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٠ - (٢٥٩٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُثَيْبٍ قَالَ: زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، عَنْ أَبِي الْمُهَلَّبِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ فَضَجَرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا، وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ»، قَالَ عِمْرَانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَا يَعْزِضُ لَهَا أَحَدٌ.

٨١ - (٢٥٩٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو الرَّبِيعِ قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَادٌ وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا الثَّقَفِيُّ كِلَاهُمَا عَنْ أَيُّوبَ بِإِسْنَادِ إِسْمَاعِيلَ نَحْوَ حَدِيثِهِ، إِلَّا أَنَّ فِي حَدِيثِ حَمَادٍ قَالَ عِمْرَانُ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا نَاقَةً وَرَقَاءً، وَفِي حَدِيثِ الثَّقَفِيِّ فَقَالَ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَأَعْرِوْهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ».

(ابن عليّة) إسماعيل بن إبراهيم، وأما إبراهيم بن إسماعيل فهو معتزلي خبيث المعتقد، أنكر حجية خبر الأحد.

(أيوب) هو ابن أبي تميم السخيتاني، واسم أبي تميم: كيسان.

(أبي قلابة) عبد الله بن زيد الجرهمي، الصابر المحتسب، القائل: ما ابتدع رجل بدعة إلا رأى السيف.

(بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ) وأسفار النبي ﷺ: سفر الهجرة، وسفر التجارة قبل البعثة، وسفر الجهاد، وسفر الحج والعمرة.

(وَأَمْرًا مِّنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ) راكبة، وكانت النساء تخرج مع النبي ﷺ في غزواته، مع الستر والحجاب، ووجود المحرم.

(فَضَحِرَتْ) أي غضبت، إما لسوء خلق الدابة، أو لضعفها عن السير ونحو ذلك، (فَلَعَنَتْهَا) أي قالت: لعنك الله.

(خُذُوا مَا عَلَيْهَا، وَدَعُّوها فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ) هذا أعلمه الله عز وجل بالوحي، أما غير النبي ﷺ لو قدر أن رجلاً أو امرأة لعن دابة أو لعن سيارة أو لعن شيئاً من متاعه لا يجوز أن نقول له: اتركه، بل يستمتع به، ويستغفر ربه، أما النبي ﷺ أُطلع على أن هذه الدابة أصابتها اللعنة، فعند ذلك أمر بتركها.

وفي هذا الزجر لغيرها عن تعاطي هذا الأمر، فإن كثرة اللعن مذموم، كما سيأتي: «لَا يَنْبَغِي لِصَدِيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَانًا».

وأما اللعن لحاجه فقد لعن النبي ﷺ، ولعن السلف، وهذه مسألة خلافية بين أهل العلم، بسط القول فيها ابن مفلح في (الأداب الشرعية)، وهكذا لشيخ الإسلام نوع كلام في ذلك، ونقلنا بعض قولهم مع زيادة عليه في ردنا على طارق السويدان حين استنكر لعن اليهود والنصارى على المنابر.

(قَالَ عِمْرَانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَا يَعْزِضُ لَهَا أَحَدٌ) فيه سرعة مبادرة أصحاب النبي ﷺ لأمر النبي ﷺ.

(نَاقَةٌ وَرَقَاءٌ) معنى ورقاء: يخالط بياضها سواد، والذكر أوراق، وقيل: هي التي لونها كلون الرماد.

(خُذُوا مَا عَلَيْهَا) فيه حفظ الأموال، فلا تترك مع حملها.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٨٢ - (٢٥٩٦) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ فُضَيْلُ بْنُ حُسَيْنٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ يَعْنِي ابْنَ زُرْعٍ، حَدَّثَنَا التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ، عَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ إِذْ بَصُرَتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَتَضَايَقَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَقَالَتْ: حَلِّ، اللَّهُمَّ الْعَنْهَا قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُصَاحِبُنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ».

٨٣ - (٢٥٩٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، (ح) وَحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ جَمِيعًا عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ الْمُعْتَمِرِ: «لَا، أَيْمُ اللَّهِ لَا تُصَاحِبُنَا رَاحِلَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ مِنْ اللَّهِ» أَوْ كَمَا قَالَ.

(التيمي) سليمان بن طرخان.

(أبي عثمان) وهو عبد الرحمن بن مل.

(أبي برزة الأسلمي) نضلة بن عبيد.

(حلي) صوت يطلق لتهيج الدابة على المشي.

وهذا على مقتضى قول النبي ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا عَلَى أَمْوَالِكُمْ».

(لا) أي لا تلعنوا، (أَيْمُ اللَّهِ) حلف بالله.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٨٤ - (٢٥٩٧) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ بِلَالٍ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِصَدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَانًا».

٨٤ - (٢٥٩٧) حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

(هارون بن سعيد الأيلي) وفي طبقة هارون الحمال، وهارون بن معروف.

(لَا يَنْبَغِي لِصَدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَانًا) أي كثير اللعن، هذا دليل على أن الإنسان لا تجاوز الحد، أما اللعن للمصلحة الشرعية فهذا لا يطلق عليه لعان إذا كان يلعن للمصلحة الشرعية.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: فِيهِ الزَّجْرُ عَنِ اللَّعْنِ، وَأَنَّ مَنْ تَخَلَّقَ بِهِ لَا يَكُونُ فِيهِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ، لِأَنَّ اللَّعْنَ فِي الدُّعَاءِ يُرَادُ بِهَا الْإِبْعَادُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ الدُّعَاءُ بِهَذَا مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالرَّحْمَةِ بَيْنَهُمْ وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَجَعَلَهُمْ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَكَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، فَمَنْ دَعَا عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِاللَّعْنَةِ - وَهِيَ الْإِبْعَادُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى - فَهُوَ مِنْ نَهَايَةِ الْمُقَاطَعَةِ وَالتَّدَابُرِ، وَهَذَا غَايَةٌ مَا يَوَدُّهُ الْمُسْلِمُ لِلْكَافِرِ، وَيَدْعُو عَلَيْهِ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ»؛ لِأَنَّ الْقَاتِلَ يَقْطَعُهُ عَنْ مَنَافِعِ الدُّنْيَا، وَهَذَا يَقْطَعُهُ عَنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى. وَقِيلَ: مَعْنَى لَعْنِ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ فِي الْإِثْمِ، وَهَذَا أَظْهَرُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ: (إِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ) فَمَعْنَاهُ: لَا يَشْفَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَشْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ، (وَلَا شُهَدَاءَ) فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَقْوَالٍ: أَصَحُّهَا وَأَشْهَرُهَا لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْأُمَّمِ بِتَبْلِيغِ رُسُلِهِمْ إِلَيْهِمُ الرِّسَالَاتِ.

وَالثَّانِي: لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ فِي الدُّنْيَا، أَي: لَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُمْ لِفِسْقِهِمْ.

وَالثَّالِثُ: لَا يُرْزَقُونَ الشَّهَادَةَ، وَهِيَ الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَإِنَّمَا قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «لَا يَنْبَغِي لِصَدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَانًا»، وَ«لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُهَدَاءَ» بِصِغَةِ التَّكْثِيرِ، وَلَمْ يَقُلْ: لَا عِنَّا وَاللَّاعِنُونَ؛ لِأَنَّ هَذَا الذَّمُّ فِي الْحَدِيثِ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ كَثُرَ مِنْهُ اللَّعْنُ، لَا لِمَرَّةٍ وَنَحْوِهَا، وَلِأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهُ أَيْضًا اللَّعْنُ الْمُبَاحُ، وَهُوَ الَّذِي وَرَدَ الشَّرْعُ بِهِ، وَهُوَ ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٤٤]، «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ

وَالنَّصَارَى»، «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْوَاشِمَةَ»، وَشَارِبَ الْخَمْرِ وَآكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ، وَالْمُصَوِّرِينَ، وَمَنْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَتَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ، وَغَيْرَ مَنْارِ الْأَرْضِ، وَغَيْرَهُمْ مِمَّنْ هُوَ مَشْهُورٌ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٥ - (٢٥٩٨) حَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ بَعَثَ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ بِأَنْجَادٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنَ اللَّيْلِ، فَدَعَا خَادِمَهُ فَكَانَتْهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ فَلَعَنَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ لَهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُكَ اللَّيْلَةَ لَعَنْتَ خَادِمَكَ حِينَ دَعَوْتَهُ، فَقَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

٨٥ - (٢٥٩٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَآبُو عَسَّانَ الْمُسَمَعِيُّ وَعَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ التَّيْمِيُّ قَالُوا: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ كِلَاهُمَا عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ بِمِثْلِ مَعْنَى حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ.

٨٦ - (٢٥٩٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَأَبِي حَازِمٍ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(سويد بن سعيد) الحداثي، فيه ضعف وقد عيب على مسلم الرواية عن سويد بن سعيد، ولكنه قال: من أين لي بصحيفة حفص بن ميسرة؟

(بأنجاد) متاع البيت الذي يزينه، من فرش ونمارق.

وفي الحديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٨٧ - (٢٥٩٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَا: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ يَعْنِيانِ
 الْفَزَارِيَّ، عَنْ يَزِيدَ وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ: يَا
 رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَنًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً».

(أبي حازم) سليمان الأشجعي، وفي طبقته سلمة بن دينار يروي عن سهل بن سعد
 الساعدي.

(ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ) يعني أن يأخذهم الله، ويصيبهم الله، ونحو ذلك.
 وأيضاً قال: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْنِي مُتَعْتًا»، حين طلبت منه عائشة أن لا يبلغ نساء
 بقولها.

(إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْنِي لَعَنًا) كثير اللعن كثير الدعاء على الغير بما يؤدي إلى هلاكهم
 على غير استقامة وخير، وذلك لما قيل له إن دوس أبت قال: (اللهم اهد دوساً).
 (وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً) كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾،
 ولذلك كان رفيقاً بأمته شفقاً عليهم.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ: مَنْ لَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ سَبَّهُ أَوْ دَعَا عَلَيْهِ، وَلَيْسَ هُوَ أَهْلًا لِذَلِكَ كَانَ لَهُ
 زَكَاةٌ وَأَجْرًا وَرَحْمَةٌ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٨٨ - (٢٦٠٠) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى،
 عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ، فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ لَا
 أَذْرِي مَا هُوَ فَأَغْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَصَابَ
 مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا مَا أَصَابَهُ هَذَانِ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَتْ: قُلْتُ: لَعَنْتُهُمَا وَسَبَبْتُهُمَا قَالَ:

«أَوْ مَا عَلِمْتَ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعْنَتُهُ أَوْ سَبَّيْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا».

٨٨ - (٢٦٠٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ (ح) وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ جَمِيعًا عَنْ عِيْسَى بْنِ يُونُسَ كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ جَرِيرٍ، وَقَالَ فِي حَدِيثِ عِيْسَى: فَخَلَّوْا بِهِ فَسَبَّهُمَا، وَلَعْنَهُمَا، وَأَخْرَجَهُمَا.

(زهير بن حرب) أبو خيمة النسائي.

(جرير) وهو ابن عبد الحميد الضبي.

(الأعمش) وهو سليمان بن مهران، أبو محمد الكوفي.

(أبي الضحى) وهو مسلم بن صبيح.

(مسروق) وهو ابن الأجدع، أبو عائشة الوادعي، الهمداني.

(عائشة) وهي أم عبد الله القرشية، الصديقة بنت الصديق، الطيبة المطيبة المبرأة.

(فَأَغْضَبَاهُ) لأن النبي ﷺ يغضب كما يغضب البشر، ويرضى كما يرضى البشر، إلا

أنه متميز بحسن الأخلاق، وبكمالها وتمامها، قال الله في شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ حُسْنٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم: ٤].

(فَلَعْنَهُمَا وَسَبَّهُمَا) على فعلٍ فعلاه أو قصور حصل منهم، وفي الحديث جواز لعن

المعين المستحق لذلك.

(مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا مَا أَصَابَهُ هَذَانِ) وذلك لما علمت من استثناء النبي ﷺ،

وأن لعنه وسبه يقع على غير مستحق رحمة وزكاة.

(اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعْنَتُهُ أَوْ سَبَّيْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا) ومن هذه

الحيثية استدل العلماء بحديث ابن عباس في شأن معاوية بن أبي سفيان: «لا أشبع الله

بطنه» أن النبي ﷺ دعا له، وأصابته بسبب هذه الدعوة زكاة ورحمة، وذلك أنه لم يعلم أن النبي ﷺ أرسل إليه، وإلا لبادر إلى الإجابة والاستجابة. وفيه حرص النبي ﷺ على أمته، وقد تقدم في كتاب الإيمان شيء من ذلك. وفيه رقة النبي ﷺ، ولين قلبه، إذ أنه لا يحب الانتقام، بخلاف الكثير من الناس الذين يحبون الانتقام. وفيه جواز اللعن لمن يستحقه. قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٨٩ - (٢٦٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَّيْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً»^(١).

٨٩ - (٢٦٠) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ إِلَّا أَنْ فِيهِ: «زَكَاةً وَأَجْرًا».

٨٩ - (٢٦٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ كِلَاهُمَا عَنْ الْأَعْمَشِ بِإِسْنَادِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ مِثْلَ حَدِيثِهِ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ عِيسَى جَعَلَ: «وَأَجْرًا»، فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَجَعَلَ: «وَرَحْمَةً»، فِي حَدِيثِ جَابِرٍ.

(محمد بن عبد الله بن نمير) الهمداني الخارفي.

(أبي صالح) ذكوان.

(اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ) فيه إبداء العذر، إذ أن البشر يتميزون بالضعف الإنساني، ﴿وَخُلِقَ

الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء: ٢٨].

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٣٦١).

(فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) بهذا القيد؛ لأن غير المسلم يستحق ما قاله فيه رسول

الله ﷺ.

(سَبَّيْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ) أي وهو ليس لها بأهل على القيد السابق.

(فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً) يزكو بها عمله، وترفع بها درجاته، وتكفر عنه سيئاته.

(وَرَحْمَةً) ترحمه بها في دنياه وآخره، فاللفظ يفيد العموم.

قال الإمام مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ:

٩٠ - (٢٦١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَزَامِيِّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي آتَخِذْ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذِنْتُهُ شَتْمَتُهُ لَعْنَتُهُ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً، وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

٩٠ - (٢٦١) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «أَوْ جَلَدْتُهُ»، قَالَ أَبُو الزِّنَادِ: وَهِيَ لُغَةُ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَإِنَّمَا هِيَ جَلَدْتُهُ. ٩٠ - (٢٦١) حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ مَعْبُدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ.

٩١ - (٢٦١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ سَالِمِ مَوْلَى النَّصْرِيِّينَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، وَإِنِّي قَدْ آتَخِذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذِنْتُهُ أَوْ سَبَّيْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً، وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

٩٢ - (٢٦١) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ فَأَيُّمَا عَبْدٍ مُؤْمِنٍ سَبَّيْتُهُ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ قُرْبَةً إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(أبي الزناد) عبد الله بن ذكوان.

(اللَّهُمَّ إِنِّي آتَاخُذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ﴿٩﴾ [سورة آل

(صَلَاةٌ): دعاء (وَزَكَاءٌ، وَقُرْبَةٌ) وسيلة إليك يا رب، (تُقَرَّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

ومع ذلك ما يقع من النبي ﷺ فإنه باجتهاد منه، وهو مأجور في ذلك.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٩٤ - (٢٦٠٢) حَدَّثَنِيهِ ابْنُ أَبِي خَلْفٍ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلُهُ.

(حجاج بن الشاعر) حجاج بن يوسف الشاعر.

جاء هذا الحديث عن عدة كما ترى، جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعن أبي هريرة، وجابر، ويأتي عن أنس، وهذا دليل على أنه شاع بينهم هذا الأمر؛ حتى لا يبقى أحدهم متخوفا من دعاء النبي ﷺ إذا كان بغير حق، مع أن النبي ﷺ حين دعا على حفصة فقال: «**قطع الله يديك**» رجع من المسجد وهي تنظر في يديها، فقال: «**ما شأنك؟**»،

قالت: يا رسول الله دعوت الله أن يقطع يدي وأنا أنظر أيهما تقطع أولاً، فقال لها: «أوما علمت أني اشترطت على ربي» وذكر الحديث.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٩٥ - (٢٦٠٣) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ، وَاللَّفْظُ لِرُحَيْمِرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ، وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْيَتِيمَةَ فَقَالَ: «أَنْتِ هِيَ؟ لَقَدْ كَبُرَتْ لَا كَبِيرَ سِنِّكَ»، فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا لَكَ يَا بَنِيَّةُ؟ قَالَتِ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلِيَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا يَكْبُرَ سِنِّي، فَالَانَ لَا يَكْبُرُ سِنِّي أَبَدًا، أَوْ قَالَتْ قَرْنِي. فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ خِمَارَهَا حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكَ يَا أُمُّ سُلَيْمٍ؟» فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَدْعُوتُ عَلَى يَتِيمَتِي؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ يَا أُمُّ سُلَيْمٍ؟» قَالَتْ: زَعَمْتُ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبُرَ سِنُّهَا، وَلَا يَكْبُرَ قَرْنُهَا قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ثُمَّ قَالَ: «يَا أُمُّ سُلَيْمٍ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَى رَبِّي أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا، وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً يُقَرَّبُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَقَالَ أَبُو مَعْنٍ: يُتِيمَةٌ بِالتَّصْغِيرِ فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْحَدِيثِ.

(كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ) أي: جارية، إما أنها يتيمة قد مات أبوها أو في حكم ذلك.

(أَنْتِ هِيَ؟ لَقَدْ كَبُرَتْ لَا كَبِيرَ سِنِّكَ) دعوة لا يريد ظاهرها.

(فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي) خائفة من استجابة دعاء النبي ﷺ.

(فَالَانَ لَا يَكْبُرُ سِنِّي أَبَدًا) يعلمون عظيم شأن النبي ﷺ وعظيم دعائه.

(تَلُوثُ خِمَارَهَا) كأنها تدوس عليه، أو تديره على رأسها.



(أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا) يطهر بها حاله من الذنوب المعاصي.

وفي هذا الحديث من الفوائد: عودة الصحابة إلى النبي ﷺ فيما أشكل عليهم.

وفيه من الفوائد: أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، خلافا لما يزعمه من إيلهم.

وفي هذا الحديث من الفوائد: تخوف المسلم من الدعاء عليه، بخلاف ما عليه فساق

المسلمين الآن، ربما يهدده أحدهم بالدعاء فإذا به يزدري الدعاء، أتهزأ بالدعاء وتزدريه؟ وما علموا أن الدعاء أهلك الله به أمما، ودمر به شعوبا، ورفع الله به أناسا وأغنى الله به أناس وأفقر آخرين، إلى غير ذلك، فالدعاء سلاح عظيم من العبد إلى ربه، قال الله عز وجل: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر: ٦٠]، إن لم يكن إثما أو قطيعة رحم.

وفي هذا الحديث أيضا من الفوائد: التخوف من دعاء الصالحين، والتخوف من

دعاء المظلومين، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.

وفي هذا الحديث من الفوائد: جواز خروج المرأة من البيت لحاجة، مع الستر

والحشمة، وجواز كلام الرجل مع المرأة الأجنبية، مع أن أم سليم قد جاء في شأنها أنها ليست بأجنبية بالنسبة للنبي ﷺ.

وفي هذا الحديث من الفوائد: مداعبة الأطفال الصغار، بإدخال السرور عليهم،

وبنحو ذلك من أنواع المداعبات.

وفيه أيضا العناية بشكوى الأطفال، فإنه إذا شكى عليك ولم تنصفه ولو ظاهرا ربما

ذهب ينتقم، أو ربما قهر، ويؤثر هذا عليه.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٩٦ - (٢٦٠٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنْزِيُّ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالَا: حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الْقَصَّابِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصَّبْيَانِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ قَالَ: فَجَاءَ فَحَطَّأَنِي حَطَاةً وَقَالَ: «**اذهبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ**»، قَالَ: فَحِجْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: «**اذهبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ**»، قَالَ: فَحِجْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ فَقَالَ: «**لَا أَشْبِعُ اللَّهَ بَطْنَهُ**».

قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: قُلْتُ لِأُمَيَّةَ: مَا حَطَّأَنِي؟ قَالَ: قَفَدَنِي قَفْدَةً.

٩٧ - (٢٦٠٤) حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَمْزَةَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصَّبْيَانِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاخْتَبَأْتُ مِنْهُ، فَذَكَرَ بِمِثْلِهِ.

(أبي حمزة القصاب) قال النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: أَبُو حَمْزَةَ هَذَا بِالْحَاءِ وَالزَّايِ اسْمُهُ عِمْرَانُ بْنُ أَبِي عَطَاءٍ الْأَسَدِيُّ الْوَاسِطِيُّ الْقَصَّابُ بَيَّاعُ الْقَصَبِ، قَالُوا: وَلَيْسَ لَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ هَذَا الْحَدِيثِ، وَلَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ قَوْلِهِ أَنَّهُ يَكْرَهُ مُشَارَكَةَ الْمُسْلِمِ الْيَهُودِيِّ، وَكُلُّ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ أَبُو حَمْزَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَهُوَ بِالْجِيمِ وَالرَّاءِ، وَهُوَ نَضْرُ بْنُ عِمْرَانَ الضُّبَعِيُّ، إِلَّا هَذَا الْقَصَّابُ فَلَهُ فِي مُسْلِمٍ هَذَا الْحَدِيثُ وَحْدَهُ، لَا ذَكَرَ لَهُ فِي الْبَحَارِيِّ.

أَمَّا (حَطَّأَنِي) ثُمَّ طَاءٍ مُهْمَلَتَيْنِ وَبَعْدَهَا هَمْزَةٌ، وَ(قَفَدَنِي) بِقَافٍ ثُمَّ فَاءٍ ثُمَّ دَالٍ مُهْمَلَةٌ، وَقَوْلُهُ: (حَطَاةً) الْحَاءِ وَإِسْكَانِ الطَّاءِ بَعْدَهَا هَمْزَةٌ، وَهُوَ الضَّرْبُ بِالْيَدِ مَبْسُوطَةٍ بَيْنَ الْكَفَيْنِ، وَإِنَّمَا فَعَلَ هَذَا بِابْنِ عَبَّاسٍ مُلَاطَفَةً وَتَأْنِيْسًا. أَفَادَهُ النَّوَوِيُّ.

(اذهبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ) ابن أبي سفيان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، لَعَلَّهُ يَحْتَاجُهُ فِي كِتَابَةِ الْوَحْيِ وَنَحْوِ

ذَلِكَ.

(فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ) لم يقل له: رسول الله يدعوك.

هذا الحديث استغله الرافضة للطعن في معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس لهم ذلك وانظر إلى الإمام مسلم الفقيه صاحب الحديث أين وضع هذا الحديث، وضعه في هذا الباب: (أَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا، وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، فمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ داخل في هذه الفضيلة العظيمة.

وقد قال العلماء: هذا من دلائل نبوة النبي ﷺ، فإن عادة الملوك أنهم يعجبهم الأكل، ولذلك كان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأكل أكلا ذريعا، ولا يتركه إلا أن يتعب ما يشبع، وهذه منة من الله، لا سيما مع الصحة والعافية، والسلامة من الأمراض، يتنعم بالماكل في الدنيا وفي الآخرة بإذن الله تعالى.

وفي هذا الحديث: جواز ترك الصبيان يلعبون بما ليس بحرام، واعتماد الصبي فيما ينقله، إلا أنه إن لم يكن يفهم ينبغي أن يتثبت في خبره. وفيه جواز إرسال صبي غيره في المنفعة التي يقع في مثلها المسامحة. قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ ذَمِّ ذِي الْوَجْهَيْنِ، وَتَحْرِيمِ فِعْلِهِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٨ - (٢٥٢٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءَ بِوَجْهِهِ، وَهَوْلَاءَ بِوَجْهِهِ» ^(١).

٩٩ - (٢٥٢٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ سَمِعَ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٤٩٣).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَوْلًا بِوَجْهِهِ، وَهَوْلًا بِوَجْهِهِ».

١٠٠ - (٢٥٢٦) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، (ح) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «تَحِدُّونَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَوْلًا بِوَجْهِهِ وَهَوْلًا بِوَجْهِهِ».

(تَحِدُّونَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ) صاحب تلون، وهذه الصفة شبيهة بصفات المنافقين، ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة البقرة: ١٤]، ﴿مُذَبَذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ ﴿١٤﴾﴾ [سورة النساء: ١٤]، ﴿يُرَءَوْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [سورة النساء: ١٤٢].

فينبغي للمسلم أن يكون له وجه واحد، وهو الصلاح، والود للمسلمين والصدق في القول والفعل، وغير ذلك من الصفات الحميدة.

وقد كان السلف يكرهون أهل التلون، وما أسوأ هذه الصفة في أهل البدع! فإنهم يتلونون جدًّا، فتجد الإخوان والصوفي عندهم تلون، الصوفية يزعمون أنهم أهل سنة وهم أهل بدعة، والإخوان يقولون: دعوة سنية حقيقة صوفية، وهذا تلون، لا يجتمع الحق مع الباطل، ﴿لَمْ تَلْسُونِ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران: ٧١].

وهكذا جماعة التبليغ تتلون للمجتمعات، يقولون: لا نتدخل في السياسة ولا في الخلافات، ولا أمراض الأمة، تلون، ربما بعضهم يكون ما يأتي هذه الأشياء، لكنه يتلون حتى يقبله الناس.

وأما أهل السنة فليس عندهم تلون، عندهم وجه واحد، ينكرون المنكر ويأمرون بالمعروف، ويبذلون النصيحة، والعلم والدين، ولذلك يمقتهم الكثير من الناس

ويتنكرون لهم، وقد كان شيخنا مقبل **رَحْمَةُ اللَّهِ** يقول في محمد المهدي: له أربعون وجهاً، أي أنه يتلون مع كل طائفة وحزب على ما يريدون، تارة مع المؤتمر، وتارة مع الجمعيات، وتارة مع الإخوان، وانظروا هذه الأيام يتلون حتى مع الرافضة، نسأل الله السلامة والعافية.

فالتلون صفة حزبية، صفة نفاقية، ليست بصفة سلفية، والله المستعان.
قال الزرقاني في شرح "الموطأ" (٤/ ٦٥٤): قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: إِنَّمَا كَانَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ؛ لِأَنَّ حَالَهُ - حَالُ الْمُنَافِقِينَ، إِذْ هُوَ يَتَمَلَّقُ بِالْبَاطِلِ وَبِالْكَذِبِ - مَدْخُلٌ لِلْفَسَادِ بَيْنَ النَّاسِ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: لِأَنَّهُ يَأْتِي كُلَّ طَائِفَةٍ بِمَا يُرْضِيهَا، فَيُظْهِرُ لَهَا أَنَّهُ مِنْهَا، وَمُخَالَفٌ لِبُصْدِّهَا، وَصَنِيعُهُ نِفَاقٌ مَحْضٌ، وَكَذِبٌ وَخِدَاعٌ، وَتَحِيلٌ عَلَى الْإِطْلَاعِ عَلَى أَسْرَارِ الطَّائِفَتَيْنِ، وَهِيَ مُدَاهَنَةٌ مُحَرَّمَةٌ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَغَيْرُهُ: فَأَمَّا مَنْ قَصَدَ بِذَلِكَ الْإِصْلَاحَ الْمُرَغَّبَ فِيهِ، فَيَأْتِي لِكُلِّ بِكَلَامٍ فِيهِ صَلَاحٌ وَاعْتِدَارٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ عَنِ الْآخَرِ، وَيُنْقَلُ لَهُ الْجَمِيلُ، فَمَحْمُودٌ مُرَغَّبٌ فِيهِ. أَهـ
قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

بَابُ تَحْرِيمِ الْكَذِبِ وَبَيَانِ الْمُبَاحِ مِنْهُ

الكذب كله حرام، وسيأتي أن ما سمي بمباح ليس بابه الكذب.
قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

١٠١ - (٢٦٠٥) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ أُمَّهُ أُمَّ كُثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُولِ اللَّاتِي بَايَعْنَ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرْتُهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا».

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبُ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا.

١٠١ - (٢٦٥) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَهَابٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ صَالِحٍ: وَقَالَتْ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ، بِمِثْلِ مَا جَعَلَهُ يُونُسُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ شَهَابٍ.

١٠١ - (٢٦٥) وَحَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ إِلَى قَوْلِهِ: «وَنَمَى خَيْرًا»، وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ.

(حرمله بن يحيى) مصري.

(ابن وهب) مصري.

(يونس) مصري.

(ابن شهاب) شامي ومدني.

(حميد بن عبد الرحمن بن عوف) مدني.

(أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط) مكية مدنية، وكانت من المهاجرات الأول وأبوها قتل على الشرك.

(لَيْسَ الْكَذَابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا) أي يأتي بالكلام الذي يؤدي إلى التقارب بين المتخاصمين.

قال الحافظ في "فتح الباري" (٥ / ٢٩٩): قال العلماء المراد هنا أنه يخبر بما علمه من الخير ويسكت عما علمه من الشر ولا يكون ذلك كذبا لأن الكذب الإخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهذا ساكت ولا ينسب لساكت قول ولا حجة فيه لمن قال يشترط في الكذب القصد إليه لأن هذا ساكت وما زاده مسلم والنسائي من رواية يعقوب بن

إبراهيم بن سعد عن أبيه في آخره ولم أسمع به يرخص في شيء مما يقول الناس إنه كذب إلا في ثلاث فذكرها وهي الحرب وحديث الرجل لامرأته والإصلاح بين الناس وأورد النسائي أيضا هذه الزيادة من طريق الزبيدي عن بن شهاب وهذه الزيادة مدرجة بين ذلك مسلم في روايته من طريق يونس عن الزهري فذكر الحديث قال وقال الزهري وكذا أخرجها النسائي مفردة من رواية يونس وقال يونس أثبت في الزهري من غيره وجزم موسى بن هارون وغيره بادراجها ورويناه في فوائد بن أبي ميسرة من طريق عبد الوهاب بن ربيع عن بن شهاب فساقه بسنده مقتصر على الزيادة وهو وهم شديد قال الطبري ذهبت طائفة إلى جواز الكذب لقصد الإصلاح وقالوا إن الثلاث المذكورة كالمثال وقالوا الكذب المذموم إنما هو فيما فيه مضرة أو ما ليس فيه مصلحة وقال آخرون لا يجوز الكذب في شيء مطلقا وحملوا الكذب المراد هنا على التورية والتعريض كمن يقول للظالم دعوت لك أمس وهو يريد قوله اللهم اغفر للمسلمين ويعد امرأته بعطية شيء ويريد إن قدر الله ذلك وأن يظهر من نفسه قوة قلت وبالأول جزم الخطابي وغيره وبالثاني جزم المهلب والأصيلي وغيرهما وسيأتي في باب الكذب في الحرب في أواخر الجهاد مزيد لهذا إن شاء الله تعالى واتفقوا على أن المراد بالكذب في حق المرأة والرجل إنما هو فيما لا يسقط حقا عليه أو عليها أو أخذ ما ليس له أو لها وكذا في الحرب في غير التأمين واتفقوا على جواز الكذب عند الاضطرار كما لو قصد ظالم قتل رجل وهو مختف عنده فله أن ينفي كونه عنده ويحلف على ذلك ولا يآثم والله أعلم. اهـ

(قَالَ ابْنُ شَهَابٍ وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخِّصْ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ الْحَرْبُ وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا) عُلِمَ بِهَذَا أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ شَهَابٍ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ مِمَّنْ سَمِعَهَا، فَلَيْسَ لَهَا حَكْمُ الرَّفْعِ

والكذب حرام، «يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا».

إلا إذا كان في تخليص نفس من قتل، أو تخليص مسلم من أسر، فلا بأس أن يأتي به الإنسان، وإن استطاع أن يعرض تعريضا فهو أحسن من الكذب الصريح؛ لأن الإنسان إذا اعتاد الكذب ربما سهل عليه بعد ذلك.

وذكروا: أن ربعي بن حراش أو غيره شُهر بالصدق، وكان الحجاج يطلب ولديه، وكانا في بيته، فقالوا للحجاج: سله يخبرك، يريدون أن يسأله فيوقعونه في الكذب، فقال له: أين ولدك؟ قال: في البيت، فتركهما بسبب صدق أبيهما.

ولذلك يقولون: عليك بالصدق وإن ظننت فيه الهلكة فإن فيه النجاة، وإياك والكذب فإن ظننت فيه النجاة فإن فيه الهلك.

فالكذب ريبة، يبقى الرجل خائفا أن لا يفضح، بينما الصادق لا يبالى، يعطي كلمته ويمشي، أما الكذاب يعطي كلمة ثم يتخوف أن يفضح بين الناس.

وما جاء عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «كذبت في ذات الله ثلاث كذبات» وجهها أهل العلم بالمعاريض، ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [سورة الصافات: ٨٩] أي: مما أنتم عليه، ﴿بَلْ فَعَلَهُ وَكِيرُهُمْ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٣] من باب التهكم بهم، «وهذه أختي» أي: أخته في الإسلام.

وهكذا ما جاء من نداء يوسف ﴿أَيَّتَهَا الْعِيزُ إِنَّكُمْ لَسَرْقُونَ﴾ [سورة يوسف: ٧٠] أراد به أن يتوصل إلى أخذ أخيه، وليست هي بتهمة، يعني كلمة صريحة، بل هي من المعارض، والله أعلم.

قال رحمه الله:

بَابُ تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٠٢ - (٢٦٠٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ: «أَلَا أُنبِّئُكُمْ مَا الْعُضَةُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ». وَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ يَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صَدِيقًا، وَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا»^(١).

(أبا إسحاق) وهو عمرو بن عبد الله السبيعي، ثقة، اختلط في آخره، يدلّس.

(العضة) على وزنِ العِدَةِ الكلامُ الفَاحِشُ الغَلِيظُ التَّحْرِيمُ.

(النَّمِيمَةُ): نقل الكلام من قوم إلى قوم على جهة الإفساد.

(الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ) لأنها تنقل كلام الناس؛ فسميت قالة، وقد نهى الله عَزَّوَجَلَّ عن قيل

وقال، كما هو قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ».

(إِنَّ الرَّجُلَ يَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صَدِيقًا، وَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا) فيه أن الصدق

مكتسب والكذب مكتسب، فمن عود نفسه الصدق ومجالسة الصادقين رُزق الصدق، ومن عود نفسه الكذب ومجالسة الكاذبين رُزق الكذب، والصدق يهديه إلى البر كما يأتي، والكذب يهدي إلى الفجور، والبر يهدي إلى الجنة، والفجور يهدي إلى النار.

وقد تقدم الكلام على شؤم النميمة، وأن الإمام محمد بن عبد الوهاب جعلها من السحر في كتاب الإيمان من أول هذا الصحيح، وذلك لما تجر إليه من الفرقة.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٠٩٤).

قال رحمه الله:

بَابُ قُبْحِ الْكَذِبِ وَحُسْنِ الصِّدْقِ وَفَضْلِهِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٠٣ - (٢٦٠٧) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا»^(١).

١٠٤ - (٢٦٠٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَهَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ بَرٌّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ فُجُورٌ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا».

قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي رِوَايَتِهِ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

١٠٥ - (٢٦٠٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكَيْعٌ قَالَا: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٠٩٤).

يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا».

١٥ - (٢٦٠٧) حَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ مُسْهَرٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي حَدِيثِ عِيسَى: وَيَتَحَرَّى الصَّدْقَ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مُسْهَرٍ: حَتَّى يُكْتَبَهُ اللَّهُ.

(جرير) وهو ابن عبد الحميد الضبي.

(منصور) هو ابن المعتمر، ثقة عابد.

(أبي وائل) شقيق، (عبد الله) وهو ابن مسعود.

(عَلَيْكُمْ بِالصَّدْقِ) تحضيض النبي ﷺ على الصدق.

(وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ) تحذير النبي ﷺ من الكذب.

والصدق والكذب قد يطلقان على صدق الأقوال والأفعال والاعتقادات، وعلى كذب الأقوال والأفعال والاعتقادات، فالكافر كذابا قولاً وفعلًا واعتقادًا، والمؤمن صادقًا قولاً وفعلًا واعتقادًا، ويدل على هذا المعنى قول الله ﷻ عَزَّوَجَلَّ عن الكافرين يوم القيامة: ﴿لَعَنَتِ اللَّهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٦١]، وقول الله ﷻ عَزَّوَجَلَّ في حق المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١١٩]، وهكذا النبي ﷺ قال في حق ذلك الرجل: ﴿إِنْ تَصَدَّقِ اللَّهُ يَصْدُقْكَ﴾.

ورب صادق في قوله وهو كاذب في فعله كالمنافقين، ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون: ١] فسماهم كاذبين مع أنهم تلفظوا بالصدق في الشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة، لكن لما لم يوطئ القلب اللسان وإنما هو قول مجرد والقلب يكذبه أخبر الله ﷻ عَزَّوَجَلَّ أنهم كاذبون.

ولذلك كان من أشهر علامة المنافقين الكذب، «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ».

(إِنَّ الصَّدَقَ بِرٌّ) والبر: جوامع أعمال الخير، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

(وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ)؛ لأن الجنة تنال بالأعمال الصالحة بعد رحمة الله وتوفيقه للعبد، ﴿وَقَدْ أَكَلَتْهُ أَلَّتِي أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الزخرف: ٧٢]، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [سورة الحاقة: ٢٤]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [سورة الكهف: ١٠٧].

(وَإِنَّ الْكُذْبَ فُجُورٌ) يهدي إلى الفجور وهو في حد ذاته فجور، ليس من البر في شيء، بل هو من مخالفة الصراط المستقيم، والطريق القويم.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: هَذَا فِيهِ حَتْ عَلَى تَحْرِى الصَّدَقِ - وَهُوَ قَصْدُهُ - وَالْإِعْتِنَاءُ بِهِ، وَعَلَى التَّحْذِيرِ مِنَ الْكُذْبِ وَالتَّسَاهُلِ فِيهِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا تَسَاهَلَ فِيهِ كَثُرَ مِنْهُ، فَعُرِفَ بِهِ، وَكُتِبَ اللهُ لِمُبَالِغَتِهِ صَدِيقًا إِنْ اعْتَادَهُ، أَوْ كَذَّابًا إِنْ اعْتَادَهُ.

وَمَعْنَى يُكْتَبُ هُنَا: يُحْكَمُ لَهُ بِذَلِكَ، وَيَسْتَحِقُّ الْوَصْفَ بِمَنْزِلَةِ الصَّدِيقِينَ وَثَوَابِهِمْ، أَوْ صِفَةِ الْكَذَّابِينَ وَعِقَابِهِمْ، وَالْمُرَادُ إِظْهَارُ ذَلِكَ لِلْمَخْلُوقِينَ إِمَّا بِأَنْ يَكْتُبَهُ فِي ذَلِكَ لِيَسْتَهْرِ بِحَظِّهِ مِنَ الصَّفَتَيْنِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَإِمَّا بِأَنْ يُلْقَى ذَلِكَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ وَالسِّتِّهِمْ، وَكَمَا يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ وَالْبَغْضَاءُ وَإِلَّا فَقَدَرُ اللهُ تَعَالَى وَكِتَابُهُ السَّابِقُ بِكُلِّ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

والأحاديث في فضل الصدق كثيرة، وهكذا الآيات، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٥] في حق المهاجرين؛ لأنهم صدقوا الله ظاهر وباطنا، والله عز وجل يحب الصادقين، وأعد للصادقين والصادقات مغفرة وأجرا عظيما، و«الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»، والصدق بركة في البيع: «فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بينهما»، وقال الله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

قال رحمه الله:

بَابُ فَضْلِ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٠٦ - (٢٦٠٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ، قَالَا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟» قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يُوَلِّدُ لَهُ قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا»، قَالَ: «فَمَا تَعُدُّونَ الصَّرْعَةَ فِيكُمْ؟»، قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرَّجَالُ قَالَ: «لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».

١٠٦ - (٢٦٠٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَ مَعْنَاهُ.

المعاني التي فسر بها الصحابة هي المعاني اللغوية، والمعاني التي يتعاطاها الناس لهذه الألفاظ، فهم عبروا عن معانيها المعروفة المعتادة، والنبي ﷺ عبر عنها بالنسبة إلى الدين.

فالقرب عند الناس **(الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ)** أي أنه مقطوع، لا يُخلف ولا يرقب، لكن النبي ﷺ فسره بالنفع الأخروي، فإن الذي قدم من أبنائه أي ماتوا قبله واحتسبهم كان له أجر عظيم عند رب العالمين، كما جاء في الحديث: **«صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ، يَلْقَى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ أَوْ أَبَوَيْهِ فَيَأْخُذُ بِصَنْفَةِ نَوْبِهِ كَمَا أَخَذْتُ بِصَنْفَةِ نَوْبِكَ، فَلَا يُفَارِقُكَ حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ»**، وكما قال النبي ﷺ أيضا: **«مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوُلَدِ لَمْ يَلْغُوا الْجَنَبَ لَمْ تَمْسَهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ»**.

فالأبناء وإن كان وجودهم فرحة وسرور وبركة على الآباء إلا أنهم إذا قُدموا قبل آبائهم كانوا في ميزان حسناتهم.

وهكذا الصُّرعة في الواقع هو الذي يصرع ويغلب الناس، لكن هذا قد يكون مذموماً، كم من إنسان يصرع الناس وهو مذموم عند الناس! لكن الذي يملك نفسه عند الغضب هذا يثنى عليه، استطاع أن يصرع نفسه الأمانة بالسوء، وأن يصرع الهوى الذي يؤز نفسه إلى الشر أزا، وأن يصرع الشيطان الذي يسوقه إلى الغضب وإلى إظهار ذلك حتى يفسد عليه شأنه، ربما أو صله إلى أن يكون قاتلاً، أو يكون مخاصماً مجادلاً، أو يكون معادياً مقاطعاً مهاجراً، إلى غير ذلك.

فهنيئاً لمن ملك نفسه، لا سيما عند الغضب، أما عند الرضا الجميع يملك نفسه، لكن عند الغضب من الذي يملك نفسه؟ هو الصُّرعة، هو الممدوح، هو الحليم ذكر النبي ﷺ في صفة أشج عبد قيس: **«إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ»**.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠٧ - (٢٦٠٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَعَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ قَالَا: كِلَاهُمَا قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» ^(١).

١٠٨ - (٢٦٠٩) حَدَّثَنَا حَاجِبُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، عَنِ الزُّبَيْدِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ»، قَالُوا: فَالشَّدِيدُ أَيُّهُمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».

١٠٨ - (٢٦٠٩) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَهْرَامٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ كِلَاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

تقدم بيانه، أي الذي يُمدح على شدته الذي يملك نفسه عند الغضب، أما المبادر إلى الانتقام هذا قد يُذم.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠٩ - (٢٦١٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ ابْنُ الْعَلَاءِ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمُرُ عَيْنَاهُ، وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَهَلْ تَرَى بِي مِنْ جُنُونٍ؟ قَالَ ابْنُ الْعَلَاءِ: فَقَالَ: وَهَلْ تَرَى، وَلَمْ يَذْكُرِ الرَّجُلَ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦١١٤).

١١٠ - (٢٦١٠) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَدِيَّ بْنَ ثَابِتٍ يَقُولُ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَغْضِبُ وَيَحْمَرُّ وَجْهَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، فَقَامَ إِلَى الرَّجُلِ رَجُلٌ مِمَّنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَتَدْرِي مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْفَا؟ قَالَ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَمَجْنُونَا تَرَانِي؟

١١٠ - (٢٦١٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

(محمد بن العلاء) هو الهمداني.

(عدي بن ثابت) قاص الشيعة، صدوق اللسان سيء المذهب.

(اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ) كعادة الناس، والصحابة ليسوا بمعصومين، يقع منهم ما يقع من آحاد الناس، إلا أن لهم حسنات عظيمة ربما تمحو ما يقع منهم، كما قال النبي ﷺ في شأن حاطب بن أبي بلتعة: «لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

(فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ، وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ) من شدة الغضب، بل ربما أوصله الغضب إلى أن يصاب بالجلطة، أو يصاب بغير ذلك من الأمراض المستعصية، كما في حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ أوصى ذلك الرجل: «لَا تَغْضِبْ» قال: فإذا الغضب سبب ذلك كله، الغضب متعب، مرهق، يحتاج صاحبه إلى الاعتذار، وقد روي عن رسول الله ﷺ: «إِيَّاكَ وَكُلَّ مَا يُعْتَدَرُ مِنْهُ»^(١).

(١) رواه الضياء المقدسي في (الأحاديث المختارة)، حديث رقم: (٢١٩٩)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والغضب إن لم يكن لله **عَزَّجَلَّ** يخرج صاحبه عن الاعتدال، بالغضب يقع القتل، وبالغضب تنتهك الحرم، وبالغضب تقع المهاجرة والمباعدة والمسابة، وبالغضب يتفارق الأزواج، وبالغضب يدعوا الآباء على الأبناء، وأشياء كثيرة بسبب هذه الصفة. **(إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَحْدُ)** فيه أن الغضب له أدوية حسية ومعنوية، من الحسية قالوا: إن كان قائما يجلس، وإن كان جالسا يضجع، وقيل: يتوضأ، ويذهب، حتى يشغل نفسه بغير المغضب.

والمعنوية: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ لأن الغضب من الشيطان، إن لم يكن لرضى الرحمن فهو من الشيطان.

(فَقَالَ الرَّجُلُ: وَهَلْ تَرَى بِي مِنْ جُنُونٍ؟) وهذا من جراء الغضب، النبي ﷺ يأمره أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو يقول: هل ترى بي من الجنون؟ لو لم يكن مغضبا لبادر إلى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: وَأَمَّا قَوْلُ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي اشْتَدَّ غَضَبُهُ: **(هَلْ تَرَى بِي مِنْ جُنُونٍ؟)** فَهُوَ كَلَامٌ مَنْ لَمْ يُفْقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ يَتَهَذَّبْ بِأَنْوَارِ الشَّرِيعَةِ الْمُكْرَمَةِ، وَتَوَهَّمَ أَنَّ الاسْتِعَاذَةَ مُحْتَصَةً بِالْمَجْنُونِ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الْغَضَبَ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ، لِهَذَا يَخْرُجُ بِهِ الْإِنْسَانُ عَنِ اعْتِدَالِ حَالِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِالْبَاطِلِ، وَيَفْعَلُ الْمَذْمُومَ، وَيَنْوِي الْحَقْدَ وَالْبُغْضَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْقَبَائِحِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى الْغَضَبِ، لِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ الَّذِي قَالَ لَهُ: أَوْصِنِي، قَالَ: **«لَا تَغْضَبُ»**، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: **«لَا تَغْضَبُ»**، فَلَمْ يَزِدْهُ فِي الْوَصِيَّةِ عَلَى **«لَا تَغْضَبُ»** مَعَ تَكَرُّرِهِ الطَّلَبِ، وَهَذَا دَلِيلٌ ظَاهِرٌ فِي عِظَمِ مَفْسَدَةِ الْغَضَبِ وَمَا يَنْشَأُ مِنْهُ.

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا الْقَائِلَ: **(هَلْ تَرَى بِي مِنْ جُنُونٍ؟)** كَانَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، أَوْ مِنْ جُفَاةِ الْأَعْرَابِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

وأحيانا يكون الإنسان جاهلا لبعض شيء، فبعض الناس إذا قلت: أعوذ بالله من شرك ربما غضب، مع أن النبي ﷺ كان يقول: «نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا»، وفي الحديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِّي» ^(١)، إلى غير ذلك.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١١ - (٢٦١١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ فَلَمَّا رَأَاهُ أَجُوفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ».

١١١ - (٢٦١١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ، حَدَّثَنَا بِهِزٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بِهِذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

(لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ) حيث خلقه من طين كما أخبر الله في مواطن من كتابه. (تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكَهُ)؛ لأن مبدأه أن الله خلقه من طين، ثم تركه قبل أن ينفخ فيه الروح.

(فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ) يتعجب، لا يدري ما هو، وماذا يراد منه. (فَلَمَّا رَأَاهُ أَجُوفَ) يعني له فم، ومعدة، وأنف، وعين، ونحو ذلك. (عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ) سرعان ما يسقط جراء الشهوات، شهوة البصر تأخذه إلى ما لا يحمد في هذا الباب إن لم يتقيد بالشرعية، وشهوة السمع تحمله على

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٤٩٢)، عن شكل بن حميد.

ما لا يحمد إذا لم يتقيد بالشرعية، وشهوة الفرج تحمله على ما لا يُحمد إذا لم يتقيد بالشرعية، وشهوة الفم والأنف كل يحمله على ما لا يحمد ما لم يتقيد بالشرعية. فمداخل الشيطان على الإنسان من هذه التجويفات، وهو قد عرف هذا حين طاف به في الجنة، قبل أن ينفخ فيه الروح، استدل بالقرينة؛ لأن هذه التجاويف دليل على حاجة، ودليل على ضعف.

ولذلك الجنة ما فيها بول ولا غائط، ولا بصاق، ولا مني، ولا هناك شيء من ذلك، بقيت عندنا الفم والسمع والبصر يعطيه الله **عَزَّجَلَّ** من النعيم ما يتلذذ به من المباح، ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [سورة الرحمن: ٧٢]، ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [سورة الرحمن: ٥٦]، وهكذا ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [سورة المطففين: ٢٣]، إلى ربهم، ينظرون إلى نعيم الجنة، وينظرون إلى الأنهار، وينظرون إلى زوجاتهم، ويلتقون بأصحابهم.

وهكذا الأذن يسمعون إلى غناء زوجاتهم، سواء من الإنسيات أو من الحوريات، والأكل يأكلون ويشربون ما شاءوا، والجماع دحما دحما مع زوجاتهم أي بغير إنزال، وما أنعم الله عليهم به في الجنة.

أما في الدنيا فهذه التجويفات هي سبب الفتنة، ائتني بواحد يفتن كثيرا من غير هذه التجويفات، ربما شم الرائحة الجميلة، ورأى المنظر الجميل، وسمع الصوت الحسن، بعد ذلك ذهب لإفساد فرجه بسبب هذه الثلاثة الأمور وهذه الثلاثة التجويفات، ويأكل الحرام بسبب تجويف الفم، ويشرب الحرام بسبب تجويف الفم إلى غير ذلك من الأشياء.

قال رحمه الله:

بَابُ النَّهْيِ عَنْ ضَرْبِ الْوَجْهِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١١٢ - (٢٦١٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنُ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ يَعْنِي الْحَزَامِيَّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ»^(١).

١١٢ - (٢٦١٢) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ وَرُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ: «إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ».

١١٣ - (٢٦١٢) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَتَّقِ الْوَجْهَ».

١١٤ - (٢٦١٢) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَبْرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ سَمِعَ أَبَا أَيُّوبَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلَا يُلْطِمَنَّ الْوَجْهَ».

١١٥ - (٢٦١٢) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْصَمِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنِ الْمُثَنَّى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ حَاتِمٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٥٥٩).



١١٦ - (٢٦١٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مَالِكٍ الْمَرَاغِيِّ وَهُوَ أَبُو أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ».

«إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ» لكرامته، فيحرم عليه أن يضرب وجهه، ويأتي التفصيل والسبب: (فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) اختلف العلماء في هذا الضمير، فذهب بعضهم إلى أن معنى الحديث: إن الله خلق آدم على صورة آدم، والصحيح أن هذا التفسير فيه ما فيه، سيكون الكلام فيه تكرار، ولا فائدة منه أصلاً، فإن الله خلق آدم على صورته، والبعير على صورته، وهكذا.

لكن المراد (فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) جاء في بعض الروايات: «على صورة الرحمن»، وإن كانت أساندها ضعيفة إلا أنها مفسرة ويدل عليها ظاهر هذا اللفظ، فإن الضمير عائد إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإن الله خلق آدم على صورة نفسه.

وليس معنى ذلك: أن آدم يماثل الله عَزَّجَلَّ تعالى الله، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١]، ولكن آدم له سمع وبصر، وقدرة وإرادة، وما يليق بضعفه، والله عَزَّجَلَّ له سمع وبصر وإرادة وقوة على ما يليق بجلاله، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، فتصان الأحاديث عن التمثيل والتشبيه، وعن التعطيل، والتحريف، فعند ذلك لا تشاهد أي نكارة في مثل هذا الحديث، إنما يستنكر هذا الحديث ممن ذهب إلى التمثيل أو إلى غير ذلك من المعاني الباطلة.

ومع ذلك هذا الخلاف سني، إلا أن الراجح هو هذا، «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» أي: على صورة الرحمن، وللشيخ حمود بن عبد الله التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى رسالة على مضمون ما قلناه، سماها "عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن".

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْمَازِرِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ بِهَذَا اللَّفْظِ ثَابِتٌ، وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ، وَلَيْسَ يَثَابِتٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَكَأَنَّ مَنْ نَقَلَهُ رَوَاهُ بِالْمَعْنَى الَّذِي وَقَعَ لَهُ، وَغَلَطَ فِي ذَلِكَ.

قَالَ الْمَازِرِيُّ: وَقَدْ غَلَطَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَأَجْرَاهُ عَلَى ظَاهِرِهِ، قَالَ: لِلَّهِ تَعَالَى صُورَةٌ لَا كَالصُّورِ. اهـ

بل له صورة تليق بجلاله، هذا هو الصواب، وقد قال رسول الله ﷺ: «فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ» والحديث في الصحيحين، فتثبت لله الصورة التي تليق بجلاله، سواء أثبتنا أن المعنى بهذا الحديث: على صورة الرحمن، أو قلنا: على صورة آدم، الصورة ثابتة من حديث آخر، ولهذا غلط العلماء من ذهب إلى نفي الصورة؛ لأحاديث الشفاعة: «فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ»، «هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَدْنَى اللَّهِ لَهُ بِالسُّجُودِ».

وكلام النووي وكلام المازري في هذا المقام لا يستقيم، فالصورة ثابتة، سواء بهذا الحديث أو بغيره، والذي يظهر أن هذا الحديث أيضا دال على إثبات الصورة لله عَزَّوَجَلَّ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١]، كما أننا نثبت لله سمعا، وبصرا وقدرة، وإرادة، وغضبا، ورضا، ومحبة، وغير ذلك مما يتصف به، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: ١١]، نثبت له الصورة، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: ١١]، والله أعلم.

قال رحمه الله:

بَابُ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ لِمَنْ عَذَّبَ النَّاسَ بِغَيْرِ حَقٍّ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١١٧ - (٢٦١٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ بْنِ حِزَامٍ قَالَ: مَرَّ بِالشَّامِ عَلَى أَنَاسٍ، وَقَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ وَصَبَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الزَّيْتُ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قِيلَ: يُعَذَّبُونَ فِي الْخَرَاجِ فَقَالَ: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ فِي الدُّنْيَا».

١١٨ - (٢٦١٣) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَرَّ هِشَامُ بْنُ حَكِيمٍ بْنِ حِزَامٍ عَلَى أَنَاسٍ مِنَ الْأَنْبَاطِ بِالشَّامِ قَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ فَقَالَ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالُوا: حُبِسُوا فِي الْحِزْيَةِ فَقَالَ هِشَامٌ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا».

١١٨ - (٢٦١٣) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ كُلُّهُمْ عَنْ هِشَامٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: وَأَمِيرُهُمْ يَوْمَئِذٍ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ عَلَى فَلَسْطِينَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَحَدَّثَهُ فَأَمَرَ بِهِمْ فَخُلُّوا.

١١٩ - (٢٦١٣) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ وَجَدَ رَجُلًا وَهُوَ عَلَى حِمَصٍ يُشَمْسُ نَاسًا مِنَ النَّبْطِ فِي آدَاءِ الْحِزْيَةِ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا».

(وَصَبَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الزَّيْتُ) هذه أفعال الجبابة، قساة القلوب، الذين يتفنون بتعذيب الناس، والشأن أن الإنسان ينبغي أن يكون رحيما، يتخلق بهذه الصفة العظيمة التي اتصف الله بها، واتصف بها أنبياءه، واتصف بها خُلص المؤمنين.

(يُعَذَّبُونَ فِي الْخَرَاجِ) فيما عندهم، إما زكوات، وإما أعطيات، وإما جزيات، وإما غير ذلك.

(إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ) أي يوم القيامة، وربما أيضا في القبر، وهو من القيامة، «القبر أول منازل الآخرة»، وربما سلط عليهم من يعذبهم في الدنيا، الجزء من جنس العمل. (الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا) إن كان تعذيبهم لهم بغير حق، وإن كان تعذيبهم لهم فيه تجاوز، فعلى الإنسان أن يلزم العدل والإنصاف، له وعليه، وعليه أن يكون رحيمًا ليرحم، وغفورًا ليغفر له، وعفوا ليعفو عنه.

وهذا الحديث يحتاج أن يسمعه الرافضة، وهكذا من يعمل في الأمن القومي والأمن السياسي، لا سيما في غير البلاد اليمنية، ربما تجدهم من أفجر ما يكون من الناس، لا سيما الذين يعملون مع بشار الأسد، والذين كانوا يعملون مع عبد الناصر والذين كانوا يعملون مع صدام حسين، كانوا يتفنون بتعذيب الناس، وبتقطيعهم وبتجويعهم، وما زال كثيرهم إلى الآن.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ أَمْرِ مَنْ مَرَّ بِسِلَاحٍ فِي مَسْجِدٍ أَوْ سُوقٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنَ الْمَوَاضِعِ الْجَامِعَةِ
لِلنَّاسِ أَنْ يُمْسِكَ بِنِصَالِهَا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢٥ - (٢٦١٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو سَمْعٍ جَابِرًا يَقُولُ: مَرَّ رَجُلٌ فِي الْمَسْجِدِ بِسَهَامٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمْسِكْ بِنِصَالِهَا»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٥١).

١٢١ - (٢٦١٤) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو الرَّبِيعِ قَالَ أَبُو الرَّبِيعِ: حَدَّثَنَا وَقَالَ يَحْيَى وَاللَّفْظُ لَهُ: أَخْبَرَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَجُلًا مَرَّ بِأَسْهُمٍ فِي الْمَسْجِدِ قَدْ أَبْدَى نُصُولَهَا، فَأَمَرَ أَنْ يَأْخُذَ بِنُصُولِهَا؛ كَيْ لَا يَخْدِشَ مُسْلِمًا.

١٢٢ - (٢٦١٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ: أَمَرَ رَجُلًا كَانَ يَتَصَدَّقُ بِالنَّبْلِ فِي الْمَسْجِدِ أَنْ لَا يَمُرَّ بِهَا إِلَّا وَهُوَ آخِذٌ بِنُصُولِهَا وَقَالَ ابْنُ رُمْحٍ: كَانَ يَصَدَّقُ بِالنَّبْلِ.

(أبو بكر بن أبي شيبة) عبد الله بن محمد، كم يتكرر في البخاري وفي مسلم!

(إسحاق بن إبراهيم) الحنظلي، ويقال له: ابن راهويه عند أصحاب العقائد، كم

يتكرر! فعلى طلاب العلم أن يحفظوا أسلافهم، وأن يحفظوا رجال حديثهم.

(سفيان بن عيينة) هو أبو محمد.

(عمرو) وهو ابن دينار.

(بِسْهَام) وهي ما يرمى به من النبل ونحوه، يكون في طرفها حديدة.

(فَأَمَرَ أَنْ يَأْخُذَ بِنُصُولِهَا كَيْ لَا يَخْدِشَ مُسْلِمًا) وهذا من باب سد الذرائع.

فالإنسان يسعى في سد الذرائع الموصلة إلى الفتن الحسية أو الفتن المعنوية، فإن الإسلام جاء بسد الذرائع، أمر بغض البصر؛ لسد ذريعة الزنا، وأمر بعدم الخلوة والاختلاط بالأجنبية؛ لذلك، ونهى عن تشييد القبور والقباب؛ لسد ذراع الشرك، ونهى عن تصوير ذوات الأرواح؛ لذلك، ونهى عن كل قرض جر نفعا فهو ربا؛ لسد ذرائع الربا، وكم هي المنهيات التي جاء بها الإسلام لسد الذرائع!

وقد ذهب المتهوك سلمان العودة إلى القول: نحن بحاجة إلى فتح الذرائع أكثر من سدها، ماذا بقي من الأمور التي يريدون التوسع فيها؟ قد توسعوا في جميع أمور الدين،

والله المستعان، والله ما من ذريعة سُدتْ إلا وفيها مصالح حالية ومآلية، حسية ومعنوية، فإن الله **عَزَّجَلَّ** يقول عن نفسه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك: ١٤].
(كَانَ يَتَصَدَّقُ بِالنَّبْلِ فِي الْمَسْجِدِ) ومع ذلك أمره أن يأخذ بنصالتها؛ حتى لا يصيب بها أحدا.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٢٣ - (٢٦١٥) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَجْلِسٍ أَوْ سُوقٍ، وَبِيَدِهِ نَبْلٌ فَلْيَأْخُذْ بِنَصَالِهَا، ثُمَّ لْيَأْخُذْ بِنَصَالِهَا، ثُمَّ لْيَأْخُذْ بِنَصَالِهَا».
 قَالَ: فَقَالَ أَبُو مُوسَى: وَاللَّهِ مَا مُتْنَا حَتَّى سَدَدْنَاَهَا بَعْضُنَا فِي وَجْهِهِ بَعْضٌ ^(١).
١٢٤ - (٢٦١٥) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرَّادٍ الْأَشْعَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ وَاللَّفْظُ لِعَبْدِ اللَّهِ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدٍ أَوْ فِي سُوقٍ وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ عَلَى نَصَالِهَا بِكَفِّهِ؛ أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا شَيْءٌ أَوْ قَالَ: لِيَقْبِضَ عَلَى نَصَالِهَا».

(هداب بن خالد) يقال له: هُدْبَة.

(حماد بن سلمة) بن دينار.

(ثابت) البناني.

(فَلْيَأْخُذْ بِنَصَالِهَا، ثُمَّ لْيَأْخُذْ بِنَصَالِهَا، ثُمَّ لْيَأْخُذْ بِنَصَالِهَا) كرر ذلك ثلاثاً؛ تنبيهاً على شؤم الإشارة إلى الأخ بالحديدة، وإلى عظيم حق المسلم على أخيه؛ حتى لا يصيبه بها أو يؤذيه أو يخيفه، «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا» ^(٢)، هكذا يقول النبي ﷺ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٥٢).

(٢) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٢٣٠٦٤)، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ.

انظروا إلى هذا الترتيب؛ لتعلموا أن الإمام مسلم قد رتب كتابه أيما ترتيب، في الأول: مر رجل في المسجد بسهام، ثم ذكر أنه في المجلس والسوق؛ حتى لا يقول قائل: الحديث يتعلق بالمسجد فقط، بل الحديث عام.

على الإنسان أن يأخذ الحيطة والحذر في حال تناول السلاح، وإني لأعجب من بعضهم مثلاً يأخذ البندق هذا الآلي أو ما في بابه فيناولك هكذا مشيراً به إليك، لا يصلح، ولا يصلح إذا جلس أن يجعله إلى أخيه، ما يدري لعل أن يكون فيه شيء فينزغ الشيطان فيقتل أو يصيب.

قوله: (أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بَشْيٌ) لا يجوز إصابة المسلم ولا غير المسلم، إلا في حال الحرب يصاب غير المسلم، لا حرج من ذلك.
(فَقَالَ أَبُو مُوسَى: وَاللَّهِ مَا مُتْنَا حَتَّى سَدَدْنَاَهَا بَعْضُنَا فِي وَجْهِهِ بَعْضٍ) إشارة إلى الفتن التي حصلت بين الصحابة، ووقع فيها من القتل والقتال ما الله به عليم.
 قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالسَّلَاحِ إِلَى مُسْلِمٍ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢٥ - (٢٦١٦) حَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَ: عَمْرُو، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ».

١٢٥ - (٢٦١٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

(عمرو الناقد) وهو عمرو بن محمد.

(ابن أبي عمر) وهو محمد بن يحيى بن أبي عمر.

(أيوب) بن أبي تميمة السخثياني.

(ابن سيرين) محمد.

(مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ) دليل على أنها كبيرة.

وهذا وعيد عظيم، حتى لو أشار إليه بالسيارة، أو أشار إليه بالسلك الذي فيه حديدة، وما في بابها من الألمنيوم والنحاس، كل ذلك داخل في الحديدة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢٦ - (٢٦١٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنْبِهِ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسَّلَاحِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ»^(١).

(لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ) فيرمي أخاه فيصبح قاتلا، لا سيما إذا كانت إشارته في حال غضبه، ربما هو لا يريد القتل فيقع في القتل، نسأل الله السلامة والعافية.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فَضْلِ إِزَالَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢٧ - (١٩١٤) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ سُمَيِّ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ»^(٢).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٠٧٢).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٢).

١٢٨ - (١٩١٤) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا نَحْيَنَ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ».

١٢٩ - (١٩١٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَّقَلُّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَأَنَّهُ تُؤْذِي النَّاسَ».

١٣٠ - (١٩١٤) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا بِهِزٌ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ شَجَرَةً كَأَنَّهُ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَطَعَهَا فَدَخَلَ الْجَنَّةَ».

(يحيى بن يحيى) هو التميمي النيسابوري، وهناك يحيى بن يحيى آخر يروي عن مالك الليثي، راوية (الموطأ)، راوية (الموطأ) غير يحيى بن يحيى التميمي النيسابوري الذي يروي عنه مسلم.

(مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ) هذا الرجل مسلم؛ لأن غير المسلم لا عبرة بعمله ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٢٣].

وفيه أن الله شكور، يجازي العبد على أعماله اليسيرة بالكثير الطيب، انظر في غصن شوك أزاله من الطريق (فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ)، فكيف بمن يزيل من هو أعظم من ذلك من المؤذيات للمسلمين من المقلقات للمسلمين؟ فكيف بمن يحارب الشركات والبدع والخرافات؟ أعظم إثابة من هذا الذي يزيل الشوكة من الطريق ويؤجر هذا الأجر.

فهنيئاً للعلماء ومن سار على سيرهم في تبليغ دين الله، والتحذير مما يخالفه. (مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ) إما أن يكون غصنا مقطوعا قد انفصل من الشجرة، أو أن الشجر قد امتدت.

(فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُنَحِّينَ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ) فيه عظيم شأن الإحسان إلى المسلمين، «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»، وهذا من الإحسان، ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ [سورة البقرة: ١٩٥]، كما أن أذى المسلمين محرم فرفع الأذى عن المسلمين من أعظم الأجور، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب: ٥٨]، مفهومه بالمخالفة: أن الذين يحسنون إلى المسلمين والمسلمات من المسلمين يصيبهم من الله أجر عظيم.

(فَادْخُلِ الْجَنَّةَ) فيه بيان لقول النبي ﷺ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ كَذَلِكَ»، فلا تحقرن من المعروف شيئاً، إزالة الشوكة إزالة الحصا، ومن هذا الباب: إزالة الحجارة التي توضع في الطرقات، لا سيما الإزفلتية، فإن هذه الحجارة قد تسبب الحوادث، وقد تكون سببا في موت بعض الأشخاص.

وكثير من المسلمين هداهم الله ينزل لإصلاح سيارته فيضع الحجارة ثم بعد ذلك يترك الحجارة في الطريق على حالها، والله المستعان، هذا أمر لا يليق شرعا ولا قدرا، ربما يصاب بها هو، أو غيره بسبب فعلته.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣١ - (٢٦١٨) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبَانَ بْنِ صَمْعَةَ، حَدَّثَنِي أَبُو الْوَاظِ، حَدَّثَنِي أَبُو بَرَزَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَنْتَفِعَ بِهِ قَالَ: «اغْزِلِ الْأَذَى عَنِ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ».

(زهير بن حرب) أبو خيثمة النسائي، معه كتاب يسير في العلم، كان قد حققه أخونا عبد الوهاب الحجوري هداه الله.

(يحيى بن سعيد) وهو القطان، أعلى رتبة وأدنى طبقة، والأنصاري أعلى طبقة وأدنى رتبة، الأنصاري يروي عن التابعين، ويحيى بن سعيد القطان يروي عن تابعي التابعين، والقطان شيخ شيوخ البخاري ومسلم، وشيخ أحمد.

(أبو برزة) نضلة بن عبيد الأسلمي.

(اغْزِلِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ) لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ! سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَعْلَمَهُ شَيْئًا مِنْ شَأْنِ الدِّينِ يَنْتَفِعُ بِهِ، قَالَ: (اغْزِلِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ) مَعَ أَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَى تَعْلَمُهَا كَثِيرَةٌ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَهْمِيَةِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْجَلِيلَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ ذَكَرَ مِنَ الصَّدَقَاتِ: الشُّوْكَةُ تَزِيلُهَا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَالْحَجَرُ تَزِيلُهُ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ.

قَالَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣٢ - (٢٦١٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ الْحَبَّابِ، عَنْ أَبِي الْوَاظِ الرَّاسِبِيِّ، عَنْ أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ أَنَّ أَبَا بَرَزَةَ قَالَ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَا أَدْرِي لَعَسَى أَنْ تَمُضِيَ وَأَبْقَى بَعْدَكَ فَرَوِّدْنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفْعَلْ كَذَا أَفْعَلْ كَذَا - أَبُو بَكْرٍ نَسِيَهُ - «وَأَمْرُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ».

فِيهِ سَوَالُ الْوَصِيَّةِ مِنَ الْوَالِدِ وَالْعَالَمِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْخَبَرَةِ، فَقَدْ يَسْتَفَادُ مِنْ وَصَايَاهُمْ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ.

(فَرَوِّدْنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ) حَرَصَ السَّلَفُ عَلَى مَا يَقْرِبُهُمْ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ، أَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْرَصُ عَلَى أَنْ يَنْفَعُ نَفْسَهُ بِمَا يُرِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبِمَا يُرْفَعُ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ.

دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ أَوْصَاهُ بَعْدَهُ وَصَايَا، وَأَمْرُهُ أَنْ يَمُرَّ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَيُزِيلُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ تَحْرِيمِ تَعْذِيبِ الْهَرَّةِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْحَيَوَانِ الَّذِي لَا يُؤْذِي

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣٣ - (٢٢٤٢) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَسْمَاءَ بْنِ عُبَيْدِ الضُّبَعِيِّ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ يَعْنِي: ابْنَ أَسْمَاءَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هَرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ هِيَ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»^(١).

١٣٣ - (٢٢٤٢) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ جَمِيعًا عَنْ مَعْنٍ بْنِ عِيسَى، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيثِ جُوَيْرِيَةَ.

١٣٤ - (٢٢٤٢) وَحَدَّثَنِيهِ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هَرَّةٍ أَوْتَقَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَسْقِهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ».

١٣٤ - (٢٢٤٢) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

(عبد الله بن محمد بن أسماء) وهناك عبد الله بن محمد بن أبي الأسود، وعبد الله بن محمد المسندي الجعفي، وعبد الله بن محمد بن أبي شيبة، أربعة مشايخ للبخاري، والخامس النفيلي، ليس من مشايخه ولكنه من رجاله، وهذا من باب المتفق والمفترق، اتفق في اللفظ واختلف في الذوات.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٣٦٥).

(جُوَيْرِيَّةُ يَعْنِي: ابْنُ أَسْمَاءَ) جويرية وأسماء عندهم من أسماء الرجال، وأيضا تطلق من أسماء الإناث، ومثله سبأ، من أسماء الرجال وربما كان من أسماء الإناث.
(عبد الله) وهو ابن عمر.

(عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ) حميرية سوداء، كما قد تقدم في كتاب الكسوف.
(سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ) أي عذبتها، فتعذيب الحيوان لا يجوز، حتى مع أنه حيوان بهيم، فكيف بتعذيب الإنسان؟ فكيف بتعذيب المسلم؟ فكيف بتعذيب المستقيم؟
(وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ) من هوام الأرض، يعني من الوزغ والفئران، وما في بابها.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣٥ - (٢٦١٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَخَلَتْ امْرَأَةُ النَّارِ مِنْ جَرَاءِ هَرَّةٍ لَهَا أَوْ هَرٌّ رَبَطْتُهَا فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَرْمِمُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلًا»^(١).

(محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق) سبحان الله محمد بن رافع أين لقي عبد الرزاق، هل رحل لليمن؟ محمد الرافع نيسابوري على ما أضن، وبقية السند يمينون، عبد الرزاق، معمر، همام، أبو هريرة، كلهم يمينون، أو لقيه في مكة، الله أعلم.
(هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ) هذه صحيفة، وهذا دليل أن بداية التصنيف كان في زمن التابعين، بل بعض الصحابة قد كتب، مثل عبد الله بن عمرو بن العاص، فيأتي متهوك من المتهوكين ويقول: ما أدري البخاري؟ ما أعلم البخاري بهذا الشيء؟ عندنا صحف مكتوبة من زمن الصحابة، وصحف مكتوبة من زمن التابعين.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٣١٨).

وأما التصنيف ككتب مستقلة قد بدأ من تابعي التابعين، ذكروا أن ابن جراح أول من صنف، وذكروا غير ابن جريح، وهنا عبد الرزاق من تابعي التابعين، صاحب (المصنف).

فباؤوا وخسروا الذين يطعنون في صحيح البخاري وصحيح مسلم يصدقون: حدثني أبي عن جدي بما لا أصل له، ويكذبون بما رواه الجبال من الحفاظ الأثبات. (مَنْ جَرَّاءِ هَرَّةٍ لَهَا) يعني سببها أو بأجلها. (تُرْمَمُ) وفي بعضها: (تُرْمَرُمُ)، أي: تَتَنَاوَلُ ذَلِكَ بِشَفَقَتَيْهَا.

(حَتَّى مَاتَتْ هَزْلًا) هذا يدل على قسوة في قلب هذه المرأة، فلذلك جزيت بهذا الجزاء، بسبب قسوة قلبها على هرة، وقساة القلوب تجد عندهم غلظة في كثير من شأنهم، وقسوة حتى في عدم الخشوع، وعدم السكينة، وعدم الرقة، والنبى ﷺ يقول لأبي رمثة: «والشاة إن رحمتها رحمك الله»، فكيف إذا رحمت الإنسان؟ كيف إذا رحمت المسلم؟ كيف إذا رحمت السلفي؟ كيف إذا رحمت ولدك وزوجتك؟ كيف إذا رحمت أباك وأمك؟ كم لك من الأجور العظائم؟ والله المستعان. وأسباب دخول الجنة كثيرة لمن أخذ بها، وأسباب دخول النار كثيرة، ونسأل الله أن يوفق العبد إلى طاعته ومرضاته.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبَرِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣٦ - (٢٦٠) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْأَعْرَجِ: أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَنْ



أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكَبرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يَنَازِعُنِي عَدْبَتُهُ».

(عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي) كلاهما صدوق.

(أبو إسحاق) السبيعي، تقدم، عمرو بن عبد الله.

وقد تقدم الكلام عن الكبر وشؤمه في كتاب الايمان، وهنا ذكره في باب الآداب والبر والصلة، حتى يكون الإنسان على حذر من التخلق بهذا الخلق الذميم في حق الإنسان، العظيم في حق الرحمن؛ لأن الله عَزَّجَلَّ أهل أن يتكبر، وهو المتكبر، وصفة الكبر لا تنفك عنه أزلاً وأبداً.

بينما المخلوق ضعيف في جميع شأنه، ضعيف في مداركه، ضعيف في علمه ضعيف في قواه، ضعيف من حيث الحاجة، ما يستطيع أن يعيش مستغن ولا يوماً واحداً، ائتوني بإنسان يستطيع أن يعيش مستغن غنى ذاتي، لا يمكن، بل ولا ساعة واحدة، بل ولا ربما دقيقة كاملة، يحتاج إلى الهواء، يحتاج إلى الطعام، يحتاج إلى الشراب، يحتاج إلى الزوجة، يحتاج إلى الماء، ويحتاج إلى المركب، يحتاج إلى الملابس، يحتاج إلى النوم، يحتاج إلى كثير من الأمور، خلقه الله فقيراً، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [سورة فاطر: ١٥]، فلا يجوز له أن يتعالى.

ونثبت لله عَزَّجَلَّ صفتي: الكبر والعزة، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الروم: ٥]، والحديث يُمرَّ على ما جاء، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

قال رحمه الله:

بَابُ النَّهْيِ عَنْ تَقْنِيطِ الْإِنْسَانِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٣٧ - (٢٦٢١) حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ جُنْدُبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَبْتُ عَمَلَكَ»، أَوْ كَمَا قَالَ.

(سويد بن سعيد) ضعيف، إلا أن الإمام مسلم انتقى من حديثه.

(معتمر) بن سليمان.

(عن أبيه) سليمان بن طرخان التميمي.

وجاء هذا الحديث عن غير جندب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَحَابِّينِ، أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، وَالْآخَرُ كَانَهُ يَقُولُ: مُذْنِبٌ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَفْصِرْ، أَفْصِرْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ، فَيَقُولُ: خَلَنِي وَرَبِّي، حَتَّى وَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ، فَقَالَ: أَفْصِرْ، فَقَالَ: خَلَنِي وَرَبِّي، أَبْعَثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَبَدًا، وَلَا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ أَبَدًا، قَالَ: فَبَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا فَبَصَصَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْظُرَ عَلَى عَبْدِي رَحْمَتِي؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ، قَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ."

التألي على الله عز وجل والحلف والجزم أنه يغفر لفلان، أو لا يغفر من علم الغيب الذي لا يصلح أن يجزم به الإنسان، فرب مسرف على نفسه يموت على توبة ورب مصلح يموت على انتكاسة، ولذلك كان في الحديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ عَمًا، أَوْ هَمًّا، أَوْ أَنْ أَمُوتَ عَرَقًا، وَأَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ»^(١).

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٨٦٦٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذا الفضل ليس لكل أشعث مدفوع بالأبواب، الآن كثير من الشعث الذين يُدفعون بالأبواب ما يصلي، وبعضهم غير موحد، وبعضهم ربما يكون زنديقا خاملا، فليست هذه هي العبرة، العبرة أن يكون خاملا مع طاعة الله وتوحيده، ومراقبته، وحسن عبادته، هذا هو صاحب الفضل.

(رُبَّ أَشْعَثَ) الملبد الشعر، المغبر، غير مدهون ولا مرجل.

(مَدْفُوعٌ بِالْأَبْوَابِ) لا قدر له عند الناس، لا يدعونه لوليمة، ولا يشهدونه في مسألة، ولا يشاورونه في أمر، بل ربما دفعوه واحتقروه وازدروه.

(لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ) أَي: حَلَفَ عَلَى وَقُوعِ شَيْءٍ أَوْقَعَهُ اللَّهُ إِكْرَامًا لَهُ بِإِجَابَةِ سُؤَالِهِ، وَصِيَاتِهِ مِنَ الْحِنْثِ فِي يَمِينِهِ، وَهَذَا لِعِظَمِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا عِنْدَ النَّاسِ، وَقِيلَ: مَعْنَى الْقَسَمِ هُنَا الدُّعَاءُ، وَإِبْرَارُهُ إِجَابَتُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وهذا هو الأظهر، وقد يكون قسم حقيقة كما قال ذلك الأنصاري: تكسر ثنية الربيع؟ لا والله، فأبر الله قسمه، ورضي الخصماء بالأرش، أو عفوا.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ النَّهْيِ عَنْ قَوْلِ هَلْكَ النَّاسُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣٩ - (٢٦٢٣) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنُ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (ح) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلْكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ».
قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: لَا أَدْرِي أَهْلَكُهُمْ بِالنَّصْبِ أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ.

١٣٩ - (٢٦٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ.
(ح) وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ حَكِيمٍ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ
بِلَالٍ جَمِيعًا عَنْ سُهَيْلٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.
(هُوَ أَهْلَكُهُمْ) مبتدأ وخبر.

هذا إذا قالها من باب الاحتقار للناس، ويريد يرفع نفسه، ويثني عليها بما ليس فيها،
أما إذا كان يتكلم بما يرى ويسمع متألماً على ما يحصل من البعد عن دين الله **عَزَّوَجَلَّ**
هذا ليس فيه شيء، لكن بعض الناس يذم ليرفع نفسه، فهذا هو المذموم.
قَالَ الْحُمَيْدِيُّ فِي (الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ): الرَّفْعُ أَشْهَرُ، وَمَعْنَاهَا أَشَدُّهُمْ هَلَاكًا،
وَأَمَّا رِوَايَةُ الْفَتْحِ فَمَعْنَاهَا هُوَ جَعَلَهُمْ هَالِكِينَ، لَا أَنَّهُمْ هَلَكُوا فِي الْحَقِيقَةِ.
قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ هَذَا الذَّمُّ إِنَّمَا هُوَ فِيمَنْ قَالَهُ عَلَى سَبِيلِ
الْإِزْرَاءِ عَلَى النَّاسِ، وَاحْتِقَارِهِمْ، وَتَفْضِيلِ نَفْسِهِ عَلَيْهِمْ، وَتَقْيِيحِ أَحْوَالِهِمْ، لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ
سِرَّ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ.

قَالُوا: فَأَمَّا مَنْ قَالَ ذَلِكَ تَحَرُّنًا لِمَا يَرَى فِي نَفْسِهِ وَفِي النَّاسِ مِنَ النِّقْصِ فِي أَمْرِ الدِّينِ
فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ: لَا أَعْرِفُ مِنْ أُمَّةٍ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ جَمِيعًا، هَكَذَا فَسَّرَهُ
الْإِمَامُ مَالِكٌ، وَتَابَعَهُ النَّاسُ عَلَيْهِ.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: مَعْنَاهُ لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَعِيبُ النَّاسَ، وَيَذْكُرُ مَسَاوِيَهُمْ، وَيَقُولُ: فَسَدَ
النَّاسُ، وَهَلَكُوا، وَنَحَوَ ذَلِكَ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ، أَيُّ: أَسْوَأَ حَالًا مِنْهُمْ بِمَا
يَلْحَقُهُ مِنَ الْإِثْمِ فِي عَيْبِهِمْ، وَالْوَقِيعَةِ فِيهِمْ، وَرُبَّمَا آدَاهُ ذَلِكَ إِلَى الْعُجْبِ بِنَفْسِهِ، وَرُؤْيِيَّتِهِ
أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُمْ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

والحديث يساق مساق الذم للنهي عن الفخر، والتطاول، والعجب بالنفس والإزراء
بالآخرين، وأما إذا كان على ما تقدم فلا حرج، تقول: انتشر الزنا والخمر و **ظَهَرَ**
الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴿سورة الروم: ٤١﴾، ونحو ما عليه الناس.

قال رحمه الله:

بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٤٠ - (٢٦٢٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدَةُ وَيزِيدُ بْنُ هَارُونَ كُلُّهُمَا عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ يُعْنِي الثَّقَفِيَّ سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ أَنَّ عَمْرَةَ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ عَائِشَةَ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لِيُورِثَنَّهُ»^(١).

١٤٠ - (٢٦٢٤) حَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

(قتيبة بن سعيد) افتتح الترمذي كتابه من الرجال بقتيبة بن سعيد، وابن ماجه بأبي بكر بن أبي شيبة، وأبو داود بعد الله بن مسلمة، والبخاري بأبي بكر الحميدي ومسلم بزهير بن حرب، والنسائي بقتيبة بن سعيد، إذا يكون اشترك في قتيبة النسائي والترمذي، أما ابن ماجه لم يرو عن قتيبة رأسا، بينه وبين قتيبة رجل، وبقيّة الخمسة روى عنه رأسا. والكتب التي ذكرت لها مقدمات من هذه: مسلم وابن ماجه، أما بقيتها يقول: بسم الله الرحمن الرحيم ويدخل في الأحاديث.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٠١٤).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤١ - (٢٦٢٥) حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ»^(١).

١٤٢ - (٢٦٢٥) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَاللَّفْظُ لِإِسْحَاقَ، قَالَ أَبُو كَامِلٍ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْعَمِّيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ».

١٤٣ - (٢٦٢٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: إِنَّ خَلِيلِي ﷺ أَوْصَانِي: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصْبِهِمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ».

في هذه الأحاديث حق الجار، وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب الإيمان.

وقوله: (مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ)؛ لكثرة الأمر بصلته، والإحسان إليه، وبذل المعروف إليه، ولا يحقر الإنسان ما أعطى جاره، ولو كان شيئاً من مرق، أو من ورق البقل، ونحو ذلك من المأكولات والمشروبات.

وأعظم ذلك كف الأذى عن الجار، فلا يجوز أن يؤذى الجار؛ لأن الله أمر بحقه في القرآن، وهكذا في صحيح السنة، والناس في هذا الباب أقسام:

القسم الأول: الجار ذو القربى مع إسلامه، فله ثلاثة حقوق: حق الإسلام، وحق

القربة، وحق المعجورة.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٠١٥).

القسم الثاني: الجار ذو القربى غير المسلم، وله حق المجورة فقط.

الثالث: الجار المسلم، وله حق المجورة والإسلام.

قوله: (إِنَّ خَلِيلِي) لا يتعارض مع قول النبي ﷺ: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل»، فالنبي ﷺ لم يتخذ خليلاً، خليله الله لكن كون الصحابي جعل النبي ﷺ خليله لا حرج؛ لأن الخلّة: صافي المحبة، والصحابة رضوان الله عليه كان يحبون النبي ﷺ حبا عظيماً.

وفي هذا الحديث من الفوائد: أن الإنسان لا يستقل فعل الخير، وإن كان شيئاً يسيراً، فرب خبزة أنت تراها لا شيء ينتفع بها الجار، أو مرقة تراها لا شيء ينتفع بها الجار، وما زال الناس في عاداتهم الإهداء إلى الجيران، والأخذ من الجيران.

وكثير من الجيران ربما لا يكون بينهم كثير احتشام في هذا الباب، وعن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ وأصحابه مروا بامرأة، فذبحت لهم شاة، واتخذت لهم طعاماً، فلما رجع قالت: يا رسول الله، إنا اتخذنا لكم طعاماً، فادخلوا فكلوا، فدخل رسول الله ﷺ وأصحابه، وكانوا لا يبدؤون حتى يبتدئ النبي ﷺ، فأخذ النبي ﷺ لقمة، فلم يستطع أن يسيعها، فقال النبي ﷺ: «هذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها»، فقالت المرأة: يا نبي الله، إنا لا نحشم من آل سعد بن معاذ، ولا يحشمون منا، نأخذ منهم، ويأخذون منا، قال النبي ﷺ: (أطعموها الأسرى).

لو كانت حراماً ما أذن بإطعامها للأسارى، إنما تنزه النبي ﷺ أن يأكل من شيء ذبح بغير إذن أهله، ولو كان فيه نوع تجوز، إذ أنهم قد يسمحون مع غضاضة، فلعله ترك من هذا الجانب.



قال رحمه الله:

بَابُ اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللَّقَاءِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٤٤ - (٢٦٢٦) حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمُسَمَعِيُّ، حَدَّثَنَا عُمَانُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ يَعْنِي الْخَزَّازَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ».

(أبو غسان المسمعي) مالك بن عبد الواحد.

(لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا) سواء كان من الحسيات كالصدقات، أو المعنويات

كالنصيحة وغير ذلك.

(وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ) مبتسم منشرح.

لا إله إلا الله! ابتسامة في وجه أخيك صدقة، فالإنسان لا يحقر المعروف، ربما هذا المعروف تدخل به الجنة، إدخال السرور على مسلم من أعظم الأعمال، كما صح عن رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُورُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأنَّ أَمْشِي مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا - وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ».

ثم أيضا حين يرى الأخ أخاه بالوجه الطلق يشعر بالأمان والطمأنينة والسكينة أما إذا رآه عابسا تخوف منه، فما أحسن أن يكون الوجه طلقا مع إنشاء السلام، ومع لين الكلام.

قال رحمه الله:

بَابُ اسْتِحْبَابِ الشَّفَاعَةِ فِيمَا لَيْسَ بِحَرَامٍ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٤٥ - (٢٦٢٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ وَحَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ طَالِبٌ حَاجَةً أَقْبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ فَقَالَ: «اشْفَعُوا فَلْتَوْجَرُوا وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ»^(١).

(أبو بكر بن أبي شيبة) عبد الله بن محمد بن إبراهيم.

(أبو بردة) وما بعده مسلسل باليمينين.

استحباب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة، سواء كانت الشفاعة إلى سلطان أو إلى غيره، وأما الشفاعة في الحدود فحرام، وهكذا الشفاعة في الباطل.

وفيه ما عليه النبي ﷺ من دلالة الصحابة على وجوه الخير فينتظر حتى يشفع الشافع، فيؤجر الشافع، ويقع بينه وبين من شفع له المحبة.

(اشْفَعُوا فَلْتَوْجَرُوا) اشفعوا في الخير توجروا.

لكن إن ردك لا تغضب، وإن أجازك فأمر طيب، انظر إلى سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله مالك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنا، فأعرض عنه، يا رسول الله، مالك يا عن فلان، فوالله إني لأراه مؤمنا، فأعرض عنه، وفي الثالثة: يا رسول الله، مالك عن فلان؟ والله إني لأراه مؤمنا، قال: «أقتالا يا سعد؟»، يشفع الإنسان إن قبلت شفاعته وإلا الحمد لله، ما خسر شيئا.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٤٣٢).



وباب الشفاعات كثير، الشفاعة في الزواج، والشفاعة عند الخطبة، والشفاعة في طلب العلم، والشفاعة في دين، والشفاعة في قضاء الحاجات، أبوابها كثيرة.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ اسْتِحْبَابِ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ، وَمُجَانَبَةِ قُرْنَاءِ السُّوءِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٦ - (٢٦٢٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»^(١).

انظروا إلى هذا المثل الذي ضربه النبي الكريم، (إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ) ومن جالس جانس، وقد قال رسول الله ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^(٢).

(كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ) وشتان ما بين اليزيديين في الندى، شتان بين حامل المسك ونافخ الكير، الكير حارٌّ، والمسك رائحته جميلة، والكير يحرق والمسك يطيب.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢١١).

(٢) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٨٠٢٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والناس يتأثرون بأعمالهم فتجد حامل المسك منشرح الصدر، مرتاح البال، ساكن الحال، بينما نافخ الكير مسود الوجه، ضيق الصدر، مضطرب الحال من كثرة ما يدخله من الدخان والحرارة.

فهكذا الإنسان الطيب، مع الطيب صار طيباً في ذاته، طيباً في كلامه، طيباً في فعّاله، طيباً في اعتقاداته، ونافخ الكير صار خبيثاً، في وجهه، في خلقه فيما يصيب الناس منه، حتى وإن لم يرد لكن يلفحك.

(فَحَامِلُ الْمُسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ): يعطيك هدية وهبة، أو صدقة.

(وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ) تشتري بمالك.

(وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً) تشمها بأنفك، فأنت رابح في جميع الأحوال، لا يصيبك منه معرة ولا أذى.

(وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ) ترجع بثوب مخزق، قد أصابته النار، وربما أصابت جلدك.

(وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً) فيكفهر وجهك، وتشمئز نفسك.

فهذا مثل عظيم، لكن الناس لا ينظرون إلى الناس بعين الشريعة، إلا ما رحم ربي وأحسن من يجالس طلاب العلم، أهل القرآن وأهل السنة، فهم أجمل وأروح من المسك الأزفر، خيرهم حاصل، وشرهم منقطع إن شاء الله، إلا فيمن لم يلتزم بعلمه فإما أن يعطيك نصيحة، وتوجيه، وتعليم، وتفهم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإما أن تسلم، لا غيبة، ولا نميمة، ولا كذا.

وأما جلساء السوء لا تسلم من معرفتهم، تارة غيبة وتارة نميمة، وتارة قول الزور، وتارة البهت والكذب.

فهذا مثل عظيم، ضربه النبي الكريم لمن ألقى السمع وهو شهيد.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِيهِ طَهَارَةُ الْمِسْكِ وَاسْتِحْبَابُهُ، وَجَوَازُ بَيْعِهِ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى جَمِيعِ هَذَا وَلَمْ يُخَالَفْ فِيهِ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ، وَنُقِلَ عَنِ الشَّيْعَةِ نَجَاسَتُهُ، وَالشَّيْعَةُ لَا يُعْتَدُّ بِهِمْ فِي الْإِجْمَاعِ.

وَمِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى طَهَارَتِهِ: الْإِجْمَاعُ، وَهَذَا الْحَدِيثُ وَهُوَ قَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَأَمَّا أَنْ يَبْتَاعَ مِنْهُ»، وَالنَّجَسُ لَا يَصِحُّ بَيْعُهُ، وَلِأَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَسْتَعْمِلُهُ فِي بَدَنِهِ وَرَأْسِهِ، وَيُصَلِّي بِهِ، وَيُخْبِرُ أَنَّهُ أَطِيبُ الطِّيبِ، وَلَمْ يَزَلِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ وَجَوَازِ بَيْعِهِ.

قَالَ الْقَاضِي: وَمَا رُوِيَ مِنْ كَرَاهَةِ الْعُمَرَيْنِ لَهُ فَلَيْسَ فِيهِ نَصٌّ مِنْهُمَا عَلَى نَجَاسَتِهِ وَلَا صَحَّتِ الرُّوَايَةُ عَنْهُمَا بِالْكَرَاهَةِ، بَلْ صَحَّتْ قِسْمَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْمِسْكَ عَلَى نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْمَعْرُوفُ عَنْ بَنِ عُمَرَ اسْتِعْمَالُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

لأن المسك عبارة عن دم يخرج من نوع من الغزلان إلى سرتها، فإذا خرج تجمد. فبعد ذلك يبقى فيها ما شاء الله أن يبقى، وتشعر معه بمثل المرض، ثم بعد ذلك تحك نفسها في عمود أو في شيء يسقط ذاك، فيذهب الذين يتبعونه لأخذه، ثم بعد ذلك يخففونه ويبيعونه، وهو غالي الثمن.

وما تجده في الأسواق الآن يقول لك مثلاً: مسك، ما هو مسك، ربما كان مطعماً بالمسك، أما المسك الأصلي يكون غالي الثمن.

ولذلك بعضهم في أماكن الغزلان يعمل أوتادا، بحيث أن الغزال إذا شعرت بالأذى من هذه النفحة حكّت نفسها، وسقط، فيعرفون الأماكن التي يتجمع فيها، والله المستعان.

قال رحمه الله:

بَابُ فَضْلِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْبَنَاتِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٤٧ - (٢٦٢٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَهْزَادٍ، حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ حَزْمٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَهْرَامٍ وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ إِسْحَاقَ وَاللَّفْظُ لَهُمَا، قَالَا: أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: جَاءَنِي امْرَأَةٌ، وَمَعَهَا ابْتَتَانٌ لَهَا فَسَأَلَتْنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَأَخَذَتْهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا شَيْئًا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ وَابْتَتَاهَا، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَدَّثَنِي حَدِيثَهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»^(١).

(محمد بن عبد الله بن قهزاد) أكثر عنه من الرواية في المقدمة.

(عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام) هو الدارمي.

(فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا) وذلك لقلة يد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومع ذلك تجد عندهم

من الصبر ما ليس عند غيرهم.

(غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا) فيه أنهم كانوا يتصدقون من القليل، والقليل عند

الله كثير، وقد جاء في قول بعضهم: دينار غلب ألف دينار، وذلك أن مسكيناً لم يكن له إلا الدينار، فتصدق به، فتصدق بجميع ماله، والآخر عنده آلاف الدنانير وتصدق بألف.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٤١٨).

(فَأَخَذَتْهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا) فيه أن الشفقة على الأبناء مقدم على الشفقة على النفس، لا سيما عند آبائهم وأمهاتهم، وفيه عظيم شأن الأم، إذ أنها تقدم ابنتها أو بناتها على نفسها.

(فَحَدَّثَتْهُ حَدِيثَهَا) فيه أن الإخبار المجرد ليس بغيبة. وفيه أن الإنسان قد يتلى بالذكران، وقد يتلى بالبنات، وقد يتلى بالمال، وقد يتلى بالفقر، فمن ابتلي فليصبر.

(فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ) في التربية والنفقة. **(كُنْ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ)**: حجابا يقيه نار جهنم. وفيه معنى قول النبي ﷺ: **«الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»**.

وفيه أن النار تُتقى بالأعمال الصالحة، كما أن الجنة تنال بعد رحمة الله عز وجل بالأعمال الصالحة، فلا بد من العمل الصالح للسلامة من النيران، وبلوغ الجنان، فالعمل لا يكون صالحا إلا إذا أخلص فيه الله عز وجل، وتوبع فيه رسول الله ﷺ. قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٤٨ - (٢٦٣٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا بَكْرٌ يَعْنِي ابْنَ مُضَرَ، عَنْ ابْنِ الْهَادِ أَنَّ زِيَادَ بْنَ أَبِي زِيَادٍ مَوْلَى ابْنِ عِيَّاشٍ حَدَّثَهُ عَنْ عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ سَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَنِي مَسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَيَّ فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطَعَمْتُهَا ابْنَتَاهَا فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ»**.

(عمر بن عبد العزيز) كان من العلماء، إلا أنه شغل بالخلافة، وإلا فهو من أقران الزهري ومن في طبقته.

(تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا) إما أن يكون بظاهر اللفظ تحملهما على أكتافها، أو في عرضها؛ لصغرهما، أو تحملهما بمعنى: أنهما يمشيان معها.

(فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ) لا تستصغر صدقة ولو شيئاً يسيراً، عسى أن يكون عند الله عَزَّوَجَلَّ عظيماً.

(فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً) العدل بين الأبناء.

(فَاسْتَطَعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا)؛ لأن الصغار ما يعلمون بحاجة الكبار.

(فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا) يعني كيف قدمت ابنتيها على نفسها.

(إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ) تفضلاً منه ورحمة.

(أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ) ولا مانع أن يكون إيجاب الجنة عتق من النار.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٩ - (٢٦٣١) حَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ»، وَضَمَّ أَصَابِعَهُ.

والمراد بالجارتين سواء كانت من بناته، أو من أخواته، أو من غيرهن ممن يقوم عليهن بالنفقة والإحسان، والتربية.

(جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ، وَضَمَّ أَصَابِعَهُ) يعني في مرتبة متقاربة، سبب هذا العمل

العظيم، الذي قد يكون عند الناس يسيراً، لا يلتفت إليه، والسبب في هذه الأجور العظيمة من أن الناس يزهدون في تربية البنات، والإحسان إلى البنات، ويميلون إلى الذكور، ومع ذلك كان شأنها ما ترى.

وفيه أن المرء إذا بلغ دخل في التكليف، ولم تتعين الرعاية له بعد البلوغ كما تكون قبل البلوغ، وغالبا أن المرأة إذا بلغت زوجت، وانتقلت رعايتها من أبيها أو من أخيها إلى زوجها، فهذا هو المراد.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ فَضْلِ مَنْ يَمُوتُ لَهُ وَلَدٌ فَيَحْتَسِبُهُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٥٠ - (٢٦٣٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، فَتَمَسَّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ»^(١).

١٥٠ - (٢٦٣٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرُو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ رَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ كِلَاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِإِسْنَادِ مَالِكٍ وَبِمَعْنَى حَدِيثِهِ، إِلَّا أَنَّ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ: «فَيَلِجُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ».

هذا قسم محذوف المقسم به تقديره: والله (لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أما غير المسلم فإنه لا يؤجر.

(ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ) ذكورا كانوا أو إناثا.

(فَتَمَسَّهُ النَّارُ) أي فلا يدخل النار.

(إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ) وهو المرور على الصراط، ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾^(٧١) ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا^(٧٢) ﴿[سورة مريم: ٧١-٧٢].

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٠١).

١٥١ - (٢٦٣٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: لَا يَمُوتُ لِإِحْدَاكُنَّ ثَلَاثَةَ مِنَ الْوَلَدِ، فَتَحْتَسِبَهُ إِلَّا دَخَلَتِ الْجَنَّةَ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: أَوْ اثْنَيْنِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَوْ اثْنَيْنِ».

(قَالَ لِنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ) يحمل أنه من وراء حجاب.

(فَتَحْتَسِبُهُ) بهذا القيد، الاحتساب، فإن الإنسان يؤجر عليه؛ لأن الموت ليس من عمل الإنسان، والله عز وجل يقول: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [سورة النجم: ٣٩]، لكن إن احتسب هذا من عمله.

(إِلَّا دَخَلَتِ الْجَنَّةَ) وسلمت من النار.

وفي رواية: لم نسأله عن الواحد، ونرجو أن الإنسان يؤجر حتى على الواحد لكن النص جاء فيما ترى.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٥٢ - (٢٦٣٤) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ فُضَيْلُ بْنُ حُسَيْنٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَصْبَهَانِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ذَكْوَانَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرَّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تَعْلَمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ قَالَ: «اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا»، فَاجْتَمِعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُنَّ مِنْ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ»، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ»^(١).

١٥٣ - (٢٦٣٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ (ح) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٤٤٩).

الْأَصْبَهَانِيَّ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ بِمِثْلِ مَعْنَاهُ، وَزَادَا جَمِيعًا عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَصْبَهَانِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ».

(أبو عوانة) ووضح.

(أبي صالح) ذكوان.

(ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ)؛ لأنهم يجلسون معه في المسجد، ويخرجون مع ويجاهدون معه.

(فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ) حرص نساء الصحابة على العلم.

(تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ) فيه أن النبي ﷺ عبد الله، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله، وأنه مبلغ عند الله عز وجل.

(اجْتَمَعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا) مواعدة الشيخ لطلابه، ولأهل الموعدة والنصيحة.

(فَاجْتَمَعْنَ) سرعة المبادرة.

(فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ)؛ لأن هذا هو المطلوب، تعلم الوحي، ليس مطلق العلم فعلوم الدنيا ربما العلم بها لا ينفع والجهل بها لا يضر.

(تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا) أي يموت قبلها.

(ثَلَاثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ) أي ما زالوا دون البلوغ؛ لأن الفرح بهم أكثر، والرغبة فيهم أكثر، والضرر منهم أقل.

(إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ) بمعنى لا تدخل النار على المعنى المتقدم.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٤ - (٢٦٣٥) حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ قَالَا: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي السَّلِيلِ، عَنْ أَبِي حَسَّانَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِي ابْنَانِ فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحَدِيثٍ تُطِيبُ بِهِ

أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: قَالَ: «نَعَمْ، صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ» أَوْ قَالَ: «أَبُوَيْهِ، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ» أَوْ قَالَ: «بِيَدِهِ كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنْفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا فَلَا يَتَنَاهَى» أَوْ قَالَ: «فَلَا يَنْتَهِي حَتَّى يَدْخُلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ»، وَفِي رِوَايَةِ سُؤَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو السَّلِيلِ.

١٥٤ - (٢٦٣٥) وَحَدَّثَنِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ، عَنِ التَّيْمِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا تُطِيبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ نَعَمْ.

(المعتمر) بن سليمان بن طرخان، (عن أبيه) سليمان بن طرخان التيمي، الزاهد الورع.

(تُطِيبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟) فيه أن الإنسان قد يحزن ويلحقه الضرر، لكن يرفع ذلك بسماع الحديث والأثر، يسمع الوعد الرباني، والوعد النبوي، فتطيب نفسه، ففاطمة محمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين أخبرها النبي ﷺ أنه مقبوض بكت بكاء شديداً، فلما أخبرها النبي ﷺ أنها أول أهله لحاق به ضحكت، فتعجبت عائشة وقالت: ما رأيت منظرًا مثل اليوم، سارك فبكيت ثم ساركت فضحكت، الحديث.

فالإنسان قد يحزن على أبيه، وعلى ابنه، وعلى أمه، وعلى زوجه، لكن إذا عُزي وقيل له: عسى أن يكون الله قد اختار لهم الخير، وعسى أن يكون في ميزانك، وأن تلقى جِراء قبضهم الخير، هنا يخف حزنه، ولذلك شُرعت التعزية لهذا المقصد، «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ».

وأم حارثة تقول: يا رسول الله، إن حارثة مات معك يوم بدر، فإن كان في الجنة احتسبناه، وإن كان في النار بكينا عليه، فقال لها: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جَنَّتْ كَثِيرَةً وَإِنَّ حَارِثَةَ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى»، أو كما قال النبي ﷺ.

(صَغَارُهُمْ دَعَائِمُ الْجَنَّةِ) يعني الذي يموت وهو صغير السن أي: صَغَارُ أَهْلِهَا، وَأَصْلُ الدُّعْمُوصِ دُؤْيَبَةٌ تَكُونُ فِي الْمَاءِ لَا تُفَارِقُهُ، أَي: أَنَّ هَذَا الصَّغِيرَ فِي الْجَنَّةِ لَا يُفَارِقُهَا.

(يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ، أَوْ قَالَ: أَبَوَيْهِ) أي بعد موتهما أو يوم القيامة.

(فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ) يجره به حرصاً على إدخاله الجنة.

(فَلَا يَنْتَهِي حَتَّى يَدْخُلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةِ) معناه أنه يشفع لأبيه ويشفع لأمه في دخول

الجنة، وهذا من المفرحات بموت الأفراط، وهكذا المفرحات مثلاً بموت الزوجات أن تكون زوجة لزوجها في الجنة، وهكذا موت الآباء والأمهات، أن الإنسان يحتسب ويؤجر، «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى، فَلْتَنْصَبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ».

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٥ - (٢٦٣٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا حَفْصُ يَعْنُونَ ابْنَ غِيَاثٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ جَدِّهِ طَلْقِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَتْ امْرَأَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِصَبِيٍّ لَهَا فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ لَهُ فَلَقَدْ دَفَنْتُ ثَلَاثَةً قَالَ: «دَفَنْتِ ثَلَاثَةً؟» قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ: «لَقَدْ احْتَظَرْتَ بِحِظَارٍ شَدِيدٍ مِنَ النَّارِ».

قَالَ عُمَرُ بْنُ بَشِينٍ: عَنْ جَدِّهِ وَقَالَ الْبَاقُونَ: عَنْ طَلْقٍ وَلَمْ يَذْكُرُوا الْجَدَّ.

١٥٦ - (٢٦٣٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ طَلْقِ بْنِ مُعَاوِيَةَ النَّخَعِيِّ أَبِي غِيَاثٍ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِابْنٍ لَهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَشْتَكِي وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ قَدْ دَفَنْتُ ثَلَاثَةً قَالَ: «لَقَدْ احْتَظَرْتَ بِحِظَارٍ شَدِيدٍ مِنَ النَّارِ».

قَالَ زُهَيْرٌ: عَنْ طَلْقٍ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْكُنْيَةَ.

(عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ جَدِّهِ) ما شاء الله، ثلاثة علماء يتتبعون

من بيت واحد.

(دَفَنْتِ ثَلَاثَةً؟) يعني كالمتعجب والمحضض لها على الصبر والاحتساب.

(لَقَدْ احْتَضَرْتَ بِحِطَّارٍ شَدِيدٍ مِنَ النَّارِ) يعني بحاجز يحجز بينك وبين النار،

والحظار: ما يُجعل حول البستان من الحوائط ونحوها.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي هذه الأحاديث دليل على كَوْنِ أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي

الْجَنَّةِ، وَقَدْ نَقَلَ جَمَاعَةٌ فِيهِمْ إِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ.

وَقَالَ الْمَازِرِيُّ: أَمَّا أَوْلَادُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ فَالْإِجْمَاعُ مُتَحَقِّقٌ عَلَى

أَنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ، أَمَّا أَطْفَالُ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَجَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى الْقَطْعِ لَهُمْ

بِالْجَنَّةِ، وَنَقَلَ جَمَاعَةُ الْإِجْمَاعِ فِي كَوْنِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَطْعًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [سورة الطور: ٢١] وَتَوَقَّفَ بَعْضُ

الْمُتَكَلِّمِينَ فِيهَا، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ لَا يَقْطَعُ لَهُمْ كَالْمُكَلَّفِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

الصحيح أن جميع الأطفال في الجنة، سواء ما كان منهم من أطفال المسلمين أو ما

كان من أطفال المشركين، مع خلاف بين أهل العلم، ذكر بعضه ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عند

قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: ١٥]، إلا أن الصحيح

ما تقدم؛ لحديث سمرة في البخاري قال: ورأيت رجلا مسندا ظهره إلى البيت المعمور،

وحوله أبناء الناس، قالوا: يا رسول الله وأبناء المشركين؟ قال: وأبناء المشركين.



قال رحمه الله:

بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَبَّبَهُ لِعِبَادِهِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٥٧ - (٢٦٣٧) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحَبُّ فَلَانًا فَأَحَبَّهُ قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ^(١)، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغَضُ فَلَانًا فَأَبْغِضْهُ قَالَ: فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فَلَانًا فَأَبْغِضُوهُ قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ».

١٥٧ - (٢٦٣٧) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ وَقَالَ قُتَيْبَةُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي الدَّرَاوَرْدِيَّ، (ح) وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبَّاسٌ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، (ح) وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ وَهُوَ ابْنُ أَنَسٍ كُلُّهُمْ عَنْ سُهَيْلٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّ حَدِيثَ الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيَّبِ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ الْبُغْضِ.

١٥٨ - (٢٦٣٧) حَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونُ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ قَالَ: كُنَّا بِعَرَفَةَ فَمَرَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ عَلَى الْمَوْسِمِ فَقَامَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَتِ إِنِّي أَرَى اللَّهَ يُحِبُّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: لِمَا لَهُ مِنَ الْحَبِّ فِي قُلُوبِ

(١) إلى هنا متفق عليه، أخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٠٤٠).

النَّاسِ فَقَالَ: بِأَيِّكَ أَنْتَ سَمِعْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ جَرِيرٍ، عَنْ سُهَيْلٍ.

(إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيلَ...) دليله مع الحديث قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [سورة مريم: ٩٦]، وفيه أن الله يحب الصالحين، وأن الملائكة عباد مكرمون، يحبون ما أحبه الله سبحانه وتعالى، وأن القبول الموضوع لعباد الله المؤمنين هو من الرب الكريم سبحانه وتعالى.

(وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا) يبغضه لأعماله السيئة، وأعماله الخبيثة، المخالفة للكتاب والسنة، فإذا أبغضه الله أبغضه ملائكة الله.

(ثُمَّ تَوَضَّعَ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ) ربما يبغضه من لم يره، ومن لم يسمعه، والله المستعان.

فلذلك ينبغي للمسلم أن يحرص على ملازمة الأعمال الصالحة، وأن يكون حبه لله وبغضه لله، حتى لا يصاب بمثل هذه المعاني المخيفة، (تَوَضَّعَ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ) لا سيما يبغضه الصالحون، وإذا بغضوه ربما لعنوه، ودعوا عليه، وازدروه وهجروه، واحتقروه، فيلحقه الضرر.

بينما المحبوب المودود يُجالس، ويؤانس، ويدعى له، ويشئى عليه، ويرشد إليه، وهذا من فضل الله العظيم على المؤمنين، مع شدة المتنكرين لهم يأبى الله إلا أن يجعل لهم ودا في قلوب المؤمنين، لا يراه أحدهم إلا أحبه، كما قيل في ترجمة معاذ بن جبل.

وفي الحديث اثبات صفة الكلام لله عز وجل يتكلم بحرف وصوت يسمع، كما هو عقيدة أهل السنة والجماعة.



قال رحمه الله:

بَابُ: الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٥٩ - (٢٦٣٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّخَلَفَ، وَمَا تَنَازَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ».

(عبد العزيز بن محمد) الدراوردي.

هذا الحديث جاء في (صحيح البخاري) معلقا عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(١).

قال النووي رحمه الله: قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ جُمُوعٌ مُجْتَمِعَةٌ، أَوْ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ. وَأَمَّا تَعَارُفُهَا فَهُوَ لِأَمْرِ جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا مُوَافَقَةُ صِفَاتِهَا الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهَا، وَتَنَاسُبُهَا فِي شِمِيمِهَا، وَقِيلَ: لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مُجْتَمِعَةً، ثُمَّ فُرِّقَتْ فِي أَجْسَادِهَا، فَمَنْ وَافَقَ بِشِمِيمِهِ أَلْفَهُ، وَمَنْ بَاعَدَهُ نَافَرَهُ وَخَالَفَهُ.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ: تَأَلَّفُهَا هُوَ مَا خَلَقَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ السَّعَادَةِ أَوِ الشَّقَاوَةِ فِي الْمُبْتَدَأِ، وَكَانَتِ الْأَرْوَاحُ قِسْمَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ. فَإِذَا تَلَاقَتِ الْأَجْسَادُ فِي الدُّنْيَا اتَّخَلَفَتْ وَاخْتَلَفَتْ بِحَسَبِ مَا خُلِقَتْ عَلَيْهِ، فَيَمِيلُ الْأَخْيَارُ إِلَى الْأَخْيَارِ، وَالْأَشْرَارُ إِلَى الْأَشْرَارِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

وابن عباس يقول لبعضهم: إني أعرف أن فلانا يحبني، قيل: كيف عرفت أنه يحبك؟

قال: لأني أحبته، والنبي ﷺ يقول: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ».

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦٠ - (٢٦٣٨) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِحَدِيثٍ يَرْفَعُهُ قَالَ: «النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا، وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اثْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ».

(النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ) يعني يتفاوتون في الخيرية والشمسية كتفاوت الفلز، فالذهب أحسن من الفضة، والفضة أحسن من النحاس، والنحاس أحسن من القصدير.

(خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا) بهذا القيد، فإذا بقوا على جاهليتهم لا خير فيهم، لكنهم يسلمون، فيستجيبون، فيزداد خيرهم وبرهم، بزيادة علمهم وعملهم.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ الْمَرْءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦١ - (٢٦٣٩) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»^(١).

١٦٢ - (٢٦٣٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرُو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَابْنُ أَبِي عَمَرَ وَاللَّفْظُ لَزُهَيْرٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ الزُّهْرِيِّ،

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٦٨٨).

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟» فَلَمْ يَذْكُرْ كَثِيرًا، قَالَ: وَلَكِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ: «فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

١٦٢ - (٢٦٣٩) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِهِ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرٍ أَحْمَدُ عَلَيْهِ نَفْسِي.

١٦٣ - (٢٦٣٩) حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَادُ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَا أَعَدَدْتُ لِلْسَّاعَةِ؟» قَالَ: حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرَحْنَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ.

١٦٣ - (٢٦٣٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْغُبَرِيُّ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يَذْكُرْ قَوْلَ أَنَسٍ: فَأَنَا أَحِبُّ وَمَا بَعْدَهُ.

١٦٤ - (٢٦٣٩) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَارِجِينَ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَلَقِينَا رَجُلًا عِنْدَ سُدَّةِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَعَدَدْتُ

لَهَا؟» قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلَ اسْتِكَانَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ: «فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

١٦٤ - (٢٦٣٩) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْيَشْكُرِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ جَبَلَةَ، أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِهِ.

١٦٤ - (٢٦٣٩) حَدَّثَنَا فُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ سَمِعْتُ أَنَسًا (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ الْمُسَمَعِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَا: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ يَعْنَى ابْنَ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

هذا الحديث من أرجى الأعمال، ومن أحسن ما يكون مما يصير عليه المرء من الأحوال، إذ أنه مع من أحب هذا إذا صدق في محبته، فإن كان حبه للصالحين كان معهم، ويرجى له المثوبة، ويشفعون له، ويشفع فيهم.

وإن كانت محبته للسيئين كان معهم، وربما لعنوه، وازدروه واحتقروه.

وهكذا قول أنس: (فَأَنَا أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ) وهكذا كل مسلم، كل سني سلفي، يحب الله ورسوله، ويحب أبا بكر وعمر، وعثمان وعلي، وطلحة، والزبير، وبقية العشرة، والصحابة الكرام، والأئمة الأعلام، فيرجى أن ينال من بركة هذه المحبة.

فإن عجزتم عن الأعمال فلا تعجزوا عن مثل هذا الاعتقاد الطيب المبارك: محبة الله ومحبة رسوله ﷺ، انظر إلى اليهود لما قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٨] مفهومه: أن حبيب الله لا يعذبه الله، بل يرحمه، ويرفعه، ويعفو عنه.

وفيه أن الساعة تحتاج إلى إعداد من العبد المسلم بالطاعات والقربات ﴿أَنْ تَلْكَمُ الْجَنَّةَ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٤٣]، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [سورة الحاقة: ٢٤].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيهِ فَضْلُ حُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَالصَّالِحِينَ، وَأَهْلِ الْخَيْرِ، الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ. وَمِنْ فَضْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ امْتِثَالُ أَمْرِهِمَا، وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِمَا، وَالتَّأَدُّبُ بِالْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ. وَلَا يُشْتَرَطُ فِي الْإِنْتِفَاعِ بِمَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلُهُمْ؛ إِذْ لَوْ عَمِلَهُ لَكَانَ مِنْهُمْ وَمِثْلُهُمْ، وَقَدْ صُرِّحَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي بَعْدَ هَذَا بِذَلِكَ، فَقَالَ: أَحَبُّ قَوْمًا وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ.

قَالَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ: (لَمَّا) نَفْيٌ لِلْمَاضِي الْمُسْتَمَرِّ، فَيَدُلُّ عَلَى نَفْيِهِ فِي الْمَاضِي، وَفِي الْحَالِ. بِخِلَافِ (لَمْ) فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى الْمَاضِي فَقَطْ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِ مَعَهُمْ أَنْ تَكُونَ مَنْزِلَتُهُ وَجَزَاؤُهُ مِثْلَهُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ. اهـ وينسب إلى الشافعي:

أحب الصالحين ولست منهم لعلني أنال بهم شفاعته
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦٥ - (٢٦٤١) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحَبُّ قَوْمًا وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»^(١).

١٦٥ - (٢٦٤١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ (ح) وَحَدَّثَنِيهِ بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ، (ح)

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦١٦٩).

وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو الْجَوَابِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ قُرْمٍ جَمِيعًا عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

١٦٥ - (٢٦٤١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ. (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ جَرِيرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ.

(أبو كريب) محمد بن العلاء.

(أبو معاوية) محمد بن خازم.

(ابن نمير) محمد بن عبد الله.

(المرء مع من أحب) أي يوم القيامة.

يذكرون: أن أسامة القوصي بعد أن انحرف قالوا له: أتحب أن يحشرك الله مع يسرى؟ قال: نعم، أو بمعنى هذه العبارة.

وتجد الرافضة يسخرون من أهل الإسلام، يقول أحدهم: الله يحشرك مع معاوية، نعم نسأل الله أن يحشرنا مع معاوية ومع غيره من الصحابة الكرام، والأئمة الأعلام، ومع رسول الله ﷺ قبل ذلك.

(المرء مع من أحب) أهل الإيمان مع أهل الإيمان، وأهل الكفران مع أهل الكفران، ﴿وَأَمْتَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [سورة يس: ٥٩]، فيمتازون هم ومن أحبوهم في جانب عن المؤمنين.

(فذكر بمثل حديث جرير، عن الأعمش) يعني: (ترى في رجل أحب قوماً ولمَّا يَلْحَقُ بِهِمْ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ).

جاء هذا الحديث عن ابن مسعود، وعن أبي موسى الأشعري كما ترى.

قال رحمه الله:

بَابُ إِذَا أَثْنَى عَلَى الصَّالِحِ فِيهِ بُشْرَى وَلَا تَضُرَّهُ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٦٦ - (٢٦٤٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ وَأَبُو الرَّبِيعِ وَأَبُو كَامِلٍ فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى، قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ».

١٦٦ - (٢٦٤٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ وَكِيعٍ (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ كُلُّهُمْ عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ بِإِسْنَادِ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ بِمِثْلِ حَدِيثِهِ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِهِمْ عَنْ شُعْبَةَ غَيْرَ عَبْدِ الصَّمَدِ: وَيُحِبُّهُ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ الصَّمَدِ: وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ كَمَا قَالَ حَمَادٌ.

(أَرَأَيْتَ) أَخْبَرَنَا عَنْ، (الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ) من المبرات والقربات، (وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ) يثنون عليه به، فهل هذا من الريا فيذم أم لا.

(تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ) يعني أنه عمل العمل لله ثم أثني عليه به فتلك بشرى له أنه على الإيمان وعلى الخير، بينما إذا كان يعمل من أجل ثناء الناس أو يعمل من أجل أن يعجب الناس فهذا هو الرياء، والتسميع، ورسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ رَأَى رَأَى اللَّهُ بِهِ»، ولكن هذا عمل العمل لله، فجعل الله له الود والقبول وأثني عليه بالخير العظيم، فهذه بشرى له.

والبشارات للمؤمن كثيرة، هذه الأولى: بشارة له في الدنيا بحب الصالحين له والثناء عليه.

البشارة الثانية: تبشره الملائكة عند موته، «أبشر بروح وريحان ورب راض غير غضبان».

البشارة الثالثة: يبشر أيضا بالجنة يوم القيامة، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۚ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء: ٨٨-٨٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

البشارة الرابعة: الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له على ما تقدم في كتاب الرؤيا.

كان الانتهاء من كتاب البر والصلة والآداب من صحيح الإمام مسلم في التاسع عشر من شعبان لعام خمسة وأربعين وأربعمائة وألف.
سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك ربي وأتوب إليك.





كتاب القدر

الإعجاز

شرح

صحيح مسلم بن الحجاج



قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

وهو أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة واحد وستين ومائتين (٢٦١ هـ)، صاحب (الصحيح)، و(التميز)، و(الوحدان)، تتلمذ على البخاري وتخرج عليه، وتلمذ على الذهلي وتخرج عليه، لولا أنه لم يخرج لهما في صحيحه، وذلك؛ لما وقع بينهما من الوحشة، مع أنه كان إلى البخاري أميل. وصحيحه قد قيل: بأنه إنما عمل مستخرجا على صحيح البخاري، والصحيح خلاف ذلك، فإنه صحيح مستقل، بل ويزيد على صحيح البخاري بقريب من ألف حديث، أو أقل من ذلك بقليل، وأما بالمكرر فربما زاد عن البخاري بقريب خمسة آلاف حديث.

وميزة صحيح مسلم: أنه لم يذكر بعد المقدمة إلا الحديث السرد، بينما البخاري كان يبوب، ويحلي الأبواب بآيات، وأثار، ومعلقات، وهذا من فقهه، ومع ذلك كل قد جاء بما تستفيده الأمة، فصحيح البخاري وصحيح مسلم هما أصح الصحيح المصنف، بل قيل فيهما: لو أن رجلا حلف أن كل ما فيهما صحيح لم يحنث، ولو علق طلاق امرأته على صحتهما لم تطلق منه.



قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب القدر

الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، وقد تقدم الكلام على بعض ذلك في كتاب الإيمان عند حديث عمر: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، وهو سر الله، لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا.

والناس فيه ثلاث أقسام عند الإجمال وعند التفصيل تجد أنهم أكثر من ذلك: **الأول:** من أثبت القدر مع إثبات الشرع والحكم والتعليلات، وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة

الثاني: من أثبت القدر مع إهماله للشرع، والنظر في الحكم والتعليلات، وهؤلاء هم الجبرية.

الثالث: من نفي القدر وغلا في إثبات الأمر والنهي، إلا أنه عطل القدر، وهم المعتزلة.

وكل الطوائف المخالفة لأهل السنة واقعة في ضلاله في هذا الباب، سواء الأشاعرة، والمعتزلة، والجهمية الجبرية، ومن إليهم.

وعلم القدر علم مفقود، لم يطلع الله عَزَّجَلَّ عليه إلا من شاء من عباده، كما أطلع الخضر على ما قص علينا في القرآن.

ويقع الإيمان بالقدر بتحقيق أربع مراتب:

الأولى: العلم، وهي أن الله بكل شيء عليم، فما من معلوم إلا ويعلمه الله.

الثانية: الكتابة، وأن الله كتب مقادير الخلائق في اللوح محفوظ.

الثالثة: المشيئة، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يقع شيء في هذا العالم من خير وشر إلا وقد شاءه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

الرابع: الخلق، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** الله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات: ٩٦]، ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة الرعد: ١٦]، أي أن الله خلق العباد وخلق أفعالهم خيرها وشرها حلوها ومرها، وقد تكلمت عن هذه المراتب في غير ما كتاب، منها "سلامة الخلف في طريقة السلف".

فمن آمن بهذه المراتب الأربع فهو في باب القدر على خير، أما إذا أنكر بعضها لا سيما العلم قال الشافعي: ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروا كفروا وهكذا يروى عن عمر بن عبد العزيز.

ولا عذر لأحد في ترك الواجبات أو ارتكاب المحرمات بدعوى الإيمان بالقدر فهذا عذر غير مقبول، فإن الله **عَزَّ وَجَلَّ** لم يقبل ذلك من المشركين حين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [سورة النحل: ٢٥]، مع أننا نعتقد أن الله فعال لما يريد، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لكن أنت مأمور بالعلم الموجود علم الكتاب والسنة أن تعمل به، ومأمور أن تؤمن بالعلم المفقود من أن الله بكل شيء عليم، لكن لا يجوز لك التنقيب عنه؛ لأن أحرص الناس على التنقيب في القدر أجهل الناس به، فهو باب قائم على التسليم للأدلة، لا الاعتراضات والاستحسانات.

وكتاب القدر في صحيح البخاري أوسع من هذا الكتاب، وأجمل وأتم، وهكذا لشيخنا مقبل **رَحْمَةُ اللَّهِ** (الجامع الصحيح في القدر)، أوسع من ذلك كله، وهكذا لفريابي، ولغير واحد من أهل العلم، يؤلفون في القدر؛ لإبانة عقيدة المسلمين الصحيحة، والرد على المخالفين، ومن أجمل ذلك "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل" للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، المتوفى (٧٥١).

قال رحمه الله:

بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ
وَسَعَادَتِهِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١ - (٢٦٤٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكَيْعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ الْهَمْدَانِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا أَبِي وَأَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكَيْعٌ قَالُوا: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلَاقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ يَكْتَبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»^(١).

١ - (٢٦٤٣) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ كِلَاهُمَا عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ، (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ كُلُّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، قَالَ فِي حَدِيثِ وَكَيْعٍ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»، وَقَالَ فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ عَنْ شُعْبَةَ: «أَرْبَعِينَ لَيْلَةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا»، وَأَمَّا فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ وَعَيْسَى: «أَرْبَعِينَ يَوْمًا».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٢٠٨).

(أبو بكر بن أبي شيبة) عبد الله بن محمد بن إبراهيم.

(أبو معاوية) محمد بن خازم الضرير.

(وكيع) أبو سفيان، وكيع بن الجراح.

(محمد بن عبد الله بن نمير الهمداني) الخارفي.

(الأعمش) سليمان بن مهران، ثقة.

(زيد بن وهب) ثقة.

(عبد الله) هوا بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَهُوَ الصَّادِقُ الْمُصَدِّقُ) صادق في نفسه، مصدوق من ربه.

(إِنْ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا) أي نطفة، لم تذكر في الروايات،

لكن هي المرادة هنا.

(ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ) أربعين أخرى علقه، والعلقة: شيء من دم أسود،

لعل بعضكم الذي قد عاش في البادية قد رآها تعيش في الأنهار والغيول، علقه ليس فيها عظم، دم عبيط، شبه متجمد.

(ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ) قطعة لحم، لا عظم فيها ولا شحم، ولا شيء.

(ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ) هذا بعد أن يتشكل ويتكون، فالله عزَّ وجلَّ خلق

الإنسان من نطفة، ثم من علقه، ثم من مضغته، مخلقة وغير مخلقة، وهكذا: ﴿وَلَقَدْ

خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ۝١٣ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٤ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ

عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ

خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٥﴾ [سورة المؤمنون: ١٢-١٤]، فالنفخ يكون في هذه

الحالة، بعد أن يتشكل ويتكون، في مدة مائة وعشرين يوما.

ولذلك تختلف أحكام الجنين قبل أن نفخ الروح فيه وبعد نفخ الروح فيه في أمور كثيرة، منها الصلاة عليه بعد نفخ الروح إن سقط، وفيه عزة عبد أو أمة إن أسقط ويدفن ويكفن ويغسل قبل ذلك.

(وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ) أي الملك.

(يَكْتُبُ رِزْقَهُ) من مطعم وملبوس، ومنكوح، ومسكن، وغير ذلك.

(وَأَجَلِهِ): عمره، خلافا لقول الرافضة: أن العمر إذا حصل عليه حادث ينخرم، لا، هو عمره، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبَ مُوَجَّلًا﴾ [سورة آل عمران: ١٥٥].

(وَعَمَلِهِ) من خير أو شر، كله مكتوب مسطور في اللوح المحفوظ، والله عالم به قبل إيجاده، كما قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا»^(١).

(وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ) يعني هل هو من أهل الشقاوة أو من أهل السعادة، والناس في هذا الباب الأصل أنهم يخرجون من بطون أمهاتهم على الفطرة، فلو استمروا عليها لكانوا من أهل السعادة، ولكنهم ينحرفون عن الفطرة، ويتحولون إلى أهل الشقاوة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾^(١٦) خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوفٍ﴾^(١٧) [سورة هود: ١٠٦-١٠٨].

في الرواية الأخرى يقول ابن مسعود: **(الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بِغَيْرِهِ)** وهذا موقف عليه، ولكنه كلام صحيح لا إشكال فيه، فالشقي من شقي في بطن أمه، أي قد كُتِبَ عليه الشقاوة؛ لعلم الله أنه ليس أهلا للسعادة، والسعيد من

(١) أخرجه ابن ماجه، حديث رقم: (٢١٤٤)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سعد في بطن أمه، ووعظ بغيره، حيث يستفيد من نصيحهم وتجارهم، كتب وهو في بطن أمه أنه من السعداء.

و(وَعِظَ) استفاد مما يرى، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات: ٢١] إذا ما عليك إلا أن تعمل؛ وكل ميسر لما خلق له، وسيأتي اعتراض الصحابة أنهم قالوا: يا رسول الله ففيم العمل إذا؟ قال: **«اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»**، فلا يجوز أن تترك العمل بالكتاب والسنة بدعوى الاعتذار بالقدر، بل هذا حرام، قد يصل بالإنسان إلى الشرك والكفر.

والناس يسIRON إلى هذا الطريق، ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [سورة الشورى: ٧] فريق سعادة وفريق شقاوة، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [سورة الليل: ٥-١٠]

﴿فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ﴾ جواز الحلف بغير استحلاف، وهي من أيمان النبي ﷺ، من أيمانه: **«والذي نفسي بيده»**، **«ومقلب القلوب»**، **«الذي لا إله غيره»**، **«والله»**، ونحو ذلك، على ما بينا في كتابنا (التبيان في أحكام الأيمان).

﴿إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ﴾ سواء من الرجال أو النساء، يعمل بالتوحيد ويعمل بالسنة، ويعمل بالصلاة، ويعمل بالبر والصدقة، أبواب الجنة يسلكها.

﴿حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ﴾ يعني بقيت أيام من عمره يموت ويدخل الجنة إن مات على هذا السبيل والطريق، لكنه ينحرف.

﴿فَيَسْئَلُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ﴾ وهو ما قد قدر وعلم في اللوح المحفوظ.

﴿فَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا﴾؛ لأن الأعمال بالخواتيم، مات على الإسلام وإن عمل ما عمل مآله إلى الجنة ابتداء أو مآلاً، مات على الكفر والإجرام ولو عمل ما عمل مصيره إلى النار، وإن كان قد عمل المبرات، لكن لم يسلم أو ارتد بعد إسلام.

فهذا الحديث من أدلة الخوف والرجاء، من أدلة الرجاء: أنه قد يعمل بعمل أهل النار ويوفقه الله للهداية في آخر عمره، ويبدل سيئاته حسنات، ويكرم بأنواع الكرامات وعلى الترهيب: من أنه قد يعمل بعمل أهل الجنة ثم ينحرف.

فيبقى المسلم خائفا وجلا من الانحراف، ويدعو الله بالثبات، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ أَوْهَابٌ﴾ [سورة آل عمران: ٨].

وفيه أن الجنة والنار لا بد من سبب لدخولهما، فلا يدخل الجنة إلا موحد، ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٧٢]، ويدخل النار ويخلد المشرك، وقد يدخل بعض عصاة المسلمين ثم يخرجون منها، بالشفاعة ونحو ذلك. إذا عملك أيها الإنسان هو الذي يحدد مصيرك، عمل أهل الجنة يوصلك بإذن الله إلى الجنة، وعمل أهل النار يوصلك إلى النار وبئس القرار.

(وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ) من شرك، وبدع، ومعاصي، كبائر.

(حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ) يعني قرب الموت والأجل.

(فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا) يختتم له بخير.

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ:**

٢ - (٢٦٤٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ نُمَيْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ، عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ يُبْلَغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّفُتَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بَارْبَعِينَ أَوْ خَمْسَةَ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَيَكْتَبَانِ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَذْكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ فَيَكْتَبَانِ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ، وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ، ثُمَّ تَطْوَى الصُّحُفُ فَلَا يُرَادُّ فِيهَا، وَلَا يُنْقَصُ».

(حُدَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ) أبو سريحة الغفاري، من أصحاب الشجرة وهي أول مشاهدة.

انظر (يُكْتَبُ عَمَلُهُ) الذي سيعمله من خير أو شر.

(وَأَثَرُهُ) الذي سيكون بعده، من علم كتاب وسنة، أو من فساد، فأكثر الناس يقع بعدهم أثر، لكن أثر خير وأثر شر، فالسعيد من كان أثره الخير، ﴿وَنَكَتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة يس: ١٢]، وهكذا الأجل على ما تقدم والرزق.

إلا أن هنا إشكال يورده بعض أهل العلم عند قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [سورة الرعد: ٣٩]، ويروى عن عمر أنه كان يقول: اللهم إن كنت كتبتني شقيا فاكتبني سعيدا، وكذلك **«من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»**، قالوا: هذه الأدلة تدل على تغيير لما في الكتاب.

فكان الجواب: أن المغيّر ما في يد الملك، يقع فيه تغيير، أما اللوح المحفوظ لا يقع فيه تغيير؛ لأنه علم الله، فالله **عَزَّوَجَلَّ** قال للقلم: **«اكتب ما كان وما يكون إلى قيام الساعة»**، أي من علم الله، وكل ما يقع من علم الله، فيكون المعنى: أن الله **عَزَّوَجَلَّ** يقول للملك: إن وصل رحمه كان عمره كذا، وإن لم يصل رحمه كان عمره كذا.

(ثُمَّ تَطْوَى الصُّحُفُ فَلَا يُرَادُ فِيهَا، وَلَا يُنْقَضُ) فيبقى الإنسان يسير فيما قد قدر عليه من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ومع ذلك على المعنى الأول الله ليس بظلام للعبيد، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ٤٩]، فاحذر على نفسك أيها الإنسان لا سيما المسلم من وسوسة الشيطان.

فإن المبتدعة قد وضعوا شبهة في هذا الباب وبدعة، فقالوا: يجب على الله فعل الأصلاح للعبد، وهذا الحديث يرد عليهم، أي صلاح للعبد يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع وينحرف ويرتد ويعمل بعمل أهل النار فيدخلها؟ أي صلاح له هنا؟ فهذا مذهب رديء.

الذي أوجهه الله على نفسه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: ١٥]، ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [سورة النساء: ١٥]

[١٦٥]، هذا الذي أوجبه الله على نفسه، أنه يرسل الرسل وينزل الكتب، ويقيم الحجة الرسالية على عبده، أما أنه يهديهم جميعاً هذا ليس بواجب عليه.

ثم أيضاً لفظ (واجب على الله) هذا لا يصلح، يعني كأن العبد هو الذي يوجب على الله كما هو قول المعتزلة، بل الله أوجب تكريماً على نفسه أن يدخل المؤمنين الجنة، وينعمهم فيها أبد الآباد، وأوجب على نفسه عدلاً أن يدخل الكافرين النار ويعذبهم فيها أبد الآباد.

ثم إن الله **عَزَّوَجَلَّ** ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [سورة البروج: ١٦]، يوفق من شاء؛ لعلمه أنه أهل للتوفيق والتسديد والإعانة، ويخذل من شاء؛ لعلمه أنه ليس أهلاً للعون والتسديد والتوفيق.

ذكروا أن هذا الحديث عُرض على عمرو بن عبيد بن باب لعنه الله، فقال: إن حدثني به الأعمش كذبت، وإن حدثني به زيد بن وهب ما قبلته، وإن حدثني عبد الله بن مسعود لرددته، وإن حدثني به رسول الله ﷺ لما أخذته أو قبلته وإن حدثني الله به لقلت: ما على هذا أخذت العهد والميثاق.

انظروا إلى جرأة هؤلاء القوم في رد الأحاديث، وفي الاعتراض على قدر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فالله يهدي من يشاء فضلاً، ويضل من يشاء عدلاً.

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ كَلَّا وَلَا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِعٌ
إِنْ عُدُّوا فِعْدْلَهُ، أَوْ نَعَّمُوا فَبِفَضْلِهِ، وَهُوَ الْكَرِيمُ الْوَاسِعُ

سبحانه وتعالى، بقي معنا: أن حديث حذيفة بن أسيد بعض أهل العلم يقدم عليه حديث عبد الله بن مسعود؛ لأنه في الصحيحين، وأن النفخ في الروح يكون بعد مضي أربعة أشهر، بعد مضي مائة وعشرين ليلة، بينما في هذا الحديث أنه بعد أن تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة، والجمع بينهما: إما أن النبي ﷺ ذكر حديث

حذيفة بن أسيد ثم أوحى الله إليه بالأكثر، أو أن الأقل يدخل تحت الأكثر، أو أن العمل بحديث بن مسعود.

قال الحافظ في "فتح الباري" (١١/ ٤٨٠): فحاصل الاختلاف ان حديث بن مسعود لم يختلف في ذكر الأربعين وكذا في كثير من الأحاديث وغالبها كحديث أنس ثاني حديثي الباب لا تحديد فيه وحديث حذيفة بن أسيد اختلفت ألفاظ نقلته فبعضهم جزم بالأربعين كما في حديث بن مسعود وبعضهم زاد ثنتين أو ثلاثا أو خمسا أو بضعا ثم منهم من جزم ومنهم من تردد وقد جمع بينها القاضي عياض بأنه ليس في رواية بن مسعود بأن ذلك يقع عند انتهاء الأربعين الأولى وابتداء الأربعين الثانية بل أطلق الأربعين فاحتمل أن يريد أن ذلك يقع في أوائل الأربعين الثانية ويحتمل أن يجمع الاختلاف في العدد الزائد على أنه بحسب اختلاف الأجنة وهو جيد لو كانت مخارج الحديث مختلفة لكنها متحدة وراجعة إلى أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد فدل على أنه لم يضبط القدر الزائد على الأربعين والخطب فيه سهل وكل ذلك لا يدفع الزيادة التي في حديث مالك بن الحويرث في إحضار الشبه في اليوم السابع وأن فيه يبتدئ الجمع بعد الانتشار وقد قال بن منده إنه حديث متصل على شرط الترمذي والنسائي واختلاف الألفاظ بكونه في البطن وبكونه في الرحم لا تأثير له لأنه في الرحم حقيقة والرحم في البطن. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣ - (٢٦٤٥) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ سَرْحٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ أَنَّ عَامِرَ بْنَ وَائِلَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، فَأَتَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُقَالُ لَهُ حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الْغِفَارِيُّ، فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: وَكَيْفَ يَشْقَى رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ:

أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا، وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ؟ فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ، وَلَا يَنْقُصُ».

٣ - (٢٦٤٥) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ النَّوْفَلِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ.

٤ - (٢٦٤٥) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلْفٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ أَبُو حَنِيمَةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَطَاءٍ أَنَّ عِكْرِمَةَ بْنَ خَالِدٍ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ حَدَّثَهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأُذُنَيَّ هَاتَيْنِ يَقُولُ: «إِنَّ النُّطْفَةَ تَقَعُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَتَصَوَّرُ عَلَيْهَا الْمَلَكُ»، قَالَ زُهَيْرٌ: حَسِبْتُهُ قَالَ: «الَّذِي يَخْلُقُهَا فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ؟ فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ سَوِيًّا أَوْ غَيْرَ سَوِيٍّ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ مَا رِزْقُهُ؟ فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ سَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا».

٤ - (٢٦٤٥) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا رَبِيعَةُ بْنُ كُثْلُومٍ، حَدَّثَنِي أَبِي كُثْلُومٌ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِالرَّحِمِ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا بِإِذْنِ اللَّهِ لِيَضَعَ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً»، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ.

(أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح) المصري.

(ابن وهب) عبد الله بن وهب المصري.

(عمرو بن الحارث) مصري أيضا.

(عامر بن وائلة) وهو أبو الطفيل، آخر من مات من الصحابة.

(الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ) معناه ما تقدم من أن الشقي من كُتِبَ عليه الشقاوة

وهو في بطن أمه، إذ أنه صائر إلى ما كتب عليه، وما قدر له.

(وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بِغَيْرِهِ) من جُنِبَ الفتن، كما جاء في الحديث: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ

جُنِبَ الْفِتْنُ»، أخرجه أبو داود^(١) عن المقداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأيضا يتعظ بغيره يستفيد من

تجارب الآخرين، ويبدأ من حيث انتهوا، فلا يمضي عمره في التجارب بل يستفيد من النصح والتوجيه، والإرشاد، والتذكير، والتعليم.

ولكن قَلَّ من يوفق إلى ذلك، قال الله عَزَّوَجَلَّ عن قول صالح: ﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ

النَّاصِحِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٧٩]، وعن غيره، فأغلب الناس لا يحبون الناصحين، ولا

يستفيدون من الواعظين، ولا من المذكرين.

(الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ) وليس معناه أن الله ظلمه، فإن الله لا يحاسبه على ما

في علمه إنما يحاسبه الله ويؤاخذ به على ما عمل، ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ [سورة النبأ: ٢٦] قال

فيمن دخل النار، جزاؤهم النار وفاقا لأعمالهم.

(أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ؟) يعني ابن مسعود أخبر عما في علم الله وعن المال.

(فَصَوَّرَهَا، وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا) تفاصيل هذا في

حديث ابن مسعود، وقد تقدم.

وكون الأطباء يعلمون ما في بطن المرأة سواء بالوسائل الحديثة وسائل التصوير أو

بغير ذلك من الوسائل لا يدل على علم غيب مطلق، إنما هو غيب نسبي، وإلا فإن علم

هذه النطفة قد خرج إلى الملك الذي كتبها، وأيضا هذا يخبر عما رأى، إن كان امرأة رأى فرجها، وإن كان ذكرا رأى ذكره، وكلاهما يطلق عليه فرج، لكن يُميز بينهما بما تقدم.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٥ - (٢٦٦) حَدَّثَنِي أَبُو كَامِلٍ فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْجَحْدَرِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَرَفَعَ الْحَدِيثَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ نُطْفَةٍ أَيُّ رَبِّ عِلَاقَةٍ أَيُّ رَبِّ مُضْغَةٍ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا قَالَ: قَالَ الْمَلَكُ: أَيُّ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»^(١).

(أبو كامل فضيل بن حسين الجحدري) المشهور بأبي كامل الجحدري.

(حماد بن زيد) بن درهم، أبو إسماعيل.

(قَالَ الْمَلَكُ: أَيُّ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟) يعني

فماذا أكتب؟ ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢]، إنما هذا على ما

جعلهم الله عليه، كما في الحديث الآخر قال: «يا جبريل اذهب فسل محمد - وربك أعلم - ما يبيك».

(أَيُّ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟) وهذا هو الأصل في بني آدم، ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [سورة

الحجرات: ١٣]، إنما يسعى الماسونيون ومن إليهم إلى جعل جنس ثالث، وهو ما يسمى بالمثلي عندهم، ولا مثلية فيه، وإنما هو مخالفة الفطرة الإنسانية، والشرعة الربانية إلى الديانة الشيطانية.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣١٨).

والمتمائل لما يقع من هذا الصنف يجد أنهم قد جاوزوا القنطرة بمرات، فقد خالفوا وفاقوا قوم لوط، فقوم لوط ما زالوا يفرقون بين الذكر والأنثى، ولكنهم اختاروا الذكران على العالمين، أما هؤلاء أصبحوا لا يفرقون بين الذكر والأنثى، بل إن بعض النساء نادى بعض المتحولين بـ(هو) فقدمت إلى المحكمة، وربما يكون حكمها السجن سبع سنوات.

غيروا الفطرة، واستباحوا الحرمه، ودعوا الناس إلى الباطل، وكما فرضوا الديمقراطية بالسلاح سيفرضون هذا الشر بالسلاح، إنما ما زالوا يتخاصمون في بلدانهم، فعسى الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يجعل الدبره بينهم، ويكفى المسلمون شرهم. وأما الخُنْثَى فهو إلى الذكوره أو إلى الأنوثة، وقُلَّ أن يوجد الخُنْثَى المشكل يعني مائه في المائه، فهناك ميزات للخُنْثَى على إلحاقه بالذكوره أو إلحاقه بالأنوثة.

(فَمَا الرِّزْقُ؟) دليل على أن رزق الإنسان قد كُتِبَ، وليس له إلا ما قد سَطَرَ وَدُوِّنَ، وهذا دليل على عظيم علم الله، وعلى عظيم حكمة الله وتدبيره **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، انظروا إلى الحكومات في كل سنة تعمل ميزانية، وميزانيته تارة إلى النقصان وقل أن تكون إلى الزيادة، مع إقتار في الإنفاق.

فالله **عَزَّوَجَلَّ** **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾** [سورة الشورى: ١١]، قد قدر مقادير الخلائق أجمعين أكتعين أبصعين، من الإنس والجن والشیاطین، والدواب، وغير ذلك من المخلوقات، على أكمل تقدير، وعلى أفضل تدبير، **﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَن تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا﴾**، والله لو كان له لقمة لا يموت حتى يأكلها، لو كان له نفس لا يموت حتى يستوفيه، لو كان له طرفه عين لا يموت حتى يأتي بها.

(فَمَا الْأَجَلُ؟) **﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾** [سورة الرعد: ٣٨]، خلافا للرافضة والمعتزلة الذين يقولون بخرم الأجل، **﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾** [سورة آل عمران: ١٤٥].

(فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ) يعني جميع تقديراته، وقد أشرنا في كتابنا (شرح الطحاوية) إلى ما يذكره أهل العلم في هذا الموطن من أنواع التقديرات:

التقدير العام: وهو تقدير جميع المخلوقات، الذي أحال الله شأنه إلى القلم العام لكتابته، ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سورة هود: ٦]، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

ثم التقدير البشري، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢].

ثم التقدير العمري، وهو ما في حديث ابن مسعود الذي تقدم.

ثم التقدير السنوي: وهو المذكور في قول الله **عَزَّجَلَّ:** ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝﴾ [سورة الدخان: ٤-٥].

ثم التقدير اليومي، هو المذكور في قول الله **عَزَّجَلَّ:** ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [سورة الرحمن: ٢٩].

وربما أضافوا قلم التكليف، وهو المذكور في قول النبي ﷺ: **«رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ، عَنْ الصَّغِيرِ حَتَّى يَبْلُغَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُكْشَفَ عَنْهُ».** أخرجه أبو داود عن علي رضي الله عنه.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٦ - (٢٦٤٧) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: كُنَّا فِي جِنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْفَدِ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ

بِمُخَصَّرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مُنْفُوسَةٍ، إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ».

قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَمُكُّثُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، فَقَالَ: «اعْمَلُوا فِكُلُّ مُيَسَّرٍ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَى ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَلَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَى ۝﴾ [سورة الدخان: ٤-١٠] (١).

٦ - (٢٦٤٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَهَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَخْوَصِ، عَنْ مَنْصُورٍ بِهِذَا الْإِسْنَادِ فِي مَعْنَاهُ، وَقَالَ: فَأَخَذَ عُودًا، وَلَمْ يَقُلْ: مُخَصَّرَةً وَقَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي حَدِيثِهِ عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

٧ - (٢٦٤٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ قَالُوا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلَمِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ، إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ مَنَزَلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَكَلَّمُ؟ قَالَ: «لَا، اْعْمَلُوا فِكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَى ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَلَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَى ۝﴾ [سورة الليل: ٥-٦] إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [سورة الليل: ١٠].

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٣٦٢).

٧ - (٢٦٤٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ وَالْأَعْمَشِ: أَنَّهُمَا سَمِعَا سَعْدَ بْنَ عُبَيْدَةَ يُحَدِّثُهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِهِ.

(جرير) هو ابن عبد الحميد الضبي.

(منصور) بن المعتمر.

(سعيد بن عبيدة) يروي عن ابن عمر، ولم يسمع منه حديث: «من حلف بغير الله فقد أشرك».

(أبي عبد الرحمن) وهو السلمي، الذي أخذ القرآن من عثمان بن عفان، ومن علي بن أبي طالب، ولزم العمود لحديث سمعه من عثمان بن عفان: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، «أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، أخرجه البخاري (١).

(علي) بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رابع الأمة فضلا بعد نبيها، قتل وهو أفضل أهل زمانه.

(بَقِيعُ الْغَرْقَدِ) سمي بهذا الاسم؛ لأن فيه شجرة الغرقد، الشجرة اليهودية، التي تخبر الأشجار والأحجار بمن وراءها من اليهود، حين ظهور المهدي ومن إليه، إلا هي. والبقيع والنقيع: مكان واسع، جُعل مقبرة للأموات، وما زالت تسمى بهذا الاسم إلى يومنا هذا.

(فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ) حضور الجنازة، وانتظارا لدفنها؛ لما تقدم في ذلك من الفضل، كما في كتاب الجنائز، وجلوسا حول العالم، يستفاد من توجيهه ونصحه ومذاكرته. (وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ): عصا صغيرة.

(فَنَكَّسَ) رأسه؛ لأنهم كانوا إذا حضروا الموت كأن على رؤوسهم الطير، حتى قيل: لا تدري من الذي مات قريبه؛ لشدة حزن الجميع، والآن الناس يتضحكون في طرقهم، وفي حال دفنهم.

(فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمُخَصَّرَتِهِ) لعله يتذكر شيئاً، أو شغل بشيء في قلبه.

(مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ) عموم، من الرجال والنساء، من الجن والأنس.

(مَا مِنْ نَفْسٍ مِّنْفُوسَةٍ) توضيح لما تقدم.

(إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ) أي من المكلفين.

(وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ) شقية بالكفر والنفاق، سعيدة بالإيمان والإسلام،

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [سورة هود: ١٠٦]، **﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا**

فَفِي الْجَنَّةِ﴾ [سورة هود: ١٠٨].

(أَفَلَا نَمَكُّثُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟) بما أن أهل الجنة قد عرفوا وأهل النار قد

عرفوا كل يبقى على شأنه، ومن كان من أهل الجنة دخل الجنة، ومن كان من أهل النار

دخل النار، هذا الذي ظنه الصحابي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ) لا بد من عمل الطاعات

والقربات من التوحيد فما دونه، كما قال تعالى: **﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ**

الْحَالِيَةِ﴾ [سورة الحاقة: ٢٤]، **﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾** [سورة الغاشية: ٩]، **﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي**

أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٧٢]، **﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [سورة السجدة: ١٧].

[سورة السجدة: ١٧].

(وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ) من الشرك وغيره، كما

قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ**

هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [سورة البينة: ٦]، **﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾** [سورة البينة: ٦]، **﴿وَيَجْزِيهَا الْأَشَقَى﴾** [سورة البينة: ٦]، **﴿الَّذِي يَصِلَى النَّارَ**

الْكُبْرَى﴾ [سورة الأعلى: ١٠-١٢].

ثم قال: (اعْمَلُوا فِكْلَ مُيسَّرٍ) أي لما خلق له.

(أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ) ويسهل عليهم، ويحبونه، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [سورة القمر: ١٧]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [سورة المائدة: ٥٤]، ﴿حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَنَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ٧].

(وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ) ويحبونه ويبغضون عمل أهل الإسلام ودين الإسلام، وتنكس فطرهم، يبقى أحدهم محبا للصنم ساجدا له، راکعا له، داعيا له، ناذرا له، عمله لحجر لا ينفع ولا يضر، وإذا نظر إلى المسلم ضحك عليه، كما أخبر الله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [٣٠] ﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [سورة المطففين: ٣٠-٣١]، يتنادمون يقولون: انظروا هؤلاء أصحاب التشدد، أصحاب التنطع، أصحاب التزمت، يضحكون في وجوههم وفي أقفيتهم، ويتنادمون سخرية بحالهم، كما حصل من أولئك: ما رأينا أسمن بطونا ولا أجبن عند اللقاء من أصحاب محمد ﷺ.

(﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾) أعطى ما أوجب الله عليه من النفقات، واتقى الله بفعل المأمور وترك المحذور.

(﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾): الجنة، والبعث والنشور، مما دعاه إلى ملازمة الإحسان. (﴿فَسَيُيسَّرُ لِيْلَيْسَرَى﴾) لليسرية، عمل أهل الإسلام والإيمان والإحسان، وقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ».

(﴿وَأَمَّا مَنْ يَجَلْ وَأَسْتَعَى﴾) بما أوجب الله عليه من الزكوات والصدقات والنفقات.

(﴿وَأَسْتَعَى﴾) عن الله كبرا ووجودا.

(﴿وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى﴾) كذب بالجنة ووعد الله عز وجل.

﴿فَسَنِّيْسِرُّهُ لِّلْعُسْرَى﴾ (لَلْأَصَارِ وَالْأَغْلَالِ الَّتِي يَعَاقِرُونَهَا آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ وَمَعَ ذَلِكَ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت: ٤٦]، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ٤٩]، فلا بد من تنزيه الله **عَزَّوَجَلَّ** عن الظلم خروجاً من مذهب الجبرية الذين جوزوا لله **عَزَّوَجَلَّ** أن يعذب الوري من غير ذنب، كما قال الناظم:

وجاز للمولى يعذب الوري من غير ما ذنب ولا جرم جرى
تعالى الله عن هذا القول الرديء.
قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٨ - (٢٦٤٨) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ، (ح) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جُعْشُمٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَ لَنَا دِينًا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ»، قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ زُهَيْرٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ فَسَأَلْتُ: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ».

٨ - (٢٦٤٨) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْمَعْنَى، وَفِيهِ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ عَامِلٍ مَيْسَرٌ لِعَمَلِهِ».

(أحمد بن يونس) اليربوعي قيل في ترجمة: كان صاحب سنة.

(زهير) أبو خيثمة النسائي.

(أبو الزبير) محمد بن مسلم، وقد تقدم.

(سراقة بن مالك بن جعشم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) الذي لحق النبي ﷺ في حال هجرته ليسلمه

لقريش، فما عاد إلا مسلماً؛ لما أراه الله من الدلائل على صدق النبي ﷺ.

(بَيَّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ) أي في باب القدر، وضح لنا الأمر وجهه، حتى نكون على بينة، هل الأمر مستأنف أم قد قُضي؟

(فِيَمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟) أي مما يعملُه العاملون.

(أَفِيَمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ) لما علم من قول رسول الله ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَاتِبٌ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ»، «رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، كناية عن أن الأمر قد قُضي.

(بَلْ فِيَمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ) هذا بالنسبة لما في علم الله، ولما في كتابة الله، أما بالنسبة للإنسان فكل إنسان يستقبله عمله، لكن ما في علم الله وهو الذي يصير إليه الإنسان قد قُضي وقُدر.

(اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيسَّرٍ) أي: لما خلق له، كما في الرؤية الأخرى: (كُلُّ عَامِلٍ مُيسَّرٌ لِعَمَلِهِ) على معنى حديث علي بن أبي طالب، مع تلاوة النبي ﷺ للآيات مستشهدا بها.
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩ - (٢٦٤٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يَزِيدَ الضُّبَيْعِيِّ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ قَالَ: فَقَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: قِيلَ: فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(١).

٩ - (٢٦٤٩) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ نُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عُليَّةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٥٥١).

مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ كُلُّهُمْ عَنْ يَزِيدَ الرَّشَكِيِّ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ بِمَعْنَى حَدِيثِ حَمَّادٍ، وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ الْوَارِثِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ.

(يحيى بن يحيى) هو التميمي النيسابوري.

(مطرف) بن عبد الله بن الشخير.

(عمران بن حصين) أبو نجيد.

ويدل على هذا أيضا حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد ^(١): خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ: «اتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟» قَالَ: قُلْنَا: لَا، إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَى: «هَذَا كِتَابُ مَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، بِأَسْمَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ، لَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا»، ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي يَسَارِهِ: «هَذَا كِتَابُ أَهْلِ النَّارِ، بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ، لَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا».

فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَلَايَ شَيْءٍ إِذْنُ نَعْمَلُ، إِنْ كَانَ هَذَا أَمْرًا قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَدُّوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ لَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ»، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ فَقَبَضَهَا، ثُمَّ قَالَ: «فَرِّقْ رَبُّكُمْ عَزَّجَلَّ مِنَ الْعِبَادِ»، ثُمَّ قَالَ بِالْيُمْنَى، فَنَبَذَ بِهَا، فَقَالَ: «فَرِّقْ فِي الْجَنَّةِ»، وَنَبَذَ بِالْيُسْرَى، فَقَالَ: «فَرِّقْ فِي السَّعِيرِ».

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠ - (٢٦٥٠) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا عَزْرَةُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عُمَيْلٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّلِيِّ قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ: أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرٍ مَا سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا آتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ،

وَتَبَّتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى عَلَيْهِمْ قَالَ فَقَالَ: أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا؟ قَالَ: فَفَرَعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَرَعًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ وَمَلَكَ يَدِهِ فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ. فَقَالَ لِي: يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَحْزَرَ عَقْلَكَ إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةِ أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَتَبَّتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: لَا بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى فِيهِمْ وَتَصَدِّقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ﴾ [سورة الشمس: ٧-٨].

(أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ) أي من خير أو شر، وضعه عمران على هيئة السؤال.
(وَيَكْدَحُونَ): ينصبون.

(أَشْيَاءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرٍ مَا سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَتَبَّتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟) ذكر له أمرا إن لم يكن عند الإنسان منه علم ربما كان شبهة عنده.

(بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى فِيهِمْ) أي من قدر الله السابق.
(أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا؟) وهذا من طرح السؤال على الطالب ثم رفع الإشكال؛ لإزالة الالتباس.

(فَفَرَعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَرَعًا شَدِيدًا) وهذا لتعظيمهم لله، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت: ٤٦]، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ٤٩].

(وَقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ وَمَلَكَ يَدِهِ فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) هذا الاحتجاج الذي احتج به الدؤلي **رَحِمَهُ اللَّهُ** سيحتج به الجبري، هم يحتاجون بهذا يقولون: جاز الله أن يعذب من شاء بدون ذنب؛ لأنه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٣]، وجاء في الحديث: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ

وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ، كَانَتْ رَحْمَتُهُ لَهُمْ خَيْرًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ»^(١)، أيضا استدل به الجبري.

ولكن لا دلالة لهم فيه فهو ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٣] لكمال عدله، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت: ٤٦].

(إِنِّي لَمْ أَرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَحْزَرَ عَقْلَكَ) أين أنت من الإيمان بالقدر، أين أنت من العلم والبعد عن الشبه، وهكذا فليكن طالب العلم، في بعد عن الشبه ومنأى عنها، وإذا وُضعت شبهة يسعى في رفعها.
(مُرْيَتَةٌ) قبيلة من قبائل نجد.

(وَبَيَّنْتَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ) الحجة الرسالية، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: ١٥] ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [سورة النساء: ١٦٥].

(وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ) أي القرآن.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ أقسم بالنفس والذي سواها، خلقها فعد لها.
﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أي فجورها مخلوق من الله، وتقواها مخلوق من الله، والموفق من وفقه الله، ليس معنى ذلك ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا﴾ [سورة الشمس: ٨]: جبرها عليه، لا، إنما علم فجورها فخذلها، لم يعنها على الهداية، ولم يوفقها لطرق الهداية، ﴿وَتَقْوَاهَا﴾ [سورة الشمس: ٨] علم فيه الخير فيسره لسبيل الخير.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٢١٥٨٩)، عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١ - (٢٦٥١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمْنَ الطَّوِيلَ يَعْمَلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمْنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

(إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمْنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ) يكون مع أهل الإسلام ومع أهل التوحيد وأهل السنة.

(ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ) ينحرف عن الصراط المستقيم والطريق القويم، فإذا ختم له بعمل أهل النار إن كان العمل كفراً فيصير إلى النار وبئس القرار، ويخلد فيها مع الخالدين، وإن كان العمل كبائر ذنوب فيستحق النار، وقد يعفو الله عنه. (وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمْنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ) ربما كفریات وبدعیات وشریکات، وکبائر عظیمات.

(ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ) يرزقه الله توبة وصلاحاً فيدخل الجنة، «الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ»، كما في حديث سهل بن سعد في لفظ البخاري^(١)، وأصله متفق عليه وسيأتي وقد تقدم.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢ - (١١٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَمَّا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فَيَمَّا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٢).

(١) حديث رقم: (٦٢٣٣).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٨٩٨).

(أبي حازم) سلمة بن دينار، وعن أبي هريرة أبو حازم: سليمان الأشجعي.
 (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ) يعني يظن الناس أنه من أهل الجنة، ما يدرون بما يختم له.

(وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ) أي في علم الله، وقبل موته سيموت على عمل أهل النار.
 (وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ) لا يعلمون ما يُختم له به، ولا يعلمون ما في علم الله عنه.

(وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) ربما يسلم قبل موته، ويصير إلى الجنة، كما فعل ذلك الصحابي الذي ذهب يقاتل مع النبي ﷺ، فما أسلم إلا ذلك الحين فقال النبي ﷺ: «عمل قليلا وأجر كثيرا».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣ - (٢٦٥٢) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّبِيِّ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ حَاتِمٍ، وَابْنِ دِينَارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ طَاوُوسٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ أَتْلُوْمَنِي عَلَى أَمْرِ قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» وَفِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ وَابْنِ عَبْدِ قَالَ أَحَدُهُمَا: «خَطَّ»، وَقَالَ الْآخَرُ: «كَتَبَ لَكَ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ» ^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٤٠٩).

(محمد بن حاتم) وهو السمين.

(ابن أبي عمر المكي) محمد بن يحيى.

(سفيان بن عيينة) أبو محمد الهلالي.

(عمرو) هو ابن دينار.

(طاووس) هو ابن كيسان.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٤ - (٢٦٥٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَغْوَيْتَ النَّاسَ، وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَتَلَوْنِي عَلَى أَمْرِ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟».

١٥ - (٢٦٥٢) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيِّ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ذُبَابٍ، عَنْ يَزِيدَ وَهُوَ ابْنُ هُرْمُزٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجُ قَالَا: سَمِعْنَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اِخْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِمَا فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسَجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ؟ فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ، وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَحَ فِيهَا تَبَيَّنُ كُلُّ شَيْءٍ، وَقَرَّبَكَ نَحِيًّا فَبِكُمْ وَجَدْتَ اللَّهُ كَتَبَ التَّوْرَةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا، قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [سورة طه: ١٢١] قَالَ: نَعَمْ قَالَ: أَتَلَوْنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى».

١٥ - (٢٦٥٢) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَابْنُ حَاتِمٍ قَالَا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجْتَكَ خَطِيئَتِكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ، ثُمَّ تَلَوْنِي عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى».

١٥ - (٢٦٥٢) حَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ النَّجَّارِ الْيَمَامِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنْبِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيثِهِمْ.

١٥ - (٢٦٥٢) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِنْهَالٍ الضَّرِيرُ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ.

هذا الحديث جاء عن عدة غير أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خارج الصحيح، وهو من أحاديث القدر، ومن أحاديث النبوة، ومن أحاديث الجدل للوصول إلى الحق ومن أحاديث الصفات، من عدة أوجه، إثبات أن الله عَزَّوَجَلَّ متكلم بحرف وصوت وإثبات أن الله عَزَّوَجَلَّ يدين حقيقتين تليق بجلاله، خلق آدم بهما، وخط التوراة بهما.

قوله: (اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَالِيَيْنِ عِنْدَ رَبِّهِمَا) أي تخاصما، من الحجاج والمحاجة والخصومة، وكل يدلي بحجته وبعذره.

(فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى) أي غلب آدم موسى، وأسكته بالجواب.

(قَالَ مُوسَى) وهو موسى بني إسرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ) كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ

بِيَدَيَّ﴾ [سورة ص: ٧٥].

وفيه إثبات صفة اليد حقيقة لله، وذهب النووي في هذا الموطن وفي غيره من المواطن إلى تأويل اليد بالقوة أو القدرة، وهذا تأويل باطل فاسد يخالف منهج السلف، بل يثبت لله **عَزَّجَلَّ** ما جاءت به النصوص من الأسماء والصفات، فالله **عَزَّجَلَّ** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١]، موصوف بما وصف نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله **ﷺ**، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل. وفي هذا فضيلة لآدم إذ خلقه الله بيده.

(وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ) أي من الأرواح التي عنده، فالروح مخلوقة، وإنما أضيفت إلى الله إضافة تشريف.

(وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ) سجدوا لآدم تحية بأمر الله، لا كما يقول بعض المتهوكين: إبليس أبى أن يسجد لغير الله، هم سجدوا لآدم بأمر الله كما سجد أخوة يوسف ليوسف، سجدود تحية لا سجدود عبادة.

(وَأَسْكَنْكَ فِي جَنَّتِهِ) جنة عدن؛ لأنه أهبط منها إلى الأرض، لو كان في الأرض كما يقول بعضهم ما هناك إهباط.

(ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ) هذه التي صارت دار ابتلاء واختبار. **(أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ)** وهو ثالث أولي العزم من الرسل فضلا ومنزلة، وأفضل أنبياء بني إسرائيل، اصطفاه الله على عالم زمانه.

(وَبِكَلَامِهِ) كلمه تكليما، فيه إثبات صفة الكلام لله كما يليق بجلاله، يتكلم بحرف وصوت، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٦٤].

(وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَحَ فِيهَا تَبَيَّنَ كُلُّ شَيْءٍ) الألواح التي خط فيها التوراة، كما تقدم في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَكَتَبَ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ وَغَرَسَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ»، كما جاء عن ابن عمر وهو ثابت عنه، وقد كسر الألواح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** حين وجد بني إسرائيل قد عبدوا

العجل، ﴿وَأَلْقَى الْأُلُوحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعْفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٠] ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأُلُوحَ وَفِي سُجُوتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٤].

(وَقَرَّبَكَ نَحِيًّا) أي ناجاك مناجاة، فناداه وناجاه، النداء بصوت مرتفع، والمناجاة بصوت خافت، ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَنَذَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَحِيًّا ۖ﴾ [سورة مريم: ٥١-٥٢].

(فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا:) ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى؟﴾ هذه آية من القرآن، والحديث يدل على أنها من آيات التوراة أيضا.

(وعصى) أكل من الشجرة التي نهاه عنها.

(فغوى) من الغواية، وهو الوقوع في الشر.

وقوله: (خَبِثْنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ) أي لحقنا الخسران بسبب إخراجك لنا من الجنة.

(أَفْتَلَوْنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟) احتج بعضهم بهذه اللفظة على الاعتذار بالقدر على المعصية، ولا دلالة فيه إنما اعتذر آدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بالقدر بعد التوبة، وإلا فإن المشركين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة النحل: ٢٥] ومع ذلك لم يقبل منهم هذا الاعتذار، لكن من تاب من ذنبه ثم اعتذر بالقدر لا حرج، تاب شرعا واحتج بالقدر كونا، لكن ليس عن رضى بالمعصية.

(فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى) أي خصمه.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦ - (٢٦٥٣) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَرَحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو هَانِيٍّ الْخَوْلَانِيُّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ^(١) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

١٦ - (٢٦٥٣) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا الْمُقْرِئُ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ، (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ التَّمِيمِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا نَافِعٌ يَعْنِي ابْنَ يَزِيدَ كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي هَانِيٍّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ غَيْرَ أَنَّهُمَا لَمْ يَذْكُرَا: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ.

هذا الحديث من أحاديث القدر، ومن أحاديث رتبة الكتابة، وهي الرتبة الثانية من مراتب القدر الأربع.

وفيه أن الله كتب مقادير الخلائق، وكل ما يتعلق بها، من خلق، ورزق، وموت وصحة ومرض، وعافية، ونصر، وكل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، قبل أن يخلق السماوات والأرض، بعمر كثير، وزمان طويل، خمسين ألف سنة.

قال: (وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) دليل على أن العرش موجود قبل خلق القلم، إذ أنه قد جاء في الحديث: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ الْقَلَمَ، قَالَ لَهُ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، ثم استوى على العرش بعد خلق السماوات والأرض، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة الفرقان: ٥٩]، فصفاة الاستواء صفاة فعلية، وصفاة العلو صفاة ذاتية.

(١) السند مسلسل بالمصريين.

قال رحمه الله:

بَابُ تَصْرِيفِ اللَّهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٧ - (٢٦٥٤) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَابْنُ نُمَيْرٍ كِلَاهُمَا عَنِ الْمُقْرِئِ قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِئُ قَالَ: حَدَّثَنَا حَيَوَةُ، أَخْبَرَنِي أَبُو هَانِي: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُبَلِيِّ: أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفِ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

وهذا الحديث عظيم، وجاء عن عدة من أصحاب النبي ﷺ، منهم النواس بن سميان.

(إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ) وهو على عرشه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يلزم من هذا المماساة، فالله على عرشه وقلوب العباد بين أصبعين من أصابعه، فأنت تقول: السحاب المسخر بين السماء والأرض، وهو ليس متصلاً بالأرض وليس متصلاً بالسماء، وتقول: قصير بين الغيضة والمكلا، وليست متصلة بالمكلا وليست متصلة بالغيضة.

فلا يلزم من إثبات أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن أن تكون أصابع الرحمن حالة في الإنسان، فتزيد بزيادة الناس، وتنقص بنقص الناس، تعالى الله عن قول الممثلين، وتعالى الله عن قول المعطلين، بل ثبت لله عزَّ وَجَلَّ أصابع تليق بجلاله، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١].

(كَتَلَبٍ وَاحِدٍ) إِذْ أَنَّهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَفَوْقَهُ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا

﴿سورة النساء: ١٢٦﴾.

(يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ) إِنْ شَاءَ إِلَى الْهَدَى وَإِنْ شَاءَ إِلَى الضَّلَالِ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ

لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة فصلت: ٤٦]، مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْهَدَايَةِ يُسِّرْ لِعَمَلِ أَهْلِ الْهَدَايَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْغَوَايَةِ يُسِّرْ لِعَمَلِ أَهْلِ الْغَوَايَةِ.

وَنَحْنُ نُوْمِنُ بِالْحَدِيثِ عَلَى ظَاهِرِهِ، مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلَا تَحْرِيفٍ.

وَفِيهِ أَنَّ الْهَدَى مِنَ اللَّهِ وَالضَّلَالُ مِنَ اللَّهِ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَضْلًا، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ عَدْلًا.

(اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ) بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ يَصْرِفُ

الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ دَعَا اللَّهَ أَنْ يَصْرِفَ الْقَلْبَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَعَلَى مَحَبَّةِ دِينِهِ.

وَالْقَلْبُ هُوَ مَبْدَأُ الصَّلَاحِ وَمَحَلُّ الصَّلَاحِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي

الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ

الْقَلْبُ»، وَقَدْ جَاءَ خَارِجُ الصَّحِيحِ: «يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ»^(١)، جَاءَ

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ وَعَايِشَةَ بِمَجْمُوعِهَا يَثْبِتُ الْحَدِيثَ.

فَإِذَا صُرِفَ الْقَلْبُ عَلَى الطَّاعَةِ انْقَادَتْ لَهُ الْجَوَارِحُ، وَإِذَا صُرِفَ الْقَلْبُ عَلَى

الْمَعْصِيَةِ انْقَادَتْ لَهُ الْجَوَارِحُ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا

صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه، حَدِيثٌ رَقْم: (١٩٩)، عَنْ النُّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال رحمه الله:

بَابُ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٨ - (٢٦٥٥) حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ (ح) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكٍ فِيمَا قُرِيَ عَلَيْهِ عَنْ زِيَادِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَاوُسٍ: أَنَّهُ قَالَ أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ»، أَوْ «الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ».

وهذا الحديث من أصرح ما يكون أن ما يقع في هذا العالم بتقدير الله، من خلق أو موت، أو إحياء، أو رزق، أو هداية، أو إضلال، أو صحة، أو مرض، أو زواج، أو طلاق، كل شيء يقع في هذا العالم بقدر، أي قد قدره الله وقضاه، وكتبه في اللوح المحفوظ، وشاءه وخلقاه.

(حَتَّى الْعَجْزُ): الكسل، والفتور، والتواني، (وَالْكَيْسُ) النشاط، والقوة، فمعناه: كل شيء بقدر، حتى ما يقع من الإنسان من نشاط أو ضعف وخور، والله المستعان.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٩ - (٢٦٥٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ الْمَخْزُومِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ فَنَزَلَتْ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ دُوفُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [٤٨] إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ [سورة القمر: ٤٨-٤٩].

إذا الخصام في القدر ليس هو سبيل المعتزلة والجهمية الجبرية فقط، وإنما هو سبيل المشركين قديما وحديثا، فجعلوا يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، يعني كقوله: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [سورة الأنعام: ١٤٨]، ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة النحل: ٣٥] ونحو ذلك.

فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ تنكيلا بهم وإهانة. ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾: ذوقوا عذاب سقر، وسقر من أسماء النار. ثم قال: ﴿إِنَّا﴾ على التعظيم لنفسه المقدسة، ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ من الموجودات المخلوقات المربوبات، ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ وأوجدناه ﴿بِقَدَرٍ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٨].

والمراد بالقدر هنا: القدر العام، المحيط بجميع المقدورات، والذي فيه تقدير جميع أفعال العباد والمخلوقات، من أرزاق وغيرها، ونحو ذلك. فالقدر والكلام فيه مما يزيد الإيمان إذا حققه الإنسان على الوجه المشروع؛ لأنه يدل على عظيم إحاطة الله عَزَّوَجَلَّ بمخلوقاته، وعلى عظيم تقديره لهم، مع كثرتهم وتنوعهم لا يعجزه ولا يكرثه شيء، يطعم الطائر في السماء، والحيوت في البحر، والحيوان في البر، كل له تقديره، ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ وَهُوَ يُهْدِي﴾ [سورة طه: ٥٠] تقديره في الخلقة وتقديره في الرزق، والله المستعان، حتى قيل:

وَلَأَنْتَ تَقْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي
يعني أنت تقدّر ما خلقت، وغيرك يعجز عن تقدير ما صنع وفعل، والله المستعان. لو تأملنا إلى الكلية كم يذكر الأطباء فيها من وظائف وكم تقوم به من أمور! حتى أن الإنسان إذا تعطلت كليته يحتاج إلى الغسيل الكلوي في الأسبوع مرة أو مرتين وربما

ثلاثاً، فيمكث تحت الجهاز للساعات، جهاز كبير واسع، يخرجون الدم وينقونه، ثم يردونه، وهو في مرضة، بينما ربما السليم يعيش إلى مائة سنة لا يحتاج إلى مثل هذا. بل الأسنان تأكل عليها، وتتجمل بها، إذا ذهب السن كم يعالج الطبيب حتى يثبت آخر مكانه، وربما زاد وربما نقص، وربما أتعب، وربما أرهاق المريض، والله المستعان، فالله **عَزَّوَجَلَّ** خلق كل شيء فقدره تقديراً.

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ: قُدِّرَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزَّنا وَغَيْرِهِ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٢٠ - (٢٦٥٧) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَاللَّفْظُ لِإِسْحَاقَ قَالَا: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ ابْنِ طَاوُوسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّنا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَرِزْنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظْرُ، وَزَنَا اللِّسَانِ النَّطْقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ»^(١).

قَالَ عَبْدُ فِي رِوَايَتِهِ: ابْنُ طَاوُوسٍ، عَنْ أَبِيهِ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ.

٢١ - (٢٦٥٧) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو هِشَامٍ الْمَخْزُومِيُّ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبُهُ مِنَ الزَّنا مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظْرُ، وَالْأُذُنَانِ زَنَاهُمَا الْإِسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زَنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زَنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ».

(عبد بن حميد) صاحب (المنتخب).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٢٤٣).

(عبد الرزاق) صاحب (المصنف).

(معمر) صاحب (الجامع).

(ابن طاووس) وهو عبد الله، (عن أبيه) طاووس بن كيسان الأبنوي اليماني.
(مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ) يريد قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [سورة النجم: ٢٢]، أي أنه مغفور لهم اللمم.

واللمم: هو ما يلزم به الإنسان من معصية، وربما أطلق على صغائر الذنوب، وقد علم أن المجتنب الكبائر تكفر عنه الصغائر، ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [سورة النساء: ٣١].

(إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّنا) يعني على كل واحد من بني آدم له حظ إلا من سلمه الله وعصمه وعافاه، والحظ: النصيب، والناس يتفاوتون في هذا الحظ بين مستقل ومستكثر.

(أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ) يعني من كُتِبَ عليه هذا الحظ أدركه لا محالة، لا بد أن يصيبه.

ما قضى الله كائنًا لا محالة والشقي الجهول من لام حاله
(فَزَنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظْرُ) يعني النظر المحرم لا المباح، سواء النظر إلى النساء أو النظر إلى المردان، نسأل الله السلامة والعافية.

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظْرِ وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرِّ
كَمْ نَظْرَةٌ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا فَتَكَ السَّهَامُ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرٍ
فرب نظرة أورثت حسرة، والقلب يتأثر سريعاً، حتى وإن تاب الإنسان واستغفر ونزع قد يبقى فيه الأثر، وقد يُسلب الخير بسبب هذا الأثر، كم من إنسان يكون مع القرآن فإذا أطلق النظر شق عليه قراءة القرآن، وحرَمَ قيام الليل، وثقلت عليه الطاعة والعبادة، وفتن حتى في صلاته، بالفكرة والانشغال.

ولذلك أمر الله المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار، كثير من الأوامر الإلهية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [سورة البقرة: ١٠٤]، يدخل فيها الرجال والنساء، لكن غرض البصر: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾ [سورة النور: ٣٠]، ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ [سورة النور: ٣١].

(وَرَزَا اللِّسَانِ النُّطْقُ) يعني النطق الفاحش، بما هو من أمور الزنا، والخنا والتشبيب، ووصف القدود والخدود، وهكذا الأغاني تدخل في هذا الباب؛ لأنها تثير الشهوة، وتحرك الغريزة.

(وَالنَّفْسُ تَمْنَى وَتَشْتَهِي) يعني تتمنى الحرام من نظرة أو لمسة أو سماع، ونحو ذلك.

(وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ) والفرج به يقع الزنا الموجب للحد، أما هذه السابقات ليس بزنا موجب للحد، إنما يأثم صاحبها، لكن الفرج إذا وقع في الفرج أوجب الحد، ووقع في الكبيرة، وخرج من اللمم.

وفي زيادة في الرواية الأخرى: **(وَالْيَدُ زَنَاهَا الْبَطْشُ)** البطش بالمرأة، والبطش بالأمرد، ويدخل فيه المس.

(وَالرَّجُلُ زَنَاهَا الْخُطَا) إلى الحرام، المشي للوصول إليه.

(وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى) بل إن مبدأ هذه الأمور القلب، فان القلب إذا تمنى وأراد فكر وانطلقت بعد ذلك الجوارح، أما إذا أطلق عينه بدون فكر قلب ربما لا يرى ما أمامه، أحيانا تكون ناظرا يمر من أمامك أحد وأنت مشروء لا تراه، أو ربما يتكلم بكلام وأنت موجود لا تسمع؛ لغياب القلب.

لكن إذا وجد القلب وحضر ربما زين القبيح، ولذلك رب رجل تجد معه من أجمل ما يكون من النساء وقلبه منكمش منها، إذا كان من محبي الفساد، ويذهب يزني مع

أسوأ ما يكون من الوجوه، نسأل الله السلامة والعافية، يزين له الشيطان الزنا، وأهل الزنا والخنا.

(وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ) يعني بحيث يتحقق الزنا الموجب للحد، والذي هو كبيرة من كبائر الذنوب.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فَمَعْنَى الْآيَتَيْنِ أَنَّ اجْتِنَابَ الْكِبَايِرِ يُسْقِطُ الصَّغَائِرَ، وَهِيَ اللَّئَمُ. وَفَسَّرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ بِمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ النَّظَرِ وَاللَّمْسِ وَنَحْوِهِمَا، وَهُوَ كَمَا قَالَ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي تَفْسِيرِ اللَّئَمِ، وَقِيلَ: أَنْ يُلَمَّ بِالشَّيْءِ وَلَا يَفْعَلُهُ، وَقِيلَ: الْمَيْلُ إِلَى الذَّنْبِ، وَلَا يُصِرُّ عَلَيْهِ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ بِظَاهِرٍ، وَأَصْلُ اللَّئَمِ وَالْإِلْمَامُ الْمَيْلُ إِلَى الشَّيْءِ وَطَلَبُهُ مِنْ غَيْرِ مُدَاوَمَةٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٢ - (٢٦٥٨) حَدَّثَنَا حَاجِبُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، عَنِ الزُّبَيْدِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجَّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟».

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَى فَطَرِ النَّاسِ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [سورة الروم: ٣٠] آيَةٌ (١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٣٥٨).

٢٢ - (٢٦٥٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ كِلَاهُمَا عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَقَالَ: «كَمَا تُنْتَجِ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ»، وَلَمْ يَذْكُرْ: «جَمْعَاءَ».

٢٣ - (٢٦٥٨) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ وَأَحْمَدُ بْنُ عِيسَى قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ».

ثُمَّ يَقُولُ: اقْرَؤُوا ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ أَلْفِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيُّمُ﴾ [سورة الروم: ٣٠].

٢٣ - (٢٦٥٨) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُجَسِّسَانِهِ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَوْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ».

٢٣ - (٢٦٥٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي كِلَاهُمَا عَنْ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، فِي حَدِيثِ ابْنِ نُمَيْرٍ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَهُوَ عَلَى الْمِلَّةِ».

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ: «إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ، حَتَّى يُبَيِّنَ عَنْهُ لِسَانُهُ». وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ: «لَيْسَ مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعَبِّرَ عَنْهُ لِسَانُهُ».

٢٤ - (٢٦٥٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُولَدُ يُولَدُ عَلَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ، كَمَا

تَتَجِدُونَ الْإِبِلَ فَهَلْ تَجِدُونَ فِيهَا جَدْعَاءَ؟ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ صَغِيرًا؟ قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ».

(مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ) أي ما من مولود من بني آدم إلا يولد على الفطرة، يعني: على الدين الصحيح، ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [سورة الروم: ٣٠] ولذلك من مات في هذا الوقت قبل أن يكلف فهو من أهل الجنة، ففي حديث سمرة بن جندب في البخاري: أن النبي ﷺ رأى إبراهيم وحوله أبناء الناس، قال رجل: وأطفال المشركين؟ قال: «وأطفال المشركين».

(فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ) جاء في بعضها: «أو يهودانه، أو ينصرانه أو بمجسانه»، يعني: بحسب دينهما يصير معهما، نسأل الله السلامة والعافية.

هذا دليل على خطر المجالسة، من جالس أهل الباطل تأثر بهم، ومن جالس أهل الحق ناله من خيرهم.

(كَمَا تُنْتَجِ الْبَهِيمَةُ): كما تضع وتلد، البهيمة: الحيوان، سواء كان من بهيمة الحيوان أو من غيره.

(بَهِيمَةً جَمْعَاءَ) كأنها مكتملة، جمعاء في صفاتها، مكتملة، مجمعة الأعضاء سليمة من النقص.

(هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟) مقطوعة الأذن، أو غير ذلك من الأعضاء، ما تجدها إلا مكتملة، ثم الإنسان يعمد إلى قطع الأذن، وإلى قصصقتها، ونحو ذلك. ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وهي الإسلام.

(لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ): لا تبديل لحكم الله، القدري الكوني، وهذا من عظيم منة الله على العباد أنه يخلقهم على الفطرة، ولو بقوا عليها ما أشركوا ولا نددوا ولكنهم يخرجون عنها، وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب للأمر بالبقاء على الفطرة والملازمة لها.

(اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ) هذا قبل أن يوحى إليه أنهم في الجنة، وهذه المسألة اختلف فيها العلماء، حتى أن ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في (تفسيره) يجنح إلى أن أبناء الإسلام مع آبائهم، وأبناء الكفر مع آبائهم، وقد جيء به مصرحاً في بعض الروايات: «هم مع آبائهم»، وأيضاً في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وسيأتي: أن صبياً توفي فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ طُوبَى لِهَذَا عَصْفُورٍ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ الشُّوْءَ، وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قَالَ: «أَوْغَيْرُ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ؟ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا، وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»^(١).

لكن كل الأحاديث التي فيها (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ) وحديث: «مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ»^(٢)، وحديث «هم من آبائهم» أو «مع آبائهم» تُرد إلى حديث سمرة بن جندب في البخاري الذي تقدم بيانه وذكره، هذا هو المذهب الصحيح، مع أن العلماء لهم مذاهب عدة: فمنهم من جعلهم مع آبائهم، أطفال المسلمين في الجنة مع آبائهم، وأطفال الكفار في النار مع آبائهم. ومنهم من فصل: وذهب إلى أن أطفال المسلمين في الجنة، وأطفال الكفار يختبرون يوم القيامة، فمن أجاب إلى الاختبار بالامثال دخل الجنة، ومن لم يجب دخل النار. لكن المذهب الصحيح الأول، أنهم للجنة، ولذلك اختلفوا في الغلام الذي قتله الخضر إلى أقوال:

الأول: أنه قتل في حال صغره ولم يكن مكلفاً ولا بالغاً بل ولا كافراً.
 الثاني: أنه كان بالغاً وإنما أطلق عليه غلام من باب التجوز، كما قيل في النبي ﷺ:
 هذا الغلام من بني عبد المطلب، وهو في الأربعين، واستدل على من قال ذلك بقول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا تُنْكِرُ﴾ [سورة الكهف: ٧٤]،

(١) أخرجه البخاري عن أم العلاء: (١٢٣٤).

(٢) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٢٧٤٥٨)، عن عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أعلم أهل زمانه، ولو كان غلاما دون البلوغ لم يكن عليه قصاص، قاله الطحاوي.

الثالث: أنه يعامل معاملة أصحاب الفترة فيمتحن يوم القيامة.

الرابع: أنه مستثنى من جملة الأطفال الذين هم للجنة، هذا قول قاله ابن عبد البر أظن، وهو قول ضعيف.

(حَتَّى يُبَيِّنَ عَنْهُ لِسَانُهُ): يُعَرِّبُ عَنْهُ لِسَانَهُ، وَيتكلم بالكفر ويصرح به.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ مِنْ أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مُكَلَّفًا، وَتَوَقَّفَ فِيهِ بَعْضُ مَنْ لَا يُعْتَدُّ بِهِ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ هَذَا، وَأَجَابَ الْعُلَمَاءُ بِأَنَّهُ لَعَلَّهَا عَنْ الْمُسَارَعَةِ إِلَى الْقَطْعِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ، كَمَا أَنْكَرَ عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ فِي قَوْلِهِ: أَعْطَاهُ إِنِّي لَا أَرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» الْحَدِيثُ.

وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ أَطْفَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّةِ، فَلَمَّا عَلِمَ قَالَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ»، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَأَمَّا أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ فَفِيهِمْ ثَلَاثَةٌ مَذَاهِبَ: قَالَ الْأَكْثَرُونَ: هُمْ فِي النَّارِ تَبَعًا لِآبَائِهِمْ، وَتَوَقَّفَتْ طَائِفَةٌ فِيهِمْ.

وَالثَّلَاثُ: وَهُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ: أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيُسْتَدَلُّ لَهُ بِأَشْيَاءَ مِنْهَا: حَدِيثُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ رَأَى النَّبِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْجَنَّةِ، وَحَوْلَهُ أَوْلَادُ النَّاسِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (فِي صَحِيحِهِ) ^(١)، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾

(١) حديث رقم: (٧٠٤٧)، عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[سورة الإسراء: ١٥] وَلَا يَتَوَجَّهْ عَلَى الْمُؤَلَّدِ التَّكْلِيفِ، وَيَلْزَمُهُ قَوْلُ الرَّسُولِ: حَتَّى يَبْلُغَ، وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا الْفِطْرَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فَقَالَ الْمَازِرِيُّ: قِيلَ: هِيَ مَا أُخِذَ عَلَيْهِ. فِي أَضْلَابِ آبَائِهِمْ، وَأَنَّ الْوِلَادَةَ تَقَعُ عَلَيْهَا حَتَّى يَحْصُلَ التَّغْيِيرُ بِالْأَبَوَيْنِ. وَقِيلَ: هِيَ مَا قُضِيَ عَلَيْهِ مِنْ سَعَادَةٍ أَوْ شَقَاوَةٍ يَصِيرُ إِلَيْهَا، وَقِيلَ: هِيَ مَا هَيَّئَ لَهُ. هَذَا كَلَامُ الْمَازِرِيِّ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ: كَانَ هَذَا فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ الْفَرَائِضُ، وَقَبْلَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: كَانَتْهُ يَعْنِي أَنَّهُ لَوْ كَانَ يُؤَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَهُودَّهَ أَبَوَاهُ أَوْ يُنْصَرَّانِهِ لَمْ يَرِثْهُمَا، وَلَمْ يَرِثَاهُ، لِأَنَّهُ مُسْلِمٌ، وَهُمَا كَافِرَانِ.

أَمَّا فِي أُمُورِ الدُّنْيَا فَيُعَامَلُ الطِّفْلُ مُعَامَلَةً أَبَوِيَّةً، وَأَمَّا فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ. **إِلَى أَنْ قَالَ:** وَأَمَّا غُلَامُ الْخَضِرِ فَيَجِبُ تَأْوِيلُهُ قِطْعًا؛ لِأَنَّ أَبَوَيْهِ كَانَا مُؤْمِنَيْنِ، فَيَكُونُ هُوَ مُسْلِمًا، فَيَتَأَوَّلُ عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ بَلَغَ لَكَانَ كَافِرًا، لَا أَنَّهُ كَافِرٌ فِي الْحَالِ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ فِي الْحَالِ أَحْكَامُ الْكُفَّارِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٥ - (٢٦٥٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي الدَّرَاوَرْدِيَّ، عَنْ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ إِنْسَانٍ تَلِدُهُ أُمُّهُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَأَبَوَاهُ بَعْدُ يَهُودَّانِهِ وَيُنْصَرَّانِهِ وَيُمَجَّسَّانِهِ، فَإِنْ كَانَا مُسْلِمَيْنِ فَمُسْلِمٌ كُلُّ إِنْسَانٍ تَلِدُهُ أُمُّهُ يَلْكُزُهُ الشَّيْطَانُ فِي حُضْنَيْهِ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا».

(يَلْكُزُهُ) يعني: يطعنه، ولذلك يخرج بصيحة يبكي ويصيح، ومريم وابنها استجاب

الله دعوة أم مريم: ﴿وَأَيُّ أَعِيدَهَا بِكَ وَدَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [سورة آل عمران: ٣٦].

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٢٦ - (٢٦٥٩) حَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ وَيُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»^(١).

٢٦ - (٢٦٥٩) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَهْرَامٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ شَيْبٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ، حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ وَهُوَ ابْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ كُلُّهُمْ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِإِسْنَادِ يُونُسَ وَابْنِ أَبِي ذَنْبٍ مِثْلَ حَدِيثِهِمَا غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ شُعَيْبٍ وَمَعْقِلٍ سُئِلَ عَنْ ذُرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ.

٢٧ - (٢٦٥٩) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ صَغِيرًا فَقَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ».

٢٨ - (٢٦٦٠) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ إِذْ خَلَقَهُمْ»^(٢).

٢٩ - (٢٦٦١) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَقَبَةَ بْنِ مَسْقَلَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِي بَنِي كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْغُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طَبَعَ كَافِرًا، وَلَوْ عَاشَ لَا زَهَقَ أَبَوَيْهِ طَغْيَانًا وَكُفْرًا».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٣٨٤).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٩٧).

هذا مما أشكل على الناس كثيرا، وقد ألفت فيها جزءين مستقلين: (فتح البر ببيان حال الطفل الذي قتله الخضر)، و(الذيل على فتح البر).

فإما أن يكون كافرا في الحال، وهذا يشكل على لفظة (الغلام) إن كان المراد به قبل البلوغ، وإما أن يكون كافرا لو عاش، وهذا خرج به الإشكال، معناه: أنه قُتل على دين أبويه، لكن لو عاش لأرهمهما طغيانا وكفرا.

ومنهم من قال: بأنه مستثنى من الأطفال.

ومنهم من قال: بأنه كان فوق البلوغ، والكفر واقع عليه حالا، كما هو موضح في ذلك الموطن: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [سورة الكهف: ٧٤]، وبيانها: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [سورة الكهف: ٨٠] فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿٨١﴾ [سورة الكهف: ٨٠-٨١].

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٠ - (٢٦٦٢) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ فَضِيلِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: تُوْفِّي صَبِيٌّ فَقُلْتُ: طُوبَى لَهُ عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ لَا تَدْرِينَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ، وَخَلَقَ النَّارَ فَخَلَقَ لِهَذِهِ أَهْلًا، وَلِهَذِهِ أَهْلًا».

٣١ - (٢٦٦٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَمَّتِهِ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طُوبَى لِهَذَا عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ، وَلَمْ يُدْرِكْهُ قَالَ: «أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا، وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ».

٣١ - (٢٦٦٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَى، (ح) وَحَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ مَعْبُدٍ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ حَفْصٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ كِلَاهُمَا عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَى بِإِسْنَادٍ وَكِيعٍ نَحْوَ حَدِيثِهِ.

(طوبى له) أي: الجنة له، وأما من قال بأن طوبى: الشجرة في الجنة، لا يثبت فيها شيء، لكن إما أن تكون طوبى هي الجنة، أو طوبى بالجنة، ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَا بِهِ﴾ [سورة الرعد: ٢٩].

(فَخَلَقَ لَهُذِهِ أَهْلًا، وَلَهُذِهِ أَهْلًا) ﴿وَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [سورة الشورى: ٧].
(خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا، وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ) ومع ذلك: «اعْمَلُوا فِكُلِّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيَسِّرْ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيَسِّرْ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، هذا هو الحكم.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْأَجَالَ وَالْأَرْزَاقَ وَغَيْرَهَا لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ عَمَّا سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٢ - (٢٦٦٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ (وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ) قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ مِسْعَرٍ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَشْكُرِيِّ، عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: اللَّهُمَّ أَمْنِي بِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالِ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَنْ يُعَجَّلَ شَيْئًا قَبْلَ حُلِّهِ أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حُلِّهِ، وَلَوْ كُنْتَ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ

عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ، قَالَ: وَذُكِرَتْ عِنْدَهُ الْقِرْدَةُ قَالَ مِسْعَرٌ: وَأَرَاهُ قَالَ: وَالْخَنَازِيرُ مِنْ مَسْخٍ فَقَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلًا وَلَا عَقَبًا، وَقَدْ كَانَتْ الْقِرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ»**.

٣٢ - (٢٦٦٣) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ بِشْرٍ، عَنْ مِسْعَرٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِهِ عَنْ ابْنِ بِشْرٍ وَوَكَيْعٍ جَمِيعًا: **«مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ»**.
٣٣ - (٢٦٦٣) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ وَاللَّفْظُ لِحَجَّاجٍ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ حَجَّاجٌ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَشْكُرِيِّ، عَنْ مَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: **اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكَ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَثَارٍ مَوْطُوءَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَا يُعَجَّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ، وَلَا يُؤَخَّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ، وَلَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ»**.

قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْقِرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ هِيَ مِمَّا مَسَخَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ لَمْ يَهْلِكْ قَوْمًا أَوْ يُعَذِّبْ قَوْمًا فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلًا، وَإِنَّ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ»**.

٣٣ - (٢٦٦٣) حَدَّثَنِي أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بْنُ مَعْبُدٍ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: **«وَأَثَارٍ مَبْلُوعَةٍ»**.
قَالَ ابْنُ مَعْبُدٍ: وَرَوَى بَعْضُهُمْ: قَبْلَ حِلِّهِ أَيْ: نُزُولِهِ.

(قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ) دَعَا اللَّهُ عَزَّجَلَّ بِحَيَاتِهِمَا وَأَنْ تَتَمَتَّعَ بِالْبَقَاءِ بَيْنَهُمَا، وَهَذَا كَقَوْلِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الْآنَ: اللَّهُ يَطِيلُ فِي عَمْرِكَ، هَذَا دَعَاءٌ بِأَمْرٍ قَدْ فُورَغَ مِنْهُ.

(لِأَجَالٍ مُّضْرُوبَةٍ) أي معلومة مقدرة، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [سورة الرعد: ٣٨].
 (وَأَيَّامٍ مَّعْدُودَةٍ) قد عدت وفرغ منها.
 (وَأَرْزَاقٍ مُّقْسُومَةٍ) قد كتبت في اللوح المحفوظ، وكتبها الملك حين نفخ الروح.
 (لَنْ يَعْجَلَ شَيْئًا قَبْلَ حُلِّهِ) سواء من الأرزاق أو الآجال.
 (أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حُلِّهِ) من الأرزاق أو الآجال، ومع ذلك قد جعل الله أسبابا مثل الدعاء، وطلب الرزق، ونحو ذلك.

(وَلَوْ كُنْتَ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ) مع أن هذا أيضا مفروغ منه، مكتوب في اللوح المحفوظ: أهل الجنة للجنة وأهل النار للنار، ولكن قد جعل الله عَزَّجَلَّ من أسباب السلامة، «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ ادْخُلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ اسْتَبَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ النَّارُ: اللَّهُمَّ اجْرُهُ مِنَ النَّارِ».

وأيضا نعيم القبر للمؤمنين، (كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ)، مع أن هذا الدعاء قد اعتاده الناس ما نقول: هو دعاء حرام، لما يقول: اللهم أطل عمره، اللهم وسع له في رزقه هذه أمور طيبة، لكن الاستعاذة أيضا من عذاب القبر، ومن عذاب النار، تُقدم.

(إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلًا) هذا اللفظ قد يتعارض مع اللفظ الآخر: «لعله من مسخ بني إسرائيل، فلا أحله ولا أحرمه»، فقيل: بأن هذا قبل أن يوحى إليه، أو الحديث الأول قبل أن يوحى إليه، بأن المسخ لا يكون له نسل.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ الْمَقْتُولَ مَاتَ بِأَجَلِهِ، وَقَالَتْ الْمُعْتَزَلَةُ: قُطِعَ أَجَلُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقولهم مردود ومنبوذ، وأخذه منهم الرافضة.

وقال: فَإِنْ قِيلَ: مَا الْحِكْمَةُ فِي نَهْيِهَا عَنِ الدُّعَاءِ بِالزِّيَادَةِ فِي الْأَجَلِ؛ لِأَنَّهُ مَفْرُوعٌ مِنْهُ، وَنَدْبُهَا إِلَى الدُّعَاءِ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنَ الْعَذَابِ، مَعَ أَنَّهُ مَفْرُوعٌ مِنْهُ أَيْضًا كَالْأَجَلِ؟ فَالْجَوَابُ

أَنَّ الْجَمِيعَ مَفْرُوعٌ مِنْهُ، لَكِنَّ الدُّعَاءَ بِالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَحْوِهِمَا عِبَادَةٌ، وَقَدْ أَمَرَ الشَّرْعُ بِالْعِبَادَاتِ، فَقِيلَ: أَفَلَا نَتَكَلَّمُ عَلَى كِتَابِنَا وَمَا سَبَقَ لَنَا مِنَ الْقَدَرِ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فِكْلٌ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» وَأَمَّا الدُّعَاءُ بِطُولِ الْأَجْلِ فَلَيْسَ عِبَادَةٌ، وَكَمَا لَا يَحْسُنُ تَرْكُ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالذِّكْرِ اتِّكَالًا عَلَى الْقَدَرِ فَكَذَا الدُّعَاءُ بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَنَحْوِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ، وَتَرْكِ الْعَجْزِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٤ - (٢٦٦٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ آخِرُضٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

(الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ) أي بإيمانه، بعلمه، بهداه، بتقاه، بمسارعته إلى رضوان الله، وإلا فقد تجد مؤمنا قوي البدن ضعيف الإيمان، وربما تجد كافرا لا إيمان له قوي البدن، لكن المراد هنا به القوة الإيمانية، القوة العلمية، القوة العقديّة والتوحيدية، قوة المسارعة والمبادرة إلى الخيرات.

(خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ) ضعيف الإيمان، ضعيف الطاعة ضعيف المبادرة، ضعيف العلم والعمل.

(وَفِي كُلِّ خَيْرٍ) كل مؤمن فيه خير، وإن كان ضعيف العلم والعمل، ما دام مؤمناً فهو خير من ملء الأرض من الكافرين، وهذا حتى لا يقع الازدراء للمؤمن، فلا يزدري المؤمن، لكن ينبغي أن يكون المؤمن من المسارعين المبادرين، ﴿فَأَسْتَقُوا﴾ [سورة البقرة: ١٤٨]، ﴿وَسَارِعُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٣٣]، و﴿سَابِقُوا﴾ [سورة الحديد: ٢١]، ﴿كَانُوا يُسْرِعُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠].

(اٰخِرُضْ عَلٰى مَا يَنْفَعُكَ) هذا أمر آخر، الأول: الإخبار بالمفاضلة بين المؤمنين بإيمانهم، وحسن عملهم، ثم دل على سبيل النجاح: **(اٰخِرُضْ عَلٰى مَا يَنْفَعُكَ)** من فعل المأمور وترك المحذور.

(وَاسْتَعِنَ بِاللّٰهِ) في حال فعلك للمأمور، وتركك للمحذور، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة: ٥]، وقد قال موسى عليه السلام: استعينوا بالله واصبروا، وسبب ذكر الحديث في هذا الباب: أن الإيمان بالقدر لا يمنع من الاستعانة بالله **عَزَّوَجَلَّ** على فعل المأمور وترك المحذور، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(وَلَا تَعْجِزْ) عن الفعل؛ لأن الذي يقول: أنا مستعين بالله ولا يفعل هذا دعوى غير مقبولة، فلا بد أن تأتي بالفعل مع استعانتك بالله **عَزَّوَجَلَّ**، فإن وفقك له فقد أعانك، وإن خذلك فلحكمة علمها،

إذا لم يكن عون من الله للفتى = فأول ما يجني عليه اجتهاده **(وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا)** سواء من أمور المعايب، أو من الأمور التي تلحق الجسم والبدن من موت ونقص ونحو ذلك، مع أن فاعل المعصية يجب عليه التوبة والإنابة.

(لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا) هذا اللوم لا يجدي، إنما يسبب مدخلا للشيطان؛ لأن الأمر قد انقضى وذهب وولى، ف(لو) هذه لا تفيدك شيئاً، إلا التحسر.

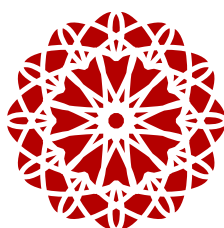
(لَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ) هذا تحقيق الإيمان بالقدر، وقد قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يَبْلُغَ الْمُؤْمِنُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَخْطِئْهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبْهُ».

(فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) وهذا ليس على إطلاقها، فالبخاري رَحِمَهُ اللَّهُ قد بوب في كتابه: باب ما يجوز من اللو، وذكر منها: «لَوْ لَا حَدَّثَانِ قَوْمُكَ بِالْكَفْرِ لَأَتَمَمْتَ الْبَيْتَ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَوْ اسْتَقْبَلْتَ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتَ مَا سَقَتِ الْهَدْيَ، وَلَا احْلَلْتَ، كَمَا احْلَلْتُمْ»، في أحاديث غير هذه.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فَالظَّاهِرُ أَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا هُوَ عَنْ إِطْلَاقِ ذَلِكَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، فَيَكُونُ نَهْيٌ تَنْزِيهِ لَا تَحْرِيمٍ، فَأَمَّا مَنْ قَالَهُ تَأْسُفًا عَلَى مَا فَاتَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ مَا هُوَ مُتَعَدِّرٌ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَنَحْوِ هَذَا، فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ أَكْثَرُ الْإِسْتِعْمَالِ الْمَوْجُودِ فِي الْأَحَادِيثِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

انتهيت في السادس من شوال، لعام خمسة وأربعين وأربعمائة وألف من كتاب القدر من صحيح الإمام مسلم، والحمد لله رب العالمين.



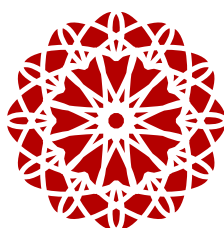


کتابُ العِلْمِ

الإِتِّحَافُ

شَرْحُ

صَحِيحِ مُسْلِمٍ بِالْجَنَاحِ



قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ الْعِلْمِ

كان حق هذا الكتاب أن يقدم، فإن الله عَزَّوَجَلَّ أول ما أنزل على رسوله صل الله عليه وسلم الأمر بالعلم: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ [سورة العلق: ١-٥].

فالعلم هو مبدأ الرسالات، ثم بعد العلم العمل، ثم بعد العلم والعمل الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾ [سورة الرحمن: ١-٤]، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [سورة البقرة: ٣١]، وقد تفضل الله عَزَّوَجَلَّ على أنبيائه ومن شاء من خلقه بالعلم: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝﴾ [سورة النساء: ١١٣].

وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ نبيه سؤال العلم: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤]، وأخبر الله عَزَّوَجَلَّ أن الخشية في أهل العلم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]، وأشهد الله عَزَّوَجَلَّ العلماء على وحدانية: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران: ١٨].

وشأن العلم أنه صفة الله، فالله عالم، وعلام، وعليم، وخبير، ولطيف، وفي معنى اللطيف: العلم ببواطن الأمور، وفي معنى الخبير: العلم بما خفي في الصدور، وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا»^(١)، ومن دعائه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»، «وَالْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٢٦٥٢١)، عن أم سلمة.



الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطٍّ وَافِرٍ^(١) هكذا يقول النبي ﷺ: «وَأِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًى بِمَا يَصْنَعُ»، هكذا يقول النبي ﷺ.

لا تضع أجنحتها لأصحاب الأبهات ولا أصحاب الأموال الكثيرات، ولا الرتب العليا، وإنما تضع أجنحتها لطلاب العلم، الذين ربما تشقت أقدامهم، وشعثت شعورهم، ودنست ثيابهم، وقلت أموالهم، ولكنهم في ملكوت الله عَزَّوَجَلَّ عظماء العلم قال عنه النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»، علامة إرادة الله عَزَّوَجَلَّ الخيرية للعبد أن يسره للعلم، وأن يوفقه للفقهِ.

العلم يدعيه الجهول، والجهل يتبرأ منه أهله، دليل على رفعة العلم، وأباح الله عَزَّوَجَلَّ صيد الكلاب المعلمة، بخلاف غيرها من الكلاب، مع أنها في شأنها سواء، لكن لما كانت متعلمة فضلت على غيرها بإباحة ما سمي عليه وأرسلت عليه بضوابطه الشرعية، ذكرت في كتاب الأطعمة.

العلماء يحتاج إليهم الناس في دنياهم وآخرهم، حين يبعث الله الناس يقول الكفار ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثُوَ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ [سورة الروم: ٥٥-٥٦].

الرفعة في الدنيا والآخرة بقدر العلم، يقال لصاحب القرآن: «اقْرَأْ وَارْقُ، وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تَرْتَلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنَزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ كُنْتَ تَقْرَأُهَا فِي الدُّنْيَا»، والعالم مقدم في الدنيا والآخرة، قال النبي ﷺ عن معاذ: «يسبق العلماء يوم القيامة برُتوة»، أي برمية حجر؛ لعلمه وفضله، وعمله.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٢١٧١٥).

وفي وصف إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٠]، والأمة: الإمام الذي يدعو الناس إلى الخير، وهكذا قيل في معاذ بن جبل: إن معاذ بن جبل كان أمة، قانتا لله حنيفا، ولم يك من المشركين، ولما اعترض على عبد الله بن مسعود قال: أتدري ما الأمة؟ الإمام.

فعلى المسلمين أن يجتهدوا في تحصيل العلم، والعمل به، والدعوة إليه، فإن هذا هو المقصد الأعظم من إيجاد الخليفة، ومن إرسال الرسل، ومن إنزال الكتب ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]، وإنما كانت العبادة بما علمهم الله **عَزَّوَجَلَّ**، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

ولا يمكن أن يعبد الله **عَزَّوَجَلَّ** على الوجه المشروع وأن تتقى البدع والخرافات والشركيات والضلالات إلا بالعلم، ولذلك كان الصدر الأول أعظم صدور الأمة فضلا، ومنزلة، وهدى، وانقيادا وعملا، والسبب: أنهم علموا مراد الله ومراد رسوله صل الله عليه وسلم.

فرفعة هذه الأمة في علمها، ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]، ولا دعوة إلى الخير وأمر بمعروف ونهي عن منكر إلا بالعلم، وقال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]، وإنما يقع ذلك بالعلم، حتى أن الله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ بَعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: ١٥] بتبليغ العلم، وإقامة الحجة الرسالية.

فإذا أردت أن تكون نافعا لنفسك نافعا لغيرك رفيعا في دنياك رفيعا في أخراك فاسلك سبيل العلم والعلماء، سبيل الصفوة، أهل الحديث، أهل الفقه والنظر والخير والأثر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بغير الجميل فهو على غير السبيل.

ومنهم المجددون للدين، «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»^(١)، والطائفة المنصورة والفرقة الناجية هم أهل العلم، ومن إليهم، والنبى ﷺ يقول: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ».

والكلام عن العلم يطول، إلا أن من أظهر علامات قيام الساعة تعمق الجهل وانتشار الجهل، كما قال النبى ﷺ: «يرفع العلم ويظهر الجهل» «وتقوم الساعة والناس في جاهلية جهلاء، ليس على الأرض من يقول: الله الله»، وذلك أن «الله يبعث ريحاً من اليمَن، ألين من الحرير، لا تلقى أحداً في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، إلا قبضت رُوحَهُ»، وفي رواية: من جهة الشام.

فيذهب العلم ولا يبقى إلا الجهل، فتقوم الساعة. والعالم أجره مضاعف، فأجره على قدر ما يعلم، ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٧٤]، فمن اهتدى بهداهم وأخذ بطريقهم وفتاواهم كان له من ذلك أجر، «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»، وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيَصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»^(٢).

وعلم الرجل ولده المخلد، يموت الأبناء، وتذهب الأموال، وتذهب الدول، ويخلد العلماء، فكم في الأمة من شجعان، وكم في الأمة من أغنياء، وكم في الأمة من كرماء، وفي جميع الأمم، وتجد أن التراجم والأخبار بقيت للعلماء، والكتب التي تقرأ كتب العلماء، والفتاوى التي يستفاد منها فتاوى العلماء.

فالشأن في إصلاح الدنيا والآخرة مع العلم والعمل به، والدعوة إليه.

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: (٤٢٩١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي، حديث رقم: (٢٦٨٥)، عن أبي أمامة الباهلي.

والإمام المسلم اختصر هذا الكتاب اختصاراً لا نريد أن نقول مخلاً؛ لأنه إنما أشار إشارات إلى مسألة العلم، وأما البخاري فأعطاه كثيراً من حقه، وقد صنف مصنفات خاصة في هذا الكتاب العظيم، مثل (جامع بيان العلم وفضله)، لابن عبد البر، و(الفقيه والمتفقه) للخطيب، وكثير من الكتب المصنفة في طريقة التعلم وطريقة التخلق به وطريقة الدعوة إليه.

وكما قيل: (هتف العلم بالعمل إن أجابه وإلا ارتحل)، و(علم بلا عمل كشجرة بلا ثمر) فالمطلوب ممن يتعلم أن يكون من أول المبادرين والعاملين.

اعمل بعلمك تفلح أيها الرجل لا يصلح القول إن لم يصلح العمل
ومما يحفظه الناس:

العلم يبنى بيوتاً لا أساس لها والجهل يهدم بيوت العز والشرف

ومما يتناقلونه أيضاً قول بعضهم: كن عالماً وارض بصف النعال ولا تكن صدراً بغير الكمال.

إذا تصدرت بلا حكمة صيرت ذاك الصدر صف النعال.

فالعلماء لا يُسأل عن أنسابهم إلا من باب المعرفة، ولا يسأل عن أموالهم، ولا يسأل عن ألوانهم، رُفِعوا بالعلم، بخلاف بقية الناس، قال ابن عباس: العلم لا يزيد الشريف إلا شرفاً، ويرفع المملوك على السرير.

قال رحمه الله:

**بَابُ النَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مُتَّبِعِيهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ
الْاِخْتِلَافِ فِي الْقُرْآنِ**

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١ - (٢٦٦٥) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التُّسْتَرِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران: ٧] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَأَحْذَرُوهُمْ»^(١).

(عبد الله بن مسلمة بن قعنب) القعني، الإمام، الذي تفرغ لتدريس طلابه بالليل فأكرمه الله برواية الإمامين الجليلين العلمين: أبي عبد الله البخاري، وأبي الحسين مسلم بن حجاج، وغيرهم عنه، فحفظ علمه، وانتشر حديثه.

(القاسم بن محمد) أحد الفقهاء السبعة في المدينة، جده أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أم عبد الله، حب رسول الله ﷺ، وزوجه في الجنة، كما هي زوجته

في الدنيا، المبرأة مما اتهمت به من المنافقين قديما ويتهمها به الرافضة والباطنية حديثا وقديما.

(﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾) (هُوَ) أي: الله عَزَّ وَجَلَّ (الَّذِي

أَنْزَلَ عَلَيْكَ) يا محمد (الْكِتَابَ) القرآن، (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ): بينات واضحات

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٥٤٧).

جليات، لا إشكال فيهن، يعلمها الجميع، مثل قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّكْعِينَ﴾ [سورة البقرة: ٤٣]، وهكذا في قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: ٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الحشر: ٢٢-٢٤]، كلام بين واضح، جلي، لا إشكال فيه.

وهكذا عند أهل السنة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١]، هو ﴿الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة التحريم: ٣]، ﴿وَعَزَّيْبُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ﴾ [سورة الفتح: ٦]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [سورة المائدة: ٥٤]، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [سورة المائدة: ١١٩]، كلام بين واضح، لا إشكال فيه ولا لبس.

فهذه هي الآيات المحكمات، البينات، الواضحات، الجليات، ومنه كما أشرنا باب الأسماء والصفات، والمبتدعة جعلوا باب الأسماء والصفات من المتشابهة تلبسا وتمويهات وتضليلات.

(وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) التشابه له عدة معان، قد يأتي التشابه بمعنى: تشابه قصصه وأحكامه، وأخباره، وصدقه، كما قال الله **عَزَّجَلَّ** الله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ﴾ [سورة الزمر: ٢٣]، وقد يراد بالتشابه: المشكل، لكن هل جميع ما في القرآن يشكل على جميع الأمة؟ لا، قد يشكل بعض الآيات على بعض الأمة، فيتعين على من أشكلت عليه آية أن يسأل أهل العلم، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف: ٧٦]، ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: ٤٣].

وسبيل أهل السنة في التعامل مع المتشابهات أن ترد إلى المحكمات، وسبيل أهل البدعة في رد المحكمات إلى المتشابهات، فمثلا عندنا قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ

مَا كُنْتُمْ ﴿[سورة الحديد: ٤]﴾، هذه الآية عندنا محكمة، وهي أن الله عَزَّجَلَّ معنا وهو على سماواته على عرشه، بائن من خلقه؛ لأن صفة العلو صفة ذات، لا تنفك على الله ألا وأبدا.

بينما المبتدعة زعموا أن هذا فيه تشابه، وأن المعية تقتضي الحلول والاتحاد والاختلاط، وهذا لا يلزم، فنحن إذا رددنا معنى آيات المعية ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ﴿[سورة الحديد: ٤]﴾ ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿[سورة طه: ٤٦]﴾ إلى غير ذلك من الآيات، مع آيات العلو، دلت على أن الله عَزَّجَلَّ على عرشه.

وهو معنا وهو على عرشه، كما تقول: ما زلت أسير والقمر معي، والقمر في السماء وأنت في الأرض، وأحدهم يسأل: زوجته معك؟ وزوجته في البيت وهو في المسجد يقول: نعم معي، وربما قال أحدهم: أنا أتيت إلى هذه البلدة، ومعني الملك، أي أنه يراقب عمله، وأنه مناصر له، وهكذا تقول: القلم معي.

فكل شيء بحسبه، لفظة (مع) لا تقتضي اتحادا ولا اختلاطا ولا شيء من ذلك كل شيء بحسبه، فالله معنا وهو على عرشه، لا تخفى عليه خافية، يسمع كلامنا، ويرى فعالنا، ويتصرف فينا على الوجه الذي أراد.

فنعود إلى النصيحة: أن الطريق السلفي رد المتشابه إلى المحكم، مع أن القرآن ليس فيه متشابه كلي لا يعلمه أحد، قد يقع التشابه تشابه نسبي، يشبهه على هذا ويعلمه هذا، أما تشابه كلي أبدا؛ لأن الله أنزل القرآن هدى وشفاء ورحمة ونورا وفرقانا وضياء، وأمر بتعقله وتدبره، والتفكر فيه، فلو كان التشابه كلي لكان في القرآن ما هو عمى، لكن لا، كلام الله واضح جلي بين، لا إشكال فيه أبدا.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: انحراف وميل، عن طريق الحق والصواب، وعندهم شبه، وخرافات، وضلالات.

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾ المشكل؛ ليضربوا بعضه ببعض، ينفي عذاب القبر بأدلة من القرآن، ينفي الصفات بأدلة من القرآن، ينفي المعراج بأدلة من القرآن، يأتون بأدلة متشابهة، وإلا هذه الأمور قد أجمع عليها السلف، وأدلتها في القرآن والسنة يعرف ذلك من بصره الله.

لأن عندنا قرائن متصلة، وقرائن منفصلة، إذا أشكلت علينا الآية، ننظر في سياقها، في سابقها ولاحقها، وننظر في الأدلة الأخرى، لكن أصحاب القلوب المريضة ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران: ٧].

انظروا إلى المعتزلة ومن إليهم في إنكار ما في القبر من النعيم والعذاب يستدلون بقول الله عز وجل: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا هَذَا﴾ [سورة يس: ٥٢]، كم في القرآن من آية تدل على ما في القبر من النعيم والعذاب، ذكرت في كتابي (تنبيه أولى الأبصار لما في القبر من النعيم والعذاب) أكثر من أربعة عشر آية من القرآن، وأكثر من مائة حديث، ثم يأتون لرد هذه الأدلة جميعها بهذه الآية ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا هَذَا﴾ [سورة يس: ٥٢]، مع إن أهل العلم يقولون: المراد بها: رقدة قبل البعث، أو المراد بها رقدة بالنسبة لما بعدها، وانتهى الإشكال.

لكن هؤلاء يتبعون ما تشابه منه، ويظنون أنهم حصلوا علما كثيرا غزيرا، لما تناظر الكنانى مع بشر المريسي قال الكنانى متحديا بشر المريسي: نتناظر لكن بالتنزيل لا بالتأويل؛ حتى يظن أنه سيخصمه، فقال له: جعل بمعنى: خلق، ﴿حَمَّ ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٣﴾ [سورة الزخرف: ١-٣] أي: خلقناه، قال له: تلتزم بهذا؟ قال: أنا ألتزم أن كل (جعل) في القرآن بمعنى خلق، قال: أتشهد عليه يا أمير المؤمنين؟

قال: أشهد، فالتفت الكنانى إلى بشر المريسي وقال له: ما تقول في قول الله: ﴿وَجَعَلُوا أَلَمَاتِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنشَاءً﴾ [سورة الزخرف: ١٩] ما تقول في قول الله

عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٤]؟ لا تخلقوا الله؟ في أحد يقول: لا تخلقوا الله؟ في أحد يقول: بأن المشركين خلقوا الملائكة، فخصم بشر المريسي.

فيظنون أنهم أحاطوا بالشيء، وهم جهال، فالمحكّمات بينات واضحات للجميع، والمتشابهات تشكل على البعض يسأل من هو أعلم منه، لكنهم سلكوا هذا المسلك ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾، ابتغاء الشرك أو البدعة أو الضلالة.

﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾: تحريفه؛ لأن التأويل يأتي بمعنى التفسير، ويأتي بمعنى الحقيقة والمال، ويأتي بمعنى العمل، ويأتي بمعنى التحريف.

والتأويل الذي يشبه أهل العلم هو: صرف اللفظ من راجحه إلى مرجوحه بقرينة هذا تأويل صحيح، وأما كما يفعل أهل البدع صرف اللفظ من راجحه إلى غيره بدون قرينة مثل ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [سورة المائدة: ٦٤] قالوا: نعمته ﴿وَعُذِّبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الفتح: ٦]: انتقم منهم، هذا صرف بدون أدلة، هذا ضلالة، فهم يسلكون هذا المسلك ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [سورة آل عمران: ٧].

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ المراد بالتأويل هنا: الحقيقة، لا يعلم حقيقة الأسماء والصفات أو الغيب إلا الله، ليس معناه: وما يعلم تفسيره إلا الله، فالقرآن يعلم تفسيره الله، وقد علم الناس، ممن يتطلب ذلك، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ١١٣].

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾ فلنا حالان: إما أن نقف على لفظ الجلالة، ويكون معنى الآية: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران: ٧] أي لا يعلم حقيقة اليوم الآخر، أو لا يعلم كيفية الصفات إلا الله.

وإما أن نقف على ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ويكون: وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يعلمون تأويله وتفسيره، والوقف على لفظ الجلالة هو المشهور،

ويجوز الوقف على العلم، ويجوز أيضا الابتداء بالراسخين، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ [سورة آل عمران: ٧] بمحكمه ومتشابهه، ﴿كُلُّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [سورة آل عمران: ٧]، وما كان من عند ربنا لا اختلاف فيه ولا تناقض، كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢].

﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْأَلْبَابِ﴾ (٧): أصحاب العقول السليمة، والقطرة المستقيمة. **(فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَأَحَذَرُوهُمْ)** وهذا واقع في أهل البدع والضلال، في كل زمن وحين، فتجد أن ضلال الجهمية، وضلال المعتزلة، وضلال الأشاعرة، وضلال الرافضة، وضلال الباطنية، وكل من خالف سبيل الهدى، يحتج بمتشابه القرآن على رد محكمه، وعلى رد السنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، والله المستعان.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٢ - (٢٦٦٦) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْجَحْدَرِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبَاحٍ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو قَالَ: هَجَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْرِفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ».

(هَجَرْتُ) أي بكرت بالحضور، وهذا فيه الحرص على ملازمة الدرس، والنبي ﷺ يقول: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»، فعلى الطالب أن يحضر الدرس قبل البدء فيه؛ لأنه إذا دخل والدرس في حاله ربما فاتته شيء من العلم، أو ربما لم يرتبط معه الكلام.

(فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ) اختلفا في معناها، أو اختلفا في قراءتها، وفي (سنن ابن ماجه): أنهما اختلفا في القدر.

(فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْرِفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ) وفي (سنن ابن ماجه): كأنما فقه في وجهه حب الرمان، أي من شدة الغضب، وفيه أن ما في قلب الإنسان يظهر على

جارحته، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿أَمَرَ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْعَدَهُمْ﴾ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ [سورة غافر: ١-٣٠]، قال عثمان: ما أسر رجل سريرة إلا أبداها الله على فلتأت لسانه وصفحات وجهه.

وفيه الغضب في العلم، والغضب لأجل الله **عَزَّوَجَلَّ**، مع أن النبي ﷺ نهى عن الغضب، لكن ذلك الغضب الذي يتجاوز فيه الحد، ويكون في شأن الدنيا.

(إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) أي اليهود والنصارى **(بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ)** أي المنزل من الله **عَزَّوَجَلَّ**، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ [سورة البينة: ٤].

فالواجب على المسلمين اتباع الكتاب والسنة، وعدم الاختلاف فيهما، قال النبي ﷺ: «اتُّرْكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاعْمَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».

وفي هذا الحديث فضيلة التوافق على الخير والتعاون عليه، وسوء الاختلاف؛ لما يجر إليه من الهلاك، لا سيما اختلاف التضاد، الذي يقع بين أهل السنة وأهل البدعة، وأما خلاف التنوع فكل مأجور، وخلاف الأفهام فالمصيب له أجران والمخطئ له أجر، إذ أن الخلاف ثلاثة أنواع:

خلاف تضاد، وهو بين أهل السنة وأهل البدعة، ويضلل المخالف فيه؛ لأنه خالف الأدلة الثابتة، وطريقة السلف الكرام والأئمة الأعلام، كخلاف أهل السنة مع الرافضة، والجهمية، والمعتزلة، ومن إليهم.

وخلاف تنوع، كاختلافهم في أذكار الصلاة، أو بعض الأفعال التي جاءت على حالين أو نوعين عن النبي ﷺ.

واختلاف الأفهام: اختلافهم في فهم الدليل، فمن أصاب الحق فله أجران: أجر الإصابة، وأجر الاجتهاد، ومن أخطأ الحق فله أجر الاجتهاد، ويعفى عنه في عدم الإصابة؛ لقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ دَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]. وفيه أن هذه الأمة تتابع سلفها، وهم اليهود والنصارى، إلا ما رحم ربي، ولذلك قال النبي ﷺ: «لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلَ أَحَدُهُمْ جُحْرَ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ إِذَا؟».

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٣ - (٢٦٦٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا أَبُو قَدَامَةَ الْحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفْتُمْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا**»^(١).

٤ - (٢٦٦٧) حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ جُنْدُبِ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفْتُمْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا**».

٤ - (٢٦٦٧) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ صَخْرٍ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا حَبَّانٌ، حَدَّثَنَا أَبَانٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ قَالَ: قَالَ لَنَا جُنْدُبٌ وَنَحْنُ غُلَمَانُ بِالْكُوفَةِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ بِمِثْلِ حَدِيثِهِمَا**».

(يحيى بن يحيى) هو التميمي النيسابوري.

(الحارث بن عبيد) صدوق يخطئ.

(أبي عمران) عبد الملك بن حبيب الجوني، ثقة.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٠٦٠).



(افْرُؤُوا الْقُرْآنَ مَا اِتْلَفْتُمْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ) يعني اقرأوا القرآن في حال اتفاقكم، في حال ائتلافكم، في حال تحابكم، أما إذا كانت قراءتكم ستفضي إلى التهاجر والتقاطع والتدابير ونحو ذلك فقوموا، انصرفوا إلى طاعة الله **عَزَّجَلَّ** في غير هذا الشأن. في هذا دليل أنه لا يجوز ضرب القرآن بالقرآن، وهنا علم يسمى علم مختلف الأدلة، يُجمع بين الأدلة حتى لا يكون بينها تناقض أو تعارض، وقد قال ابن راهويه أو غيره: اتتوني بدليلين ظاهرهما التعارض أجمع بينهما. فلا يمكن أن يخالف دليل ثابت دليلاً ثابتاً، إلا أن يكون أحدهما منسوخاً، وإلا فالجمع ممكن.

فلا بد لطالب العلم إذا وجد دليلين ظاهرهما التعارض، أن يسلك هذا المسلك:

الأول: العمل بهما جميعاً.

الثاني: الجمع بينهما، فالعمل بالدليلين أولى من إهدار أحدهما.

الثالث: النظر إلى التاريخ، فالمتقدم المنسوخ والمتأخر الناسخ.

الرابع: التوقف، ويسأل أهل العلم، **﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾** [سورة يوسف:

[٧٦].

وفيه أن القرآن من أسباب ائتلاف القلوب، وأن البدعة من أسباب اختلاف القلوب، **(فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ)** فيه خلافا يفضي إلى التنافر يفضي إلى التقاطع والتهاجر، ويفضي إلى البدعة **(فَقُومُوا)**، أما إذا كان ما زال الشأن أن تأتي بحجتك، وهذا يأتي بحجته، حتى تتوصلوا إلى الراجح في المسألة، فالأمر على المذاكرة.

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ فِي الْأَلَدِ الْخَصِمِ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٥ - (٢٦٦٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ»^(١).

(ابن جريج) وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج.

فيه إثبات صفة البغض لله عزَّ وجلَّ، وهي من الصفات الفعلية التي تليق بجلاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

(الرِّجَالِ) خرج مخرج الغالب، وإلا يدخل فيه النساء، فمن توفرت فيه هذه الصفة من الرجال أو النساء فمبغوض عند الله عزَّ وجلَّ.

(الْأَلَدُّ الْخَصِمُ): شديد الخصومة، الذي يفجر فيها، كما قال النبي ﷺ في صفة المنافقين: «إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ»، وإلا فإن الاختلاف قد يقع بين الرجل وبين زوجته، وبين الرجل وبين ابنه، وبين الرجل وبين أبيه وجاره، لكن لا يكون متجاوزا في الخصومة.

قد تكون المسألة لا تستحق أكثر من رفع صوت وإذا به يهجر السنة والستين، وربما جدع وسب وشتم، والنبي ﷺ يقول: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً، فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ»^(٢).

وقد سمي أهل البدع بأهل الخصومات؛ لشدة خصامهم لأهل الحق، ولنفرتهم عنهم، بل إن الساعة لا تقوم إلا على أهل الخصومات، وهم يخاصمون، يتخاصمون كثيرا جدلا، كثيرا شكوك، ما عندهم رزاة أهل الحديث، وكان المشركون أهل خصومات: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٥٨]، تنزل الآية من القرآن فبدلا من أخذها والعمل بها وإذا بهم يخاصمون بالباطل.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٤٥٧).

(٢) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١٧٩٣٥)، عن أَبِي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال رحمه الله:

بَابُ اتِّبَاعِ سَنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى

يقال: سُنَن، وسَنَن، وهي الطرق.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٦ - (٢٦٦٩) حَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَا تَبْعُثْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»^(١).

٦ - (٢٦٦٩) وَحَدَّثَنَا عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَسَّانَ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

٦ - (٢٦٦٩) قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَسَّانَ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ نَحْوَهُ.

(سويد بن سعيد) قد تكلم فيه، لكن اعتذر مسلم أنه إذا ترك الرواية عن سويد بن سعيد من أين له بصحيفة حفص بن ميسرة؟ فكأنه اعتمد على الصحيفة، وإنما روى عن سويد؛ من أجل اتصال السند، كما تروى كتب عبد الرزاق عن إسحاق الدبري مع ضعفه من أجل اتصال السند.

(لَتَتَّبِعَنَّ) فيه تقدير: والله لتتبعن، قسم محذوف، وهذا حلف بغير استحلاف، ودليل على شدة متابعة الأمة إلا ما رحم الله لليهود والنصارى.

(سَنَن) والسنن: الطرق، الطريق في الخير والشر يقال له: سنة، كما قال الشاعر:

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٤٥٦).

ولكل قوم سنة، وإمامها

لكن عند الإطلاق السنة هي: طريق النبي ﷺ.

(الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) اليهود والنصارى، كما سيأتي مصرحاً به من قول النبي ﷺ.

(شَبْرًا بِشَبْرٍ) وهذا لشدة الائتساء بهم، حتى جاء في بعضها: «حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عِلَاقَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ»^(١)، وفعلاً تأسوا باليهود والنصارى في ألْبستهم، في كلامهم، في أكلهم وشربهم، في دخولهم وخروجهم، في جميع شأنهم من الشرك فما دونه، إلا ما رحم ربي، وقليل ما هم.

(حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ) الضب: دويبة دون الورل وفوق سام أبرص توجد في الصحراء، وبيتها كثير الأنفاق، كثير التشعبات، وهذا دليل على شدة المتابعة، والموافقة لهم، ليس في الكفر، بل في غيره أيضاً.

فأنت مأمور بمخالفة أهل الكتاب في الشرك والكفر من باب أولى، وفي غيره للأمر بذلك.

(فَمَنْ؟) وفي رواية: «فمن القوم إلا هم؟» دليل على العمل بدلالة الألفاظ، فهنا العهد لليهود والنصارى، العهد الذكري، والعهد الذهني؛ لأنهم كانوا قليل التآسي بالمشرّكين الكافرين، قليل التآسي بالمجوس، وإنما يتأثرون باليهود والنصارى؛ لأنهم أهل كتاب.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: هَلَكِ الْمُتَنَطِّعُونَ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١) أخرجه الترمذي، حديث رقم: (٢٦٤١)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٧ - (٢٦٧٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَتِيقٍ، عَنْ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ، عَنِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»، قَالَهَا ثَلَاثًا.

(هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ) أي: المتعمقون، الغالون، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

وهذا إما على الخبر، والنبى ﷺ يخبر بهلاك المتنتهين، وخبره صدق، وقوله ثابت واقع، لا يتخلف، وإما على سبيل الدعاء، ودعاء النبى ﷺ أغلبه يقع، ويستجاب. النبى ﷺ يقول هنا: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ) وهذا فيه ذم الغلو، وأصل كثير من البدع الغلو، فالرافضة غلوا في حب علي بن أبي طالب، وغلوا في بغض الصحابة.

والمرجئة غلوا في باب الرجاء، وجفوا في باب الخوف.
والخوارج غلوا في باب الخوف، وجفوا في باب الرجاء.
والمعتلة غلوا في باب التنزيه، وجفوا في باب الإثبات.
والممثلة غلوا في باب الإثبات، وجفوا في باب التنزيه.
والجبرية غلوا في باب إثبات القدر، وجفوا في إثبات أفعال العباد.
والقدرية النفاة غلوا في إثبات أفعال العباد، وجفوا في إثبات ما هو من شأن الله عز وجل.

إذا البدع دائرة بين الغلو في الجانبين، إما غلو إلى جهة الإفراط، أو غلو إلى جهة التفريط، ولهذا قال الله عز وجل في شأن عيسى بن مريم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٧٧]، وكان غلو اليهود: أن زعموا أن عيسى ولد زنية، وهو وأمه

برآء من هذه الأقوال الزائفة، والنصارى جعلوه إلها أو ابنا أو شريكا لله **عَزَّوَجَلَّ**، تعالى الله عن قول المبطلين.

فإذا كما قال بعض أهل العلم: ما من عمل إسلامي إلا وللشيطان فيه نزغتان: نزغة إلى الغلو، ونزغة إلى الجفاء، ولذلك لا تظهر بدعة إلا وتظهر في مقابلها بدعة أخرى، يعني بدعة إلى الغلو وبدعة إلى الجفاء.

وإذا وقعت فتنة في الدعوة السلفية في أي زمن أو أي عصر أو مصر ستجد أنها تخرج على ثلاث أنحاء: أهل الحق والإنصاف، وأهل غلو، وأهل جفاء، ولا بد إلا أن يشاء الله، نسأل الله السلامة والعافية. والحمد لله رب العالمين.

قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

بَابُ رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ، وَظُهُورِ الْجَهْلِ، وَالْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

٨ - (٢٦٧) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا أَبُو التَّيَّاحِ حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَنْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزَّنا»^(١).

أشراط الساعة كبرى صغرى، وهذا يعد من الأشراط الصغرى.

(يُرْفَعَ الْعِلْمُ) علم الكتاب والسنة، حتى أنه في آخر الزمان يرفع العلم حتى من الأوراق والكتب، كما في حديث حذيفة: «يُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فَيُرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا يُصْبِحُ فِي الْأَرْضِ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ»^(٢)، ومما يدل على ذلك أن الساعة تقوم وليس في الأرض من يقول: الله الله، وقبل ذلك لم يبق من المؤمنين إلا من يقول: لا إله إلا الله،

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٨١).

(٢) أخرجه الحاكم في (المستدرک)، حديث رقم: (٨٥٤٤)، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

لا يعرفون صلاة ولا صياما، ولا حجا، ولو كانت عندهم ثمة كتب لعرفوها ولكن لا توجد الكتب.

قد ضعف باب الطباعة وتسويق الكتب الورقية منذ ظهرت الكتب الالكترونية فعلى المسلمين أن يعتنوا بالكتاب، شراء واقتناء، وقراءة وفهما وعملا، أي كتب الدين، فإن رفع العلم مؤذن بقيام الساعة.

والعلم قد يرفع على مراحل، يرفع العمل به، والخشوع فيه، ثم يرفع العلم جملة، فإن النبي ﷺ قال: «هَذَا أَوَانُ الْعِلْمِ أَنْ يُرْفَعَ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ زِيَادُ بْنُ لَيْدٍ: أَيْرَفَعُ الْعِلْمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَفِينَا كِتَابُ اللَّهِ، وَقَدْ عَلَّمَنَا أَنْبَاءَنَا وَنِسَاءَنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كُنْتُ لَاظُنُّكَ مِنْ أَفْقِهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ»، ثُمَّ ذَكَرَ ضَلَالَةَ أَهْلِ الْكِتَابِينَ، وَعِنْدَهُمَا مَا عِنْدَهُمَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

وفيه: وَهَلْ تَدْرِي أَيُّ الْعِلْمِ أَوَّلُ أَنْ يُرْفَعَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي. قَالَ: الْخُشُوعُ، حَتَّى لَا تَكَادُ تَرَى خَاشِعًا^(١).

(وَيُنْبِتُ الْجَهْلُ) سواء الجهل بعدم العلم، أو الجهل الذي هو الطيش، وهذا غالبا ينتج عن عدم العلم والعمل به، فينتشر الجهل بين الناس، والجهالات والضلال، والضلالات.

(وَيُشْرَبُ الْخَمْرُ) الخمر مشروب في كل زمان، لكن يفسو شربه حتى يصل إلى ما لا يصل إليه من البلدان، ويجاهر به ما لم يكن يجاهر به من قبل، وإذا تأملت الواقع الآن تجدون هذه الأشياء موجودة، فالخمر صارت له مصانع، ومحلات، وصار لهم موردون يوردونه، وصار الكثير ممن يتعاطاه يتبجح بذلك، ويظهر ذلك، ونسأل الله السلامة والعافية.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٢٣٩٩٠)، عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَيُظْهَرُ الزَّنا) الزنا قد يكون موجودا في كل زمان، لكن يظهر، ومن ظهوره:

استخراج التصاريح له.

ومن ظهوره: ظهور المومسات العاهرات لا يجدن من ينكر عليهن، والمنكر عليهن

قد يؤخذ للمساءلة.

ومن ظهوره: قلة الغيرة بين الناس، وكثرة الاختلاط، وكثرة الشرور، وتقليد الكفار.

فهذه أربع علامات قد جاءت في غير ما حديث، وهناك علامات أخرى.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩ - (٢٦٧١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعَهُ مِنْهُ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيُظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَفْشُو الزَّنا، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَذْهَبَ الرَّجَالُ، وَتَبْقَى النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قِيَمٌ وَاحِدٌ».

٩ - (٢٦٧١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدَةُ وَابْنُ أُسَامَةَ كُلُّهُمَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عُرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشْرٍ وَعَبْدَةُ لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، فَذَكَرَ بِمِثْلِهِ.

(أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعَهُ مِنْهُ)

علو الإسناد، والافتخار بما عندك على غير تطاول على الناس.

(إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ) (من) للتبعض.

(وَيَذْهَبَ الرَّجَالُ) بالقتل والقتال، يقتل الرجال ويبقى النساء.

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُحْصَنَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ

فذهاب الرجال بكثرة القتل الذي يقع عليهم، حتى لربما قتل من البيت الواحد مائة نفس، فنسأل الله السلامة والعافية.

انظروا إلى فلسطين في هذه الفترة الوجيزة، سنة وأربعة أشهر قد قتل قريب من خمسة وخمسين ألفاً من المسلمين المستضعفين، وهكذا في غير ما موطن من العالم، تقتل الرجال وتبقى النساء بين العوانس وبين الأرامل، وبقاء النساء بدون رعاية مفسد لهن ومفسد لغيرهن، ومع ذلك المحتسب للإنفاق عليهن له أجر عظيم، «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ كَالْقَائِمِ لَيْلَهُ وَالصَّائِمِ نَهَارَهُ، وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ الْمُصْلِحُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ»، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِيهِ الْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةَ.

(حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قِيَمٌ وَاحِدٌ) ليس معناه زوج واحد كما يفهم البعض وإنما يكون في الأسرة واحد يقوم عليها، ربما يكون محرماً للجميع، وربما يكون محرماً لبعضهن والبقية من عاقلته وعصبته يقوم عليهن من باب الإحسان والمعروف. قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠ - (٢٦٧٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَأَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي مُوسَى فَقَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَنْزَلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ، وَالْهَرْجُ: الْقَتْلُ»^(١).

١٠ - (٢٦٧٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ بْنِ أَبِي النَّضْرِ، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (ح) وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَاءَ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٠٦٢).

الْجُعْفِيُّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ شَقِيقٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي مُوسَى وَهُمَا يَتَحَدَّثَانِ فَقَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِمِثْلِ حَدِيثٍ وَكِيعٍ وَابْنِ نُمَيْرٍ.

١٠ - (٢٦٧٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَابْنُ نُمَيْرٍ وَإِسْحَاقُ الْحَنْظَلِيُّ جَمِيعًا عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

١٠ - (٢٦٧٢) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: إِنِّي لَجَالِسٌ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي مُوسَى وَهُمَا يَتَحَدَّثَانِ فَقَالَ أَبُو مُوسَى قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِمِثْلِهِ.

(عبد الله) بن مسعود، (وأبي موسى) الأشعري، عبد الله بن قيس.

وهذا موضح للحديث الذي سبق، يقتتلون على كنز في الفرات، ويقتتلون في الملاحم، ويذهبون في الحروب، ويفشوا القتل فشوا حتى لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل.

وهذا هو الواقع الآن في كثير من البلدان، يسافر المسافر وإذا به يُقتل في الطريق لا يدري ما السبب الذي استدعى قتله، ويقتل القاتل بدون سبب يستدعي ذلك، ربما يغضب غلبة مثلها لا تستدعي القتل ويقتل، أو ربما يريد أن يأخذ شيئاً ومثله لا يستحق القتل فيقتل، وهذا لضعف الإيمان، وتسلب الجهل، وضعف الحكومات القائمة بأمر الله عز وجل، وكثرة الفساق والعصاة، والمتمردين على الدين.

والزمن الذي يقع في مثل هذه الأمور يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الخمر والزنا ويكثر القتل زمن غربة لمن أراد أن يقيم دينه، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

وأي مجتمع يكثر فيه القتل مجتمع سوء، يتجرأ أصحابه على كثير من الشرور ولذلك قال ذلك الواعظ للرجل الذي قتل مائة نفس: «انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أَنَا سَاءَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ»، أرض

سوء، تقسوا القلوب، تقطع أواصر الرحم، تنتهك حرمة النفس المعصومة، يحصل الشر العريض، ويحصل الفقر بعد ذلك، ربما حصل الاختلاط حين يقل الرجال وتكثر النساء، أمور كثيرة تحصل بسبب فشو القتل.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١١ - (١٥٧) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، حَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ، وَيُلْقَى الشَّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ»، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ» ^(١).

١١ - (١٥٧) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزُّهْرِيُّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ» ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ.

١٢ - (١٥٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيَنْقُصُ الْعِلْمُ» ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِهِمَا.

١٢ - (١٥٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَعَمْرُو النَّاقِدُ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ حَنْظَلَةَ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنْبِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ح)، وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي يُونُسَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ كُلُّهُمْ قَالَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَذْكُرُوا: «وَيُلْقَى الشَّحُّ».

(يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ) نبدأ بالسبت ولا يظهر لنا إلا الجمعة، ما نعرف الجمعة إلا بقراءة السجدة والإنسان، وإلا الوقت يتقارب، «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَاخْتِرَاقِ السَّعْفَةِ»^(١) من النخل.

(وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ) بقبض العلماء، كما في حديث عبد الله بن عمرو: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتَرَا عَا يَنْتَرِغُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُهُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا»، وفي رواية للبخاري: «فأفتوا برأيهم».

(وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ)؛ لأنه إذا قبض العلم ظهرت الفتن، الزنا ينتشر بقبض العلم والأعاني تنتشر بقبض العلم، والسرقة تنتشر بقبض العلم، فالمجتمع المتعلم وإن وقعت فيه بعض الشرور تقع مع وجود الخير، وأما المجتمع الجاهل بدين الله **عَزَّجَلَّ** تنتشر فيه الشرور، وتظهر حتى يبقى صاحب العلم وصاحب الخير مغمورا فيهم لا أثر له ولا شأن له.

(وَيُتْلَقَى الشَّحُّ): البخل، يكثر بين الناس، حتى تجد الناس يخلون بما أوجب الله عليهم فضلا أن يتصدق بالصدقات المستحبات، فيخلون بأسباب رفعتهم وبأسباب سلامتهم، وبأسباب التآلف بينهم.

يخلون مع كثرة الأموال، بينما الزمن الأول كانوا كرماء مع قلة المال، والشح إذا انتشر انتشرت بعده البلاوي الكثيرة، سفك الدماء، وانتهاك الأعراض، وقطع الأرحام، كما قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالشَّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحْلَوْا مَحَارِمَهُمْ»، وقد قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَنْ يُؤَفَّكَ شَحٌّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر: ٩].

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١٠٩٤٣)، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

فالشح: شدة البخل، وربما يكون البخل بالخير، البخل بالعلم، والبخل بالبجاه
يبخل حتى بالشفاعة، والبخل بفعل الخير، ربما ما يجد الناس من يدفنهم إن ماتوا ولا
من يصلي عليهم، ولا من يعينهم.

(وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: الْقَتْلُ) فيه أن الصحابة رَضُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ كانوا
يسألون عما لا يعلمون، وهذا رد على المفوضة الذين يزعمون أن الله عز وجل خاطبنا في
القرآن والنبى ﷺ في السنة بالأسماء والصفات ولا تعلم معناها، والصحابة
رَضُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ لم يكونوا يسألون عن ذلك، فلو كان ثمة ما أشكل عليهم لسألوا عنه كما
سألوا عن هذا الأمر الذي سمعتم ورايتم.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٣ - (٢٦٧٣) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ
سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ
لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى
إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا،
وَأَضَلُّوا»^(١).

١٣ - (٢٦٧٣) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا
يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا عَبَادُ بْنُ عَبَّادٍ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ
وَرُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ وَأَبُو
أُسَامَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ وَعَبْدَةُ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، (ح) وَحَدَّثَنِي
مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا
عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ بْنُ
الْحَجَّاجِ كُلُّهُمْ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (١٠٠).

بِمِثْلِ حَدِيثِ جَرِيرٍ وَزَادَ فِي حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ: ثُمَّ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ فَسَأَلْتُهُ فَرَدَّ عَلَيْنَا الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ.

١٣ - (٢٦٧٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُمَرَانَ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنِي أَبِي جَعْفَرٌ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ.

(عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) هو أبو محمد القرشي العابد.

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتَرَا عَا يَنْتَرِ عُهُ مِنَ النَّاسِ) يعني جعل الله عزَّجَلَّ أسباباً شرعية وقدرية لرفع العلم، ليس معنى ذلك: أن يكون الرجل عالماً فيصبح جاهلاً، لا، وإنما يموت العالم، فيبحث الناس عمن يقوم بشأنهم، فلا يجدون إلا الجهال، فيسودونهم، وإذا سود الجهال ساد الجهل، فالناس على دين ملوكهم.

(وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ): بموت العلماء، وإذا مات العالم انطمس نجم لا يعود، ولذلك قالوا: موت العالم نجم طمس، وثلمه لا تسد، وكان الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ يقول قولته المشهورة: إن مات المدير جاءوا بمدير جديد، وإن مات القائد جاؤوا بقائد جديد، وإن مات الرئيس جاءوا برئيس جديد، لكن إذا مات العالم من أين يأتون بعالم جديد؟ ما أصعب المجيء بالعالم! أصعب ما يكون.

ولو تأملتم في فترتنا المتأخرة حين قضى الله عزَّجَلَّ بقبض الإمام ابن باز والإمام العثيمين، والإمام الألباني، والإمام الوادعي، ثم من تلاهم من العلماء، وإن وُجد بعض خير لكن قل أن تجد مثل أولئك، الذين كانوا شيوخ إسلام، وأئمة أنام جدد الله بهم الدين، وأعلى الله بهم منار الإسلام، فالعالم إذا قبض قبض معه العلم الكثير.

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسَدَتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ نَقَرْدِي بِالسُّوِّدِ
مَنْ كَانَ يَبْكِي وَرَعَا عَالِمًا فَلَيْبِكَ مَا عَمَّرَ سُفْيَانًا
رَاحُوا بِسُفْيَانٍ عَلَى نَعْشِهِ وَالْعِلْمُ يَكْشُو مِنْهُ أَكْفَانًا



خلاص، يذهب العالم مع علمه، قد يكون في الساحة من هو أحفظ من هذا العالم، لكن هذا العالم أنفع للإسلام والمسلمين من ألف من هذا الحافظ، قد مارسوا الحياة العلمية والعملية، وزادت خشيتهم لرب البرية، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]، وتميزوا بالهدى والتقوى، ومثلهم يوفق للخير.

(حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا) وفي رواية: **«لم يبق عالم»**.
(اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُحَاهَا لَا)؛ لأن الناس يعلمون من أنفسهم أنهم لا يصلحون إلا برئيس، وبقائد يقودهم ويسوسهم، كما قيل:

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةً وَلَا سَرَاةً إِذَا جُحَّاهُمُ سَادُوا
(فَسُئِلُوا) الناس يحتاجون إلى فتاوى، في الطلاق، في العتاق، في التوحيد، في العقيدة، وغير ذلك من الأبواب.

(فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ) بغير دليل من الكتاب والسنة.
(فَضَلُّوا) في أنفسهم، **(وَأَضَلُّوا)** غيرهم، نسأل الله السلامة والعافية، فما تشاهدون وما تلاحظون من الفساد العريض في الأمة سببه قلة العلماء وقبض العلماء وسيستمر قبض العلماء حتى لم يبق عالم يقود الناس ويسوس الناس.

ولا تفرح بالعالم إلا إذا كان عالم سنة، يعلمك القرآن، ويعلمك الحديث ويعلمك منهج السلف، أما علماء الكلام فليسوا بمعدودين من جملة العلماء، وهكذا علماء الرأي؛ لأن التقليد صاحبه ليس بعالم، في قول جماهير أهل العلم، أو إجماع أهل العلم.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٤ - (٢٦٧٣) حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّحَيْبِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي أَبُو شَرِيحٍ أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ حَدَّثَهُ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ يَا ابْنَ أُخْتِي بَلِّغْنِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو مَارٌّ بِنَا إِلَى الْحَجِّ فَالْقَهُ فَسَأَلْتُهُ، فَإِنَّهُ قَدْ حَمَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِلْمًا كَثِيرًا، قَالَ: فَلَقَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ أَشْيَاءَ يَذْكُرُهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: عُرْوَةُ فَكَانَ فِيمَا ذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ فَيَرْفَعُ الْعِلْمَ مَعَهُمْ، وَيُبْقِي فِي النَّاسِ رُؤُوسًا جُهَالًا لَا يُفْتُونُهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَيُضِلُّونَ، وَيُضِلُّونَ».

قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا حَدَّثْتُ عَائِشَةَ بِذَلِكَ أَعْظَمَتْ ذَلِكَ، وَأَنْكَرَتْهُ قَالَتْ: أَحَدَّثَكَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ عُرْوَةُ: حَتَّى إِذَا كَانَ قَابِلٌ قَالَتْ لَهُ إِنَّ ابْنَ عَمْرٍو قَدْ قَدِمَ فَالْقَهُ ثُمَّ فَاتَحَهُ حَتَّى تَسْأَلَهُ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي ذَكَرَهُ لَكَ فِي الْعِلْمِ قَالَ: فَلَقَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ فَذَكَرَهُ لِي نَحْوَمَا حَدَّثَنِي بِهِ فِي مَرَّتِهِ الْأُولَى. قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا أَخْبَرْتُهَا بِذَلِكَ قَالَتْ: مَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ صَدَقَ أَرَاهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ شَيْئًا وَلَمْ يَنْقُصْ.

(بَلِّغْنِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو مَارٌّ بِنَا إِلَى الْحَجِّ فَالْقَهُ فَسَأَلْتُهُ) دلالة الطالب على طلب

العلم، مع أنه كان عند خالته وهي من أعلم النساء، بل أعلم نساء الأمة، ومع ذلك دلتها على غيرها.

(فَإِنَّهُ قَدْ حَمَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِلْمًا كَثِيرًا) فيه فضيلة عبد الله بن عمرو بن العاص في

العلم والعمل، خلافا لما يزعمه الرافضة في طعنهم فيه.

حتى أن أبا هريرة يقول: لا أعلم أحدا أكثر حديثا مني، إلا ما كان من عبد الله بن

عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب، إنما شغل بمرافقة أبيه فيما كان فيه من الجهاد، ثم ما

كان فيه من الفتنة التي حصلت بين بني أمية وبين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شغل عن

التحديث، وقيل: زهيد الناس في حديثه؛ لأنه أخذ زمالتين من زوامل أهل الكتاب مليئة بعلم أهل الكتاب، فزهد الناس في ذلك، وقيل غير ذلك.

(يُفْتُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَيُضِلُّونَ، وَيُضِلُّونَ) وفي هذا تحريم الفتوى بغير علم، قال الله **عَزَّجَلْ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** [سورة الأعراف: ٣٣].

فما عُبِدَت اللات والعزى إلا بالقول على الله بغير علم، وما عبد عيسى إلا بالقول على الله بغير علم، وما وقعت البدع والمحدثات وسفكت الدماء وانتهكت الأعراض إلا بالقول على الله **عَزَّجَلْ** بغير علم.

(قَالَتْ: مَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ صَدَقَ أَرَاهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ شَيْئًا وَلَمْ يَنْقُصْ) سبحانه الله! تهتم لهذا الحديث سنة كاملة، وهذا دليل على أهمية العلم عندهم، نحن الآن تمر بنا المسألة قد يجيب فيها الإنسان، أو قد لا يجيب وتركها، وأهملها، أو سمع شيئاً ولم يلتفت إليه، وهي بقية فترة تسأل عن هذا الحديث، تريد الثبوت فيه.

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

بَابُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً، وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

١٥ - (١٠١٧) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ وَأَبِي الضُّحَى، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هَلَالٍ الْعَبْسِيِّ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمُ الصُّوْفُ، فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبْطُؤُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرَقٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ الشُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ سَنَّ

فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةٌ حَسَنَةٌ، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

١٥ - (١٠١٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ جَمِيعًا عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَثَّ عَلَى الصَّدَقَةِ، بِمَعْنَى حَدِيثِ جَرِيرٍ.

١٥ - (١٠١٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هِلَالٍ الْعَبْسِيُّ قَالَ: قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَسُنُّ عَبْدٌ سُنَّةَ صَالِحَةٍ يُعْمَلُ بِهَا بَعْدَهُ» ثُمَّ ذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ.

١٥ - (١٠١٧) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ وَأَبُو كَامِلٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأُمَوِيُّ قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي قَالُوا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

(عَلَيْهِمُ الصُّوْفُ)؛ لِقَلَّةِ ذَاتِ الْيَدِ.

(فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ) فَرَقَ لَهُمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ.

(فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ) وَالْإِنْفَاقِ عَلَى هَؤُلَاءِ الضُّيُوفِ.

(فَأَبْطَأُوا عَنْهُ) يَعْنِي لَمْ يَسَارِعُوا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ.

(حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ) إِذْ أَنَّهُ يَعْلَمُ مِنْهُمْ الْمَسَارِعَةَ وَالْمُبَادَرَةَ، وَهَكَذَا كُلٌّ مِنْ

أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٍ عَنْ مَنكَرٍ يَحِبُّ أَنْ يَرَى الْمَسَارِعَةَ وَالْمُبَادَرَةَ إِلَى ذَلِكَ.

(ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ) الصرة: الكيس الذي يوضع فيه النقود.
(مِنْ وَرَقٍ): من فضة.

(ثُمَّ تَتَابَعُوا) على الخير، وهكذا اجعل نفسك مفتاحا للخير مغلاقا للشر فإذا أمرت بأمر فيه خير ونفع فكن من المبادرين يتابعك الناس، فتؤجر على المبادرة وتؤجر على المتابعة.

فكم لهذا الأنصاري الذي أدخل السرور على النبي ﷺ من أجر، إذا كان سرور تدخله على مسلم من أفضل الأعمال فكيف بإدخال السرور على النبي ﷺ؟ أشيعوا السرور عباد الله، أدخلوا السرور على أنفسكم، على نساءكم، على أبنائكم، على طلابكم، على من يليكم، أشيعوا السرور بإشاعة الخير، والدعوة إليه، والأمر به، والحث عليه، فإنه من أعظم ما يكون من الأعمال والصدقات.

(فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) محرضا لهم على النفقة:

(مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً) يعني: من أحيها، ليس معنى أنه ابتدأها ولم يكن لها مثال سابق، فإن ما أحدث على غير مثال سابق هو البدعة، ولكن المراد هنا: من أحيأ سنة كانت قد أميتت أو انطمست، ودلالة الحديث يدل على ذلك.

وهذا الحديث قد استدل به كثير ممن يرى تقسيم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة، والصحيح أن لا بدعة حسنة، كلها سيئة، قال النبي ﷺ: «كل بدعة ضلالة».

(فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ) عمل الناس بسبب سنه لها.

(كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ) هذا من فضل الله، يأجر العامل ويأجر الأمر والمعلم ابتداء، حتى أن النبي ﷺ والصحابه الذين نقلوا العلم إلينا والعلماء الذين دونوا ونشروا إلى الآن يؤجرون، وإلى أن تنتهي هذه الكتب وهذا العلم الذي نقلوه وهم يؤجرون، يؤجرون في نقلهم القرآن، ويؤجرون في نقلهم الحديث، ويؤجرون في تفسيرهم، وفي تعليمهم وتفهمهم.

فلا أبرك لجمع الأجور من طلب العلم، وتعليم الناس، والتصدر لذلك إذا استطاع.
(وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ) أي بسبب فعله لها وبسبب دعوته إليها.

(وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ) كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٢٥].
 ففي هذا الحديث فضيلة الدعوة إلى الله **عَزَّجَلَّ**، الدعوة إلى الكتاب والسنة، والتحذير من البدع والخرافات المدلهمة، فإن الدعوة إلى الحسنات وإلى الخيرات والمبرات حسنات وخيرات ومبرات، والدعوة إلى السيئات والشرور والآثام دعوة إلى سيئات تراكم على الإنسان، والله المستعان.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

١٦ - (٢٦٧٤) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا».

(مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ) ولو كان ما دعا إليه يسيراً،
«الذال على الخير له كأجر فاعله»، هكذا يقول النبي ﷺ والدعوة إلى الله من أفضل الأعمال، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف: ١٠٨]، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة فصلت: ٣٣].

وفي حديث علي رضي الله عنه: «قَالَ اللَّهُ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ».

(وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ...) دعاة البدع دعاة الضلالات، انظر إلى عبد الله بن سبأ عليه إثم الرافضة من ذلك اليوم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإلى جهنم بن صفوان عليه إثم الجهمية، وإلى واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عميد بن باب عليهم إثم المعتزلة، وهكذا بشر المريسي، وإلى معبد الجهنني عليه إثم القدرية. فكل مبطل عليه إثمه وإثم من تابعه على باطله، وكل منصف محق له أجر وأجر من تبعه على الحق الذي دعا إليه.

فعلى الإنسان أن يكون داعياً إلى الخير، مشمراً إليه، باذلاً من أجله، وأن يكون حذراً من الشر، راغباً عنه، قالياً لأهله.

بهذا نكون قد انتهينا من كتاب العلم في الثاني عشر من شوال لعام خمسة وأربعين وأربعمائة وألف، والحمد لله رب العالمين.



كِتَابُ الذِّكْرِ وَالذُّعَاءِ
وَالْتَّوْبَةِ وَالْإِسْتِغْفَارِ

الإِتِّحَافُ

شَرْحُ

صَحِيحِ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللهُ



قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ الذِّكْرِ، وَالِدُعَاءِ، وَالتَّوْبَةِ، وَالِاسْتِغْفَارِ

هذا الكتاب من أهم الكتب التي يذكرها المصنفون في مصنفاتهم الجامعة، وقد يضعها بعض المتأخرين في كتاب الجامع، كما فعل الحافظ ابن حجر في كتاب (البلوغ)، وهكذا غير واحد.

يتضمن هذا الكتاب مجموعة من الأحاديث والآداب والأحكام التي يحتاج إليها الراغب والسالك والسائر إلى الله **عَزَّجَلَّ** في إصلاح شأنه، وترقيق قلبه، ومغفرة ذنبه، وستر عيبه، فإن ذكر الله **عَزَّجَلَّ** من المتعينات، وهو من أسباب ذكر الله للعبد، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٥٢]، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥]. وما شرع الله **عَزَّجَلَّ** الشرائع إلا لذكره، فشرع الحج لذكره، والصلاة لذكره ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [سورة طه: ١٤]، ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [سورة الحج: ٢٨]، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٣]. وهكذا أنزل الكتاب لذكره، وأرسل الرسل للدعوة إلى ذكره، فذكر الله **عَزَّجَلَّ** هي العبادة المطلوبة من جميع الناس.

وذكر الله طاعته، كما ذكر سعيد بن جبير وغيره من أهل العلم، هذا بالمعنى العام. **وأما المعنى الخاص فالمراد به:** المجيء بالأذكار الثابتة عن النبي ﷺ، سواء المقيدة بوقت كأذكار الصباح والمساء، والنوم واليقظة، والسفر، وأذكار الصلاة، ونحو ذلك من الأذكار، أو كانت أذكار مطلقة، كمطلق التسييح والتحميد والتكبير والتهليل، والحسبلة، والحوقة، وغير ذلك من الأذكار.

فعلى المسلم أن يكون ذاكرة لله **عَزَّجَلَّ** بلسان حاله وبلسان مقاله، أما لسان حاله فليكن في طاعة الله **عَزَّجَلَّ**، فهو ذاكر وإن كان نائماً، وذاكر وإن كان آكلاً وشارباً، وأما بلسان مقاله فليكن لسانه مستخدماً في الذكر والدعاء والتسبيح والتحميد، والاستغفار، وغير ذلك.

ففضائله عظيمة، ومنزلته رفيعة، وقد ذكر ابن القيم في كتابه (الوابل الصيب) أكثر من مائة فائدة للذكر، وحقه أكثر من ذلك، فعند الإجمال هو طاعة الله، هو عبادة الله، هو توحيد الله، هو المسارعة إلى الله بكل خير.

وعند التفصيل تجد له من الفضائل ما يدل على علو شأنه، يدفع الله به الآفات ويفرج الله به الكربات، ويصلح الله به الحالات، فكم من مريض شفاه الله بالذكر! وكم من مكروب فرج الله عنه بالذكر، وكم من غائب رده الله بالذكر، وكم من على شفاه هلكة سلمه الله بالذكر، كما حصل ليونس **﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** (٨٧) **﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾** (٨٨) [سورة الأنبياء: ٨٧-٨٨]

ولو لم يكن من فضائل الذكر إلا أن الله يذكرك، إن ذكرته في نفسك ذكرك في نفسه المقدسة العظيمة، وإن ذكرته في ملاء ذكرك في ملاء خير، في ملاء الملائكة المقربين، والكرام الكاتبين، ومن إليهم من ملائكة الرحمن **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

والذكر هو شعار الأنبياء، وفعلة الأتقياء، وسبيل الأصفياء، وهو قول أهل الجنة **«يلهمون التسبيح كما تلهمون النفس»**، سخر الله له ملائكة، المسبحون يسبحون الله بالليل والنهار لا يفترون، كما هو معلوم.

ولمحببة الله للذكر جعل له الأجور العظيمة **«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»**.

والذكر حصن حصين، كما في حديث أبي مالك الأشعري عند الترمذي^(١):
**«وَأَمْرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا
 أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَخْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحِرِّزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا
 بِذِكْرِ اللَّهِ».**

(وَالدُّعَاءُ) يحتاجه الإنسان في ليلة ونهار، وسره وجهاره، بطبيعته محتاج إلى الله
 والله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: **﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
 سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾**، **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
 إِذَا دَعَانِ﴾** [سورة البقرة: ١٨٦].

(وَالْتَّوْبَةُ) واجب على كل مكلف من كل ذنب، وجائزة في كل وقت، **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾** [سورة التَّحْرِيم: ٨]، **﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ
 الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [سورة النور: ٣١]، ليست ثمة عبادة مثل التوبة، تصح في
 الصلاة، تصح في حال الطواف، تصح في حال المشي، تصح في حال الاضطجاع، تصح
 في كل وقت، وتجب على العبد في كل وقت، ومن كل ذنب، وتأخيرها معصية.
 وكثير من الناس يتفطنون للتوبة من الذنب وينسون التوبة من تسويف التوبة فتبقى
 عليهم معرة تأخير التوبة، فلذلك ينبغي للمسلم أن تكون له توبة عامة، وتوبة خاصة،
 توبة عامة مما علم ومما لم يعلم من الذنوب والمعاصي، وتوبة خاصة من كل ذنب
 بعينه.

وهي جائزة من بعض الذنوب مع تأخر التوبة من بعضها.

(وَالِاسْتِغْفَارُ): طلب المغفرة، ويتعين، عند التوبة، كما قال تعالى: **﴿ثُمَّ اسْتَغْفِرْ لِي غُفْرَتٍ لَهُ وَلَا أَبَالِي﴾**، قال بعض أهل العلم: لا بد في التوبة من الاستغفار، ومواطنه
 كثيرة، بعث الرسل بالاستغفار، ولعله يأتي في موطنه.

وقد تكلمنا عن هذه الأمور بتوسع في كتابنا (الوسائل الجليلة لنصرة الدعوة السلفية)، الله المستعان، وشروط التوبة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**.

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ الْحَثِّ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٢ - (٢٦٧٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَرُهَيْبُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ **عَزَّوَجَلَّ**: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»^(١).

٢ - (٢٦٧٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يَذْكُرْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا.

٣ - (٢٦٧٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ اللَّهُ قَالَ: «إِذَا تَلَقَّانِي عَبْدِي بِشَبْرٍ تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِذِرَاعٍ تَلَقَّيْتُهُ بِبَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ أَتَيْتُهُ بِأَسْرَعٍ».

هذا حديث عظيم، وهو أصل في هذا الباب.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٤٠٥).

(يَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ) هذا يسمى بالحديث القدسي، وفيه إثبات أن الله عَزَّوَجَلَّ متكلم بحرف وصوت، كما يليق بجلاله، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ [سورة الشورى: ١١].

(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) المراد بالعبد هنا: العبودية الخاصة، عبودية التذلل والخضوع، وإلا فكل ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [سورة مريم: ٩٣]. ولذلك قال النبي ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ»^(١)، فمن ظن بالله قبول توبته قبل الله توبته، ومن ظن بالله الفرج فرج الله عنه؛ لأن الظن الحسن بالله دليل على الثقة به، والاعتماد عليه، والتوكل عليه، والإيمان بما دلت عليه أسمائه وصفاته.

وَلَا تَظُنَّنَّ بَرِّبَّكَ ظَنًّا سُوًّا فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ
وَلَا تَظُنَّنَّ بِنَفْسِكَ قُطَّ خَيْرٍ فكيف بظالم جان جمول

فإن ظن السوء بالله عَزَّوَجَلَّ هو ظن الجاهلية، ظن المنافقين، ﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤]، أما أهل الإسلام لا يظن أحدهم بالله ظن السوء، وإن كان في أحلك الحالات، النبي ﷺ يحاصر من الأحزاب وهو يبشر بفتح صنعاء، وفتح فارس، وفتح قيصر.

وهكذا شأن أهل الصلاح، ثلاثة تنطبق عليهم صخرة، وهم في جبل، لا مبلغ ولا معين، وظنهم بالله أن ينجيهم، فدعوه، فاستجاب لهم، وفرج عنهم، يونس في بطن الحوت، في بحر مظلم، في ليلة ممطرة مظلمة، وظن بالله الفرج، فجاءه الفرج من الله عَزَّوَجَلَّ، أيوب في أشد ما يكون من المرض، وقد عجز الأطباء، وقلاه البعيد والقريب،

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١٤٥٨٠)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

دعا الله، شفاه الله **عَزَّجَلَّ** بركة رجل خرج منها الماء، اغتسل وتوضأ، وإذا به أحسن ما يكون من الحال، وأغنى ما يكون من الحال.

فالأمر إلى الله، ليكن ظنك بالله الظن الحسن دائماً، فإن تأخر فرجه فليكن ظنك بنفسك، هي السبب في تأخر الفرج، هي السبب في عدم الإجابة، أو الله حكمة قد يكون قد علم أنك لن تبلغ الدرجة العلية التي قد كتبت لك إلا بهذا البلاء، فيبتلك في مالك ونفسك وولددك، والله الحكمة.

(وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي) معية خاصة، المعية العامة في مثل قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [سورة الحديد: ٤]، معنا بعلمه وسلطانه وقهره، وبصره وسمعه، لا تخفى عليه خافية، وأما المعية الخاصة فهي المقتضية للنصر والتأييد، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [سورة طه: ٤٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة: ٤٠].

وهذه المعية تكون للمؤمن، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٢].

(إِنْ ذَكَرْنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي) هذه درجة رفيعة وعلية، أن تكون مذكوراً عند الله، وإن ذكرك الله سلمك من المعاصي والسيئات، وإن ذكرك الله استجاب دعائك، وفرج كربتك، وأصلح حالك، وسدد قولك وفعلك.

(وَإِنْ ذَكَرْنِي فِي مَلَأٍ) كحال مجالس الذكر التي يجتمع فيها طلاب العلم ومن إليهم، **(ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ)** ملأ الملائكة المقربين، وليس الذاكر فقط الشيخ الذي يدرس، أو الخطيب الذي يتكلم، بل الجميع يعتبرون من الذاكرين الله في حال سماعهم للذكر، فكلهم داخل في هذا الفضل العظيم.

(وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذَرَاعًا) ثبت الله **عَزَّجَلَّ** ما جاءت به الأدلة فهو قريب وهو في علوه، فلا تخفى علي خافية، ﴿الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الحديد: ٣].

(وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا) يعني الله أكثر، والله أعظم، والله أوسع وأكرم، وأرحم، إن بادر العبد إلى طاعة كان من الله عَزَّوَجَلَّ منه الكرام العظيم لهذا العبد، فنشبت لله صفة التقرب على ما يليق بجلالة، لا نحرف، ولا نؤول، ولا نكيف، ولا نمثل.

(وَإِنْ أَتَانِي يَمَشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) إثبات صفة الهرولة لله على ما يليق بجلالة، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١].

وهذه الصفات تجد مثل النووي والحافظ ابن حجر، والمازري، والقرطبي ربما تأولها وصرفوها عن ظاهرها، ويزعمون أن مذهب السلف التأويل، وهذا غير صحيح مذهب السلف إمرار أدلة الأسماء والصفات على ما جاءت، بغير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤ - (٢٦٧٦) حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ بَسْطَامٍ الْعَيْشِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ يَعْنِي ابْنَ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ الْقَاسِمِ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: جُمْدَانُ فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ»، قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ».

في هذا الحديث فضيلة الذكر، وأنه من أسباب السبق، كما يأتي معنا، فمن أراد أن يسبق من هو معه فليكثر من الذكر، ومن أراد أن يدرك من قد سبقه فعليه بالذكر.

قوله: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ) إما لحج أو عمرة، أو للفتح، أو نحو ذلك من الأسفار التي سافر بها النبي ﷺ إلى مكة.

(فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ) فيه تسمية الجبال، جبل أحد، جمدان، جبل حراء، جبل ثور، وهكذا تسمى الجبال، وتسمى الأودية، وتسمى البلدان، وجمدان على بعد

ليلة من المدينة قريب منطقة خليص، وشبه به الذاكر لأنه جبل منفرد عن الجبال، والذاكر منفرد عن غيره بذكر الله **عَزَّوَجَلَّ**.

(سِيرُوا) أي فيما أنتم فيه، يرغبهم وكأنه يقرب لهم المسافة.

(سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ) سبقوا غيرهم ممن لم يكن منهم، أو كان منهم إلا أنه لم يأت بما أتوا به.

(قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟) سؤال الصحابة عما يشكل عليهم، وهذا دليل أنهم كانوا يعلمون معاني الأسماء والصفات، وإلا لسألوا عنها، واستفصلوا منها، ولذلك لما قال لهم: **(سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ)** سألوا: **(وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟)**.

(الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ) وقد أعد الله للذاكرين كثيرا والذاكرات مغفرة وأجرا عظيما، فعلى الإنسان أن يكثر من ذكر الله، فكلما أكثر فالله أكثر، وكان أقرب إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، وكان أحرى لاستجابة دعائه، وأحرى لطمأنينة قلبه، وسكونه حاله وباله.

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ: فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفَضْلِ مَنْ أَحْصَاهَا

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٥ - (٢٦٧٧) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ جَمِيعًا عَنْ سُفْيَانَ (وَاللَّفْظُ لِعَمْرِو)، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللَّهَ وَثَرٌ يُحِبُّ الْوَثَرَ» وَفِي رَوَايَةِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ: «مَنْ أَحْصَاهَا»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٧٣٦).

٦ - (٢٦٧٧) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنْبِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» وَزَادَ هَمَّامٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّهُ وَثَرٌ يُحِبُّ الْوَثَرَ».

هذا الحديث قد أخذ ابن حزم بظاهره، ظن أنه يدل على حصر أسماء الله في تسعة وتسعين اسما، وليس كذلك، وقد رددت عليه في كتابي (التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسع وتسعين).

وإنما معنى الحديث: لله تسعة وتسعون اسما من أسمائه الكثيرة، التي لا يعلم عدها وحصرها إلا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ففي حديث ابن مسعود: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ: أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي»^(١)، دل على أن أسماء الله منها ما هو في القرآن، ومنها ما اختص الله **عَزَّ وَجَلَّ** بتعليمه من شاء من أنبيائه ورسله، ومنها ما اختص الله بعلمه.

فأسماء الله أنواع، لكن معنى الحديث: لله تسعة وتسعون اسما اختصها من أسمائه الكثيرة، **(مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)**، وهذا كقول القائل: عندي ألف دينار أعدته للصدقة، ليس معنى ذلك أنه ليس له أكثر من ألف دينار، وإنما التي أعدها للصدقة ألف دينار.

فالحديث جملة واحدة، بعضهم يظن أن الحديث: **(لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا)** ويتوقف، فيحصر في تسع وتسعين، لا، الحديث جملة واحدة: **(لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)**، المراد بالإحصاء قيل: الإطاقة، وقيل: التعقل، وقيل: الحفظ، كما جاءت به اللغة والأدلة.

(١) أخرجه أحم، حديث رقم: (٣٧١٢).

(وَإِنَّ اللَّهَ وَتَرَّ) من أسماء الله الوتر، وهذا دليل على أن الحديث الذي فيه زيادة الأسماء الحسنی الذي عند الترمذي ورواه الوليد بن مسلم وغيره أن هذه الزيادة ليست من قول النبي ﷺ، وإنما هي من كلام بعض الرواة؛ لأنها ليس فيها اسم الرب، وليس فيها اسم الوتر، واسم الرب هو الاسم الذي دعاه به الأنبياء والمرسلون، وهو الاسم الذي يدعى به في كثير من آي القرآن، فنثبت لله أنه وتر.

والوتر بمعنى الفرد، إلا أن الفرد لم يثبت من الأسماء الحسنی لله عزَّوجلَّ، لم يثبت فيه دليل.

(يُحِبُّ الْوُتْرَ) يحب الوتر، يحب صلاة الوتر، يحب الطواف وتر، خلق السماوات وتر، خلق الأرضين وتر، خلق الأيام وتر.

فنثبت لله صفة المحبة، كما يليق بجلال وجهه، وعظيم سلطانه.

والأدلة على أن أسماء الله غير محصورة كثيرة، منها الحديث الذي سبق.

ومنها: قول الله عزَّوجلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠]، فأطلق.

ومنها: قول النبي ﷺ: «فأحمده بمحامد يعلمني إياها لا أحسنها الآن»، معناه لو أحصى أسماء الله في حياته لكان قد أحصى الثناء عليه.

ومنها: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»، في أمور ذكرناها في ذلك الموطن، والله المستعان.

(دَخَلَ الْجَنَّةَ) إما دخولا أوليا، وإما دخولا بعد تمحيص، المهم يثبت له دخول الجنة.

والأسماء الحسنی يحتاجها السالك إلى الله عزَّوجلَّ في توسله لله عزَّوجلَّ بالأسماء والصفات، في استجابة دعائه، وتحقيق رجائه، وهكذا يحتاجها في التعبد لها، والتسمية بما ليس من المختص منها، ومعرفة المختص من غير المختص.

وقد تكلمنا على احترام أسماء الله **عَزَّجَلَّ** في شرحنا على (كتاب التوحيد) بالطريقة المرضية السوية التي ينبغي للمسلم أن يسلكها في تعامله مع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فلا يسمى إلا بما يسمى به نفسه، وسماه به رسول **ﷺ**، ولا يدعى إلا بأسمائه الحسنى. وكل اسم يتضمن صفه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: في بيان مراتب إحصاء أسمائه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قُطْبُ السعادة ومدار النجاة والفلاح.

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠].

وهو مرتبتان: أحدهما: دعاء ثناء وعبادة، والثاني: دعاء طلبٍ ومسألة. فلا يُشْنَى عليه إلا بأسمائه الحسنی وصفاته العُلى، ولذلك لا يُسْتَلَّ إلا بها، فلا يقال: يا موجود، أو يا شيء، أو يا ذات اغفر لي وارحمني، بل يُسْتَلَّ في كُلِّ مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم. ومن تأمل أدعية الرُّسل، ولا سيما خاتمهم وإمامهم - صلوات الله وسلامه عليهم - وجدَّها مطابقةً لهذا.

وهذه العبارة أولى من عبارة من قال: يتخلق بأسماء الله فإنها ليست بعبارة سديدة، وهي مُنْتَزَعَةٌ من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قَدْرِ الطاقة. وأحسنُ منها عبارة أبي الحكم بن بَرَّجان، وهي: التعبد، وأحسن منها: العبارة المطابقة للقرآن، وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال. فمراتبها أربعة: أشدها إنكاراً عبارة الفلاسفة، وهي: التشبه. وأحسن منها عبارة من قال: التخلُّق، وأحسن منها عبارة من قال: التعبد، وأحسن من الجميع: الدعاء، وهي لفظ القرآن ^(١).

(١) (بدائع الفوائد) ط عطاءات العلم، (١) / ٢٨٨.



قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ الْعَزْمِ بِالدُّعَاءِ، وَلَا يَقُلْ: إِنْ شِئْتُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٧ - (٢٦٧٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَرُحَيْمِرُ بْنُ حَرْبٍ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُليَّةَ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُليَّةَ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعِزِّمْ فِي الدُّعَاءِ، وَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ»^(١).

٨ - (٢٦٧٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعِزِّمْ الْمَسْأَلَةَ، وَلِيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»^(٢).

٩ - (٢٦٧٩) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، حَدَّثَنَا الْحَارِثُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي ذُبَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ مِينَاءَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعِزِّمْ فِي الدُّعَاءِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ لَا مُكْرِهَ لَهُ».

مسألة الاستثناء إن كانت في أمر مستقبل فقد قال الله عزَّجَلَّ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۖ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ ﴿٢٤﴾ [سورة الكهف: ٢٣-٢٤].

وأما الدعاء فلا يجوز أن يُستثنى فيه؛ لهذا الحديث، فلا تقل: اللهم اغفر إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، اللهم عافني إن شئت؛ (فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ)، ولكن قل:

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٣٣٨).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٣٣٩).

اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني وعافني، أو: اللهم اغفر له وارحمه واهده، وارزقه وعافه، وهكذا، لا تستثن في الدعاء، ولا تستثن في أمر قد مضى وانقضى: ذهبت السوق أمس إن شاء الله، ولكن استثن فيما يأتي من الأمور: نلتقي في الغد إن شاء الله، نساfer في الغد إن شاء الله، وهكذا.

وفي هذا الحديث دليل على أن الله لا يعجزه شيء، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [سورة فاطر: ٤٤].

وفي هذا الحديث تعين العزم في الدعاء، ما تدعو وأنت لاه غافل، ولكن عليك أن تعزم وتستشعر سماع الله **عَزَّجَلَّ** للدعاء، ويكون ظنك في استجابته، ولتكن ثقتك به، فقد قال الله **عَزَّجَلَّ**: (أنا عند ظن عبدي بي).
قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

بَابُ كَرَاهَةِ تَمَيُّي الْمَوْتِ لِضُرِّ نَزَلِ بِهِ

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

١٠ - (٢٦٨٠) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي: ابْنَ عُليَّةَ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنَّيَا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»^(١).

١٠ - (٢٦٨٠) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي خَلْفٍ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، (ح) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ كِلَاهُمَا عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «مِنْ ضُرِّ أَصَابَهُ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٦٧١).

١١ - (٢٦٨٠) حَدَّثَنِي حَامِدُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ وَأَنَسٍ يَوْمَئِذٍ حَيٌّ قَالَ أَنَسٌ: لَوْ لَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ» لَتَمَنَّيْتُهُ.

١٢ - (٢٦٨١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى خَبَّابٍ، وَقَدْ اِكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ فِي بَطْنِهِ فَقَالَ: لَوْ مَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ ^(١).

١٢ - (٢٦٨١) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ وَوَكَيْعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، (ح) وَحَدَّثَنَا عُبيدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ وَيَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ كُلُّهُمُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

١٣ - (٢٦٨٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّي أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا» ^(٢).

في هذه الأحاديث التصريح بالنهي عن تمني الموت، وأن ذلك لا يجوز، وهل ذلك على الكراهة أو على التحريم؟ جمهور أهل العلم على الكراهة؛ لأنه لا سيكون إلا ما قدره الله عزَّجَلَّ وقضاه، ثم إن الإنسان إذا مات انقطع عمله، «والمؤمن لا يزيده عمره إلا خيراً»، ولو عاش يوماً بعد أخيه، أو أياماً، أو سنة، أو شهراً، يناله الخير العظيم؛ لصلوات صلاها، ولصيام صامه، ولذكر جاء به، ولقرآن قرأه، ولصدقة أمضاها، إلى غير ذلك، وفي مسند أحمد (١٦٠٧٤) عَنْ عُبيدِ بْنِ خَالِدٍ السُّلَمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٦٧٢).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٢٣٥).

ﷺ، قَالَ: أَخَى النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، قُتِلَ أَحَدُهُمَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ مَاتَ الْآخَرُ فَصَلُّوا عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا قُلْتُمْ؟" قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ الْحَقُّهُ بِصَاحِبِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "فَأَيْنَ صَلَاتُهُ بَعْدَ صَلَاتِهِ؟ وَأَيْنَ صِيَامُهُ أَوْ عَمَلُهُ بَعْدَ عَمَلِهِ؟ مَا بَيْنَهُمَا أَبَعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ".

فالمؤمن عمره زيادة في الخير، والكافر عمره زيادة في الشر، فلذلك المؤمن لا يتمنى الموت؛ لأن تمنى الموت في الغالب يصدر عن عدم رضى بالواقع الذي هو عليه، وربما يدخله التضجر، وعدم الصبر، والإنسان مأمور بالصبر، ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [سورة النحل: ١٢٧]، ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٢٠٠].

ثم أيضا الآجال مكتوبة ومقدورة، وتمنيها لا يقدم فيها ولا يؤخر، ثم إن الله عز وجل جعل مندوحة فلا يبقى الإنسان مع الحياة التي أتعبته، ولا يتمنى ما غيب عنه ولكن ليجعل الخيرة إلى الله.

(اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي) فيدعو الله عز وجل بالخيرية، إن كانت حياته تقربه إلى الله فحيا بها، وإن كان مماته يقربه إلى الله فحيا به، كما يقال:

فإمَّا حَيَاةٌ تَسُرُّ الصَّدِيقَ وَإِمَّا مَمَاتٌ يَغِيظُ الْعَدَا
قوله: (إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ) جاء في بعض الأعمال أنها لا تنقطع بموت الميت، مثل المرباط «يجري له عمله الذي كان يعمل ويأمن فتان القبر»، وهكذا: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ)، وقد ذكروا غير ذلك من الأعمال التي لا تنقطع بموت الميت، حيث قال السيوطي رحمه الله:

إذا مات ابن آدم ليس يجري عليه من فعال غير عشر

علوم بثها، ودعاء نجل وغرس النخل، والصدقات تجري وراثة مصحف، ورباط ثغر وحفر البئر، أو اجراء نهر وبيت للغريب بناه يأوي إليه، أو بناء محل ذكر فلذلك يحرص الإنسان على طلب العلم، والتأليف، والتصنيف، والإفادة، فقد قيل (علم الرجل ولده المخلا) وإن كان من أهل الجدة فليحرص على الصدقات الجاريات، كآبار الماء، وبناء المساجد، وطباعة الكتب، ووقف السيل من المساكن، ونحو ذلك، إلى غير ذلك من الأبواب المشروعة في باب الوقف، وفي باب ما يكون صدقة بعد الممات.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ: مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٤ - (٢٦٨٣) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»^(١).

١٤ - (٢٦٨٣) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ.

١٥ - (٢٦٨٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الرَّزِّيُّ^(٢)، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ الْهَجِيمِيُّ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَّارَةَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٠٧).

(٢) ثقة.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَكْرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ فَقَالَ: لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ».

١٥ - (٢٦٨٤) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

١٦ - (٢٦٨٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ زَكَرِيَّاءَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِيٍّ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَالْمَوْتُ قَبْلَ لِقَاءِ اللَّهِ».

١٦ - (٢٦٨٤) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنْ عَامِرٍ، حَدَّثَنِي شُرَيْحُ بْنُ هَانِيٍّ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ بِمِثْلِهِ.

١٧ - (٢٦٨٥) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الشَّعْبِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبَّزٌ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِيٍّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَذْكُرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا، إِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ هَلَكْنَا فَقَالَتْ: إِنَّ الْهَالِكَ مَنْ هَلَكَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»، وَلَيْسَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ فَقَالَتْ: قَدْ قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ بِالَّذِي تَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ إِذَا شَخَصَ الْبَصَرُ، وَحَشَرَجَ الصَّدْرُ، وَاقْشَعَرَ الْجِلْدُ، وَتَشَنَّجَتِ الْأَصَابِعُ فَعِنْدَ ذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ.

١٧ - (٢٦٨٥) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، أَخْبَرَنِي جَرِيرٌ، عَنْ مُطَرِّفٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ عَبَّزٍ.



١٨ - (٢٦٨٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»^(١).

هذا حديث كما ترى جاء عن عدة من أصحاب النبي ﷺ، منها حديث عبادة بن الصامت، أخرجه البخاري، حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري، وهكذا حديث أبي موسى، أخرجه البخاري.

و ظاهر هذه الأحاديث أن من كره الموت كره لقاء الله، ولذلك فهم بعض الصحابة هذا الفهم، لكن الصحيح في معناها: أن (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ) وهذا بعد الحشرجة، حين يرى ملائكة الرحمة تبشره بالخير، فعند ذلك يحب لقاء الله (أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ).

(وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ) وذلك بعد الحشرجة حين تأتيه ملائكة العذاب تبشره بسخط الله (كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ).

فالشأن ليس إلى كراهية الموت ومحبة الموت، فالموت قد يحبه المعرض إذا اشتد عليه البلاء وبعضهم يقتل نفسه وينتحر، وقد يبغضه المؤمن الموحد؛ لقصد الحياة في طاعة الله؛ لأن الحياة في طاعة الله أفضل من الموت في سبيل الله، والحياة في سبيل الله أفضل من الموت في سبيل الله؛ لأن الميت في سبيل الله انقطع عمله، والحي في سبيل الله ما زال عمله يجري، وينمو له.

فالشأن عائد إلى ما كان بعد حشرجة الصدور، كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وفسرته تفسيراً ليس بعده، قالت: (وَلَيْسَ بِالَّذِي تَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ إِذَا شَخَصَ الْبَصَرُ) ويقع شخوص البصر عند خروج الروح من الجسد، كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ شَخَصَ بَصَرَهُ، وَذَلِكَ حِينَ يَتَّبِعُ بَصَرُهُ نَفْسَهُ».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٥٠٨).

(وَحَشَرَ جَ الصَّدْرُ) أي بلغت الحلقوم، ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة الواقعة: ٨٣-٨٧].

(وَأَقْشَعَرَّ الْجِلْدُ): ييبس، وتغير؛ لأن الروح قد خرجت منه، قد وصلت إلى البلعوم، لو مسست رجله تجدها ميتة، لو حسست يده تجدها ميتة، فلذلك أحيانا يبقى أحدهم في حشرته يومين ثلاثة، بعضهم أكثر، وبعضهم أقل، يبقى فيه مثل النخامة في الحلق، لا تخرج ولا تدخل، حتى تخرج الروح، وعند ذلك في حديث البراء: إن كان من المؤمنين الموحدين، جاءته ملائكة بيض الوجوه، معهم كفن من الجنة، وحنوط من الجنة، ثم تخرج، فيتلقاها الملائكة ويقولون: أبشري بخير يوم، أبشري بروح وريحان، ورب راض غير غضبان.

بينما نفس المنافق والكافر: أبشري بغضب من الله وسخط.

وأيضا (وَتَشَجَّتِ الْأَصَابِعُ) تمتد وتشتد؛ لأن الموت شديد، قال الله عزَّجَلَّ: ﴿فَأَصْبَحَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ [سورة المائدة: ١٠٦]، والنبي ﷺ عند موته جعل يقول: «لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات»، وكان يشتد عليه حتى يضع الستارة على وجهه، فإذا اغتم كشفها.

فنسأل الله أن يعيننا على سكرات الموت، وأن يرزقنا ثباتا عند الموت.

فالشأن ليس إلى محبة الموت من بغض الموت، الموت عرض يمر به كل حي ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥]، إلا من شاء الله ممن خلقه الله للبقاء. الشأن: إذا بُشِّرَ بروح وريحان استبشر بقاء الله، وإذا بُشِّرَ بالغضب والسخط كره لقاء الله، وهذا يكون بعد خروج النفس أو في حال خروج النفس، فإن الإنسان قد يرى ملائكة الرحمة إن كان من الموحدين، أو ملائكة العذاب إن كان من المعرضين، وهو في السياقة، وقد تقدم في الجنائز "فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي، وَإِنْ



كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ"، والله المستعان.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ فَضْلِ الذِّكْرِ، وَالذُّعَاءِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١٩ - (٢٦٧٥) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: **«أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي»**»^(١).

٢٠ - (٢٦٧٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ بْنُ عُثْمَانَ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ وَابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سُلَيْمَانَ وَهُوَ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: **«إِذَا تَقَرَّبَ عَبْدِي مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا أَوْ بُوْعًا، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً»**.

٢١ - (٢٦٧٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الْقَيْسِيُّ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، عَنْ أَبِيهِ بِهِذَا الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يَذْكُرْ إِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً.

٢٢ - (٢٦٧٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: **«أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً»**.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٤٠٥).

(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) جاء في بعض الأحاديث: «فليظن بي ما شاء»، فمن ظن بالله الظن الحسن جاءه ما أمله ورجاه، فإن الله يعبد بالرجاء، وعلى الإنسان أن يجعل ظنه بالله على أحسن ما يكون من الظنون في جميع الأحوال، فإن الله عَزَّجَلَّ متصف بصفات الجلال والجمال والكبرياء والعظمة، وما إليها من صفة والرحمة والكرم والجود والغنى.

نعم إن الله شديد العقاب هذا من الرهبة، لا بد أن الإنسان يرهب ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن يحسن الظن بالله، فإن حسن الظن بالله مدعاة إلى التوبة، مدعاة إلى الاستغفار، مدعاة إلى ملازمة الدعاء، مدعاة إلى عدم اليأس والقنوط من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولذلك قيل:

وَلَا تَظَنَّ بِرَبِّكَ ظَنًّا سُوًّا فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَوَائِلِ
حتى وإن كنت من المسرفين استغفر وتب، وارج من الله القبول، ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾
[سورة الزمر: ٥٣].

إذا كانت إساءة الظن بالمخلوق غير جائزة «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» فكيف بإساءة الظن بالله عَزَّجَلَّ؟ الذي هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى موصوف بأكمل ما يكون من الصفات، ومسمى بأكمل ما يكون من الأسماء، ومما يذكر في هذا الباب قول أبي نواس:

إن كان لا يرجوك إلا محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم
وذكر الأصمعي أن الحجاج حين احتضر قال:

يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا بأنني رجل من ساكني النار
أيحلفون على عمياء ويحهم ما علمهم بكثير العفو ستار
فأخبر الحسن فقال: إن نجا فيهما. من تاريخ الإسلام

(وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي) معية خاصة، معية تلتزم النصر والتأييد، والكلاءة والحفظ وغير ذلك من أنواع المعية الخاصة.

الحديث قد تقدم بالفاظه ومعانيه، وتكلمنا عن إثبات صفة القرب لله **عَزَّجَلَّ** وهو في علوه، وعلى إثبات ما أثبتته لنفسه من صفة الهرولة وما إليها على الوجه الذي يليق بجلاله.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٢٢ - (٢٦٨٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ**: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً، وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةٌ لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً».

٢٢ - (٢٦٨٧) قَالَ إِبْرَاهِيمُ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ بَشْرٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ بِهَذَا الْحَدِيثِ.
٢٢ - (٢٦٨٧) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ».

هذا حديث قدسي، يُثبت به صفة الكلام لله **عَزَّجَلَّ**، يتكلم بحرف وصوت متى شاء، وكيف شاء، وبما شاء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١].
(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ) من يفعل الحسنة من المسلمين؛ لأن الحسنة قد يفعلها الكافر ولا تحفظ له ولا تحسب، وربما تجد كثيرا من المسلمين لا تبقى حسناتهم، فلا يحافظون عليها من الرياء، ولا السمعة، ولا العجب، ولا من مبطلات الأعمال، فلذلك لا يكفي العمل بالحسنة حتى يضاف إليها المحافظة على الحسنة، وتجد في

القرآن: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [سورة الأنعام: ١٦٠]، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ [سورة النمل: ٨٩].

فالعاملون للحسنات كثير، فالكافر قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٢٣]، والمراي والمعجب، قال الله تعالى: **«أَنَا أَغْنِي الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ»**.

فيتعين عليك أيها المسلم إذا عملت الحسنة أن تحافظ عليها حتى توافي بها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فإذا جئت بها فلك عشر أمثالها، كرم من الله **عَزَّوَجَلَّ**.

قال: (وَأَزِيدُ) كما جاء في بعض الروايات: «إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة».

(وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلَهَا) هذا موافق لدلالة القرآن: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [سورة الأنعام: ١٦٠].

(أَوْ أَغْفِرُ) يتجاوز ويستر ويعفو، لا سيما للتائب، **«فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له»**، وغير التائب، فيما دون الشرك تحت المشيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه.

(وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا) فيه فضيلة التقرب إلى الله بالأعمال الصالحات، وأن الجزاء من جنس العمل، فمن قرب من الله يرجو من الله القرب ويرجو من الله الإثابة والقبول، أما إذا كان بعيدا من الله **عَزَّوَجَلَّ** ومع ذلك تجده يرجوا القبول والإكرام هذا مخالفة، وهذا رجاء مبتدع، ولذلك في قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَا وَفُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [سورة المؤمنون: ٦٠]، قالت عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ **﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَا وَفُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾** [سورة المؤمنون: ٦٠] أهو الرجل يزني ويسرق، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: **«لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ»** أَوْ **«لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ**

يُصُومُ، وَيُصَلِّي، وَيَتَصَدَّقُ، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ»^(١)، فليست الآية في حق المسرف المبتعد عن الطاعة.

والله عَزَّجَلَّ كريم عظيم، من تقرب إليه كان الله أقرب، ومن أحسن كان الله عَزَّجَلَّ أعظم إحساناً.

(وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً) وهذا قيد مهم، (وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً) من كبائر الذنوب وعظيم الآثام، لكن بشرط أن يلقاه مسلماً، فإذا لقيه بقرب الأرض خطايا وهو على الإسلام فهو تحت المشيئة، إن شاء أكرمه وعفا عنه، وإن شاء عذبه بخطيئته وجريته، ثم يكون ماله إلى الجنة. وأما إذا لقيه بالشرك فالشرك لا يغفر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨].

هذا الحديث يشهد لحديث أنس بن مالك الذي أخرجه الترمذي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً"، وذكره الإمام المجدد في (كتاب التوحيد)، وفي سنده كثير بن قaid، مجهول، لكن يشهد له هذا الحديث.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ كَرَاهَةِ الدُّعَاءِ بِتَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٣ - (٢٦٨٨) حَدَّثَنَا أَبُو الْخَطَّابِ زِيَادُ بْنُ يَحْيَى الْحَسَانِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٢٥٧٠٥).

إِيَّاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجَّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تَطِيقُهُ أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»** [سورة البقرة: ٢٠١] قَالَ: فَدَعَا اللَّهُ لَهُ فَشَفَّاهُ^(١).

٢٣ - (٢٦٨٨) حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ التِّيمِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ بِهَذَا الْإِسْنَادِ إِلَى قَوْلِهِ: **«وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»** وَلَمْ يَذْكُرِ الزِّيَادَةَ.

٢٤ - (٢٦٨٨) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ، أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يَعُودُهُ وَقَدْ صَارَ كَالْفَرْخِ، بِمَعْنَى حَدِيثِ حُمَيْدٍ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: **«لَا طَاقَةَ لَكَ بِعَذَابِ اللَّهِ»** وَلَمْ يَذْكُرْ: فَدَعَا اللَّهُ لَهُ فَشَفَّاهُ.

٢٤ - (٢٦٨٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا سَالِمُ بْنُ نُوحٍ الْعَطَّارُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

(عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أي في مرضه، وعيادة المريض مستحبة كما تقدم في غير ما موطن، وهي من حقوق المسلمين على بعضهم؛ لما فيها من إدخال السرور والبهجة، وتحصيل الدعاء والرقية، وغير ذلك.

(قَدْ خَفَتْ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ) أي نحف بسبب المرض، إذ اشتد عليه، فإن الإنسان إذا مرض نحف جسمه؛ لعدم شهوته في الطعام والشراب، ولقلة النوم وكثرة التعب والإرهاق.

(هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟) وهذا من القرينة، سأل النبي ﷺ لعل هذا البلاء حصل لهذا الرجل بدعاء، أو أن الله أو حي إليه بشيء من شأنه.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٥٢٢).



(اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا) ومن يطيق عذاب الآخرة، فلا يجوز للإنسان أن يدعو على نفسه.

(سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تَطِيقُهُ أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ) هذا دليل على أن الدعاء يحتاج إلى فقه من الداعي، فالإنسان يدعو الله **عَزَّجَلَّ** برفع البلاء ودفعه، بل والسلامة منه، ولذلك قال النبي **ﷺ** لعمه العباس: **«سل الله العافية، فما أوتي أحد بعد اليقين خير من العافية»**، وكان من دعائه في كل صباح ومساء: **«اللهم إني أسألك العفو والعافية»**، وقال رسول الله **ﷺ**: **«لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية»**، أدلة كثيرة، لا تدع على نفسك، بل ادع لنفسك بالرحمة والخير والفرج.

فلذلك أنكر بعض أهل العلم هذا الدعاء الذي يأتي من قبل العوام: اللهم لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه، بل قل: اللهم ارحمني برحمتك التي وسعت كل شيء، واصرف عني الفتن، ما ظهر منها وما بطن، ويدعو الله برفع الأسقام والأمراض، والأعراض المؤذية.

(أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) حسنة الصحة، حسنة العلم، حسنة الرزق، حسنة المال، حسنة الأبناء، حسنة العلم والعمل، دعوة عامة يدخل فيها كل خير في الدنيا، **(اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً)**، بعضهم فسرهما بالعلم والعمل وهي أعم فهي دعوة عامة، من جوامع كلم النبي **ﷺ**، وجاءت في القرآن: **﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾** [سورة البقرة: ٢٠١].

وكان النبي **ﷺ** يدعو بها كثيرا، لا يجلس مجلسا إلا دعا بها وكان أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** إذا دعا بدعاء جعلها فيه.

(وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً) وقيل: رؤية الله، وهي أعم، كل خير في الآخرة تسأله بقولك: **(وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً)**، وأعظمه النظر إلى وجه الله **عَزَّجَلَّ**، وأيضا دخول الجنة، ورضوان الله.

(وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ): سلمنا من عذاب النار؛ لأنه أشد ما يكون من العذاب، عذاب مستقر دائم، لا سيما في حق الكافرين، نسأل الله السلامة والعافية.
(فَدَعَا اللَّهَ لَهُ فُشِّفَاهُ) عافاه الله وشفاه.

في الرواية الأخرى: (لَا طَاقَةَ لَكَ بِعَذَابِ اللَّهِ) فلا تدع على نفسك، ولا على أهلِكَ، ولا على أحد من المسلمين بعذاب الله، وإن كنت قد أوذيت من بعضهم قل: اللهم اكفنيه بما شئت، اللهم اكفني شره، اللهم ادفع ضره، إلى غير ذلك من الأدعية التي يرجى أن يدفع الله عَنْكَ بِهَا الشر، ويسلم المسلم، فإن الأمراض والأسقام تحيل بين العبد وبين طاعة الله.

هذه الأحاديث فيها عظام، وجميل وعد من الله عَنْكَ، وأعظم ذلك: أن الإنسان يحافظ على هذا الدعاء: (اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)، قال: وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه، حتى في الطواف في السعي، في السفر، في الحضر، في الليل، في النهار، ادع بهذه الدعوة الشاملة لكل خير، والله المستعان.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فَضْلِ مَجَالِسِ الذِّكْرِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٥ - (٢٦٨٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ بْنُ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا بِهِزٌ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فَضُلًّا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَخَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنَحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا، وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَنْكَ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ،

وَيَهْلَلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^(١).

(بهز) بن أسد، (وهيب) بن خالد.

(سهيل) بن أبي صالح، (أبيه) أبو صالح ذكوان السمان، من الأثبات في أبي هريرة.

(إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً) يعني من ملائكة الله عز وجل نوع من الملائكة سيارة،

يسير من مكان إلى مكان.

قوله: (فُضْلًا) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا (فُضْلًا) فَضَبَطُوهُ عَلَى أَوْجِهِ

أَحَدَهَا: وَهُوَ أَرْجَحُهَا فِي بِلَادِنَا (فُضْلًا) بِضَمِّ الْفَاءِ وَالضَّادِ.

وَالثَّانِيَةُ: بِضَمِّ الْفَاءِ وَإِسْكَانِ الضَّادِ، وَرَجَحَهَا بَعْضُهُمْ، وَادَّعَى أَنَّهَا أَكْثَرُ وَأَصُوبُ،

وَالثَّالِثَةُ: بِفَتْحِ الْفَاءِ وَإِسْكَانِ الضَّادِ.

قَالَ الْقَاضِي: هَكَذَا الرِّوَايَةُ عِنْدَ جُمْهُورِ شُيُوخِنَا فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، وَالرَّابِعَةُ

(فُضْلٌ) بِضَمِّ الْفَاءِ وَالضَّادِ وَرَفْعِ اللَّامِ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْدُوفٌ، وَالْخَامِسَةُ

(فُضْلَاءٌ) بِالْمَدِّ جَمْعُ فَاضِلٍ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ عَلَى جَمِيعِ الرِّوَايَاتِ: أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ زَائِدُونَ عَلَى الْحَفَظَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ

الْمُرْتَبِينَ مَعَ الْخَلَائِقِ، فَهَؤُلَاءِ السَّيَّارَةُ لَا وَظِيفَةَ لَهُمْ، وَإِنَّمَا مَقْصُودُهُمْ حِلْقُ الذِّكْرِ. اهـ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٤٠٨).

(يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ) ها هنا وها هنا، أين وجدوها جلسوا وتنادوا: هلموا إلى بغيتكم.

(فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ) يحفونهم، هذا كما قال النبي ﷺ: «إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

(وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنَحَتِهِمْ) يعني يحيطون بهم، ويستديرون حولهم ويحف بعضهم بعضا.

(حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا) لكثرتهم، لا إله إلا الله ما أكرم الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى! ربما يكون المجلس فيه عشرة من البشر وفيه العدد الكثير من الملائكة، والله لو أننا نحتسب مثل هذا الأمر ونرجوه ونؤمله ما بلينا بمن حضر كما نرجو من حضر من المغيبات من الملائكة.

وربما يحضر بعض فضلاء الجن من المسلمين، فالجن فيهم جميع الطوائف، فيهم السلفي، وفيهم الرافضي، وفيهم الحزبي، وفيهم الكافر اليهودي النصراني، من كل الطوائف، نسأل الله الهداية.

يذكرون أن الشيخ ابن باز أو بعض المشايخ كان يدرس، وكان بعض الطلاب يدخل ويرمي بالحذاء جهة الباب، فاشتكى عليه بعض الجن على أن هذه الأحذية والنعال تؤذيهم، يحضرون الدروس، قد حضروا لرسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [سورة الجن: ١]، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٩]، فلا مانع أن يحضروا لغيره ﷺ، يتعلمون، ويتعلمون، ويدعوني إلى الله عَزَّجَلَّ، فهنيئا لهم.

الغالب في الجن الشيطنة إلا من رحم الله، فلذلك هنيئاً لمن وفق لمنهج السلف الصالح **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، وكان بعيداً عن البدعة، وقبل ذلك بعيداً عن الشرك وهكذا بعيداً عن أذية الغير من المسلمين.

ذكر ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** في تفسير قول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَأَنَا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَرًا﴾ [سورة الجن: ١١]: وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ النَّجَّادُ فِي أَمَالِيهِ، حَدَّثَنَا أَسْلَمُ بْنُ سَهْلٍ بِحَشَلٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ -هُوَ أَبُو الشَّعْنَاءِ الْحَضْرَمِيُّ، شَيْخٌ مُّسْلِمٌ- حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يَقُولُ: تَرَوِّحَ إِلَيْنَا جَنِّي، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَيْكُمْ؟ فَقَالَ الْأَزْزَرُ. قَالَ: فَأَتَيْنَاهُمْ بِهِ، فَجَعَلْتُ أَرَى اللَّقْمَ تُرْفَعُ وَلَا أَرَى أَحَدًا. فَقُلْتُ: فَيَكُم مِّنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ الَّتِي فِينَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَمَا الرَّافِضَةُ فَيَكُم؟ قَالَ شَرُّنَا، عَرَضْتُ هَذَا الْإِسْنَادَ عَلَى شَيْخِنَا الْحَافِظِ أَبِي الْحَجَّاجِ الْمِزِّي فَقَالَ: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى الْأَعْمَشِ.

وقد قال القحطاني:

إِنَّ الرِّوَافِضَ شَرٌّ مِّنْ وَطِئِ الْحَصَا مِنْ كُلِّ إِنْسٍ نَّاطِقٍ أَوْ جَانٍ فهذا الحكم متفق عليه بين الإنس والجن في الروافض، إلا على بهيمة في مسلاخ بشر، فهو الوحيد الذي يثق في الرافضة، أما بهيمة حقيقية فإن أسدا قد قفز على ساب لأبي بكر وعمر أو لأبي هريرة وأخذه، جاءته غيره، نسأل الله العافية، فالرافضة ليسوا من أهل الإسلام في سرد ولا ورد.

(فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا، وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ)؛ لأنها مأواهم، ثم أيضاً انتهت وظيفتهم، فيعودون يخبرون الله **عَزَّ وَجَلَّ** مع أنه بكل شيء عليم.

(جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ) سواء بلسان الحال أو بلسان المقال، فمثلاً إذا كانوا يقولون: سبحان الله،

والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هذا بلسان المقال، وإذا كانوا يتعلمون العلم ويدرسون القرآن ويصلون ويفعلون بعض الأفعال الطيبة هذا بلسان الحال.

(وَيَحْمَدُونَكَ) من الحمد، وهذا دليل على فضيلة هذه الأربع الكلمات: سبحان الله، والله أكبر، ولا إله إلا الله، والحمد لله.

(وَيَسْأَلُونَكَ) يعني هم مع ذلك لا يستغنون عن الله، فالله **عَزَّوَجَلَّ** يُعبد بدعاء المسألة ودعاء العبادة، فالتسبيح والتحميد والتكبير وقراءة القرآن والصلاة هذا دعاء عبادة، ودعاء المسألة: أن تسأل الله المغفرة والرحمة، والتجاوز، والإحسان، والإنعام، وقد يتضمن دعاء العبادة دعاء المسألة، ويستلزم دعاء المسألة دعاء العبادة فإن السائل لله **عَزَّوَجَلَّ** عابد له.

(يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ) هذا أعظم ما يُسأل، وإلا قد يسأل المسلم غير ذلك، منهم من يسأل الولد، ومنهم من يسأل المال، ومنهم من يسأل الزوجة، ومنهم من يسأل العافية، وكل يسأل ما يحتاج إليه، فإن الله يُسأل ما شاء العبد مما أباحه الله، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم.

لكن أعظم ما يُسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** الجنة؛ لأن الجنة إذا يسرها الله لك يُسر لك العمل الصالح في الدنيا، ونلت أعظم المطلوب وسلمت من أعظم المرهوب، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾.

(قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا أَيْ رَبِّ)؛ لأنها علم غيب، آمنوا بالغيب، ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [سورة البقرة: ٢]، فنحن نؤمن بالجنة وبما فيها مما أعده الله للمؤمنين.

(قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟) لو رأوا جنته ما استطاعوا الحياة في الدنيا، والله لو رأى الناس الجنة ما استطاعوا البقاء في الدنيا، لتاقت أنفسهم إليها، وربما بادرت أنفسهم الخروج شوقاً إلى الجنة.

أحيانا يحدثوك عن منطقة حَوْف، وإذا بواحد يركب من شوبة، والآخر من حُزْمُوت، والثالث من عدن، إلى أين؟ قالوا: إلى حوف، وقبلهم الضباب، وقبلهم الماء، وقبلهم النامس، وقبلهم ما هناك مطاعم، كيف إذا رأيت الجنة؟ والله لن ترضى بغيرها.

ولو رأى إنسان الجنة ما طابت له الدنيا، ما تلذذ بمأكول ولا مشرب، ولا امرأة، ولا شيء، كيف تتلذذ وأنت قد رأيت ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟ كيف تتلذذ وأنت قد رأيت الكمال؟ الآن تسكن في بيت من بلك ربما الحر والقر، والنامس والصراصير، والمؤذيات، كيف لو رأيت الجنة وفيها لبنة من ذهب ولبنة من فضة؟ قصور، تربتها المسك، وتربتها الزعفران، وأنهارها نهر من خمر، ونهر من لبن، ونهر من ماء، ونهر من عسل، إلى غير ذلك، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

فلو رأى الناس الجنة لما هنتوا بالدنيا، ولو رأى الناس النار لما هنتوا بالدنيا لكن غيب الله عَزَّوَجَلَّ شأن الجنة؛ حتى يبادر إليها المؤمنون، وغيب الله شأن النار محنة وبلاء حتى يفتن الكافرون، نسأل الله السلامة والعافية.

(وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبَّ) يستعيذون من ناركَ يا رب.

(فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟) يعني سيكونون أعظم فرارا منها، وأشد استعاذة، والله لربما بكوا الدم، وعافوا المأكول والمشرب، كيف تستطيع أن تأكل وتشرب وأنت ترى نارا وعذابا وأهوالا ما تدري السلامة منها أو تكون من أهلها؟ نسأل الله السلامة والعافية.

قال النبي ﷺ: «لَوْ لَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا، لَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَهْلِ الْقُبُورِ مَا أَسْمَعَنِي»^(١)، معناه: لو رأى الناس ما في القبر من العذاب والله لا يتدافنون، سيصابون بما لا يتحملون ولا يطيقون، لكن لله الحمد غيب هذه الأشياء، فنحن نؤمن بوعد الله ووعيده، ويجب علينا المبادرة إلى ما يرضيه، والبعد عما يسخطه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

(فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ): تجاوزت عنهم.

(فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا) نسأل الله الجنة، ونعوذ بالله من النار.

(رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ) مذنب، مسرف.

(إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ) إما لحاجة وإما حياء.

(فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ) كرم من الله **عَزَّجَلَّ**.

(هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) فاحرص أخي المسلم على مجالسة أهل الخير وأهل الصلاح، (هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)، تسلم من ذنوب الجلسات الأخرى، تسلم من مجالسة المبطلين، تغنم بالدخول فيما وعدهم الله من مغفرة الذنوب، وستر العيوب، والتجاوز، اجعل هذا شعارا لك، حتى تنتشط لمثل هذه المجالس.

(هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) أي والله في الدنيا ولا في الآخرة، في الدنيا يسلم من الغيبة، والنميمة، والقليل والقال، وهكذا يستفيد من دعائهم، ويسمع مواعظهم، وربما استفاد من خيرهم، وفي الآخرة: (رب فلان كان منا يصلي معنا ويصوم معنا، لا نراه)، فيشفعون له، وربما أخرجوه من غمرات النار، وكان من أهل الجنة دار القرار.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١٢٠٩٦)، عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.



قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فَضْلِ الدُّعَاءِ بِاللَّهِمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٦ - (٢٦٩٠) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي ابْنَ عُثَيْبٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ ابْنُ صُهَيْبٍ قَالَ: سَأَلَ قَتَادَةُ أَنَسًا: أَيُّ دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ؟ قَالَ: كَانَ أَكْثَرَ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».

قَالَ: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا فِيهِ^(١).

٢٧ - (٢٦٩٠) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» [سورة البقرة: ٢٠١].

تقدم الحديث والتعليق عليه فيها.

فليكثر المسلمون من هذه الدعوة، تأسيا برسول الله ﷺ، ومعرفة بعظيم حقها وشأنها، ومنزلتها، والله المستعان.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٥٢٢).

قال رحمه الله:

بَابُ فَضْلِ التَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَالِدُعَاءِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٢٨ - (٢٦٩١) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ سُمَيٍّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرَ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١).

جاء هذا الحديث على الإطلاق، وقد جاء مقيدا: قول سبحان الله بحمده مائة مرة إذا أصبح وإذا أمسى.

ويشعر الحديث بأن هذا الذكر من أذكار الصباح، من قوله: (وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ)، والحرز: ما يُتحرز ويتحصن به من مكر الشيطان وأذاه.

و(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) هي أفضل كلمة، وهي كلمة الإخلاص، وكلمة التقوى، والعروة الوثقى، وكلمة التوحيد.

وقوله: (وَحْدَهُ) تأكيد للإثبات، (لَا شَرِيكَ لَهُ) تأكيد للنفي، لا شريك له في ربوبيته، ولا ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته.

(لَهُ الْمُلْكُ) المطلق، فجميع المملوكات ملك له.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٤٠٣).

(وَلَهُ الْحَمْدُ) المطلق، الذي يثبت له به جميع المحامد، جميع صفات الكمال وينزه عن جميع صفات النقص.

(وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) لا يعجزه شيء؛ لكمال علمه وقدرته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [سورة فاطر: ٤٤].

فيكرر هذا مائة مرة، إن استحضر هذه المعاني كان أجره أكثر، وإن لم يستحضرها فله أجر الذكر؛ لأن الذكر يكون باللسان، فإن تواطأ عليه القلب كان أفضل ما يكون. وله زيادة على هذا الفضل: (وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ) فمن أكثر كان الله أكثر.

وفي الحديث الآخر: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ) جُمع الله بين التسبيح الذي هو التنزيه، وبين التحميد الذي هو إثبات الكمال، مع أن كلمة (سبحان) الله تتضمن التنزيه وتستلزم إثبات الكمال، وقول: (الحمد لله) يتضمن إثبات الكمال، ويستلزم التنزيه.

(فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ) ولا حرج أن يزيد. (حُطَّتْ خَطَايَاهُ) أي كُفِّرَتْ، والمراد بها هنا الصغائر. (وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ) وزبد البحر: ما يجمعه الماء من الأشياء المحمولة. وسواء قال هذا الذكر متواليًا أو قاله مفردًا في يومه دخل في الفضيلة إن شاء الله؛ لظاهر اللفظ.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٩ - (٢٦٩٢) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأُمَوِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُخْتَارِ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ سُمَيٍّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِي سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ».

فيه أن هذا الذكر من أذكار الصباح وأذكار المساء.
وفيه بركة هذا الذكر مع قلة الكلفة في قوله، والله المستعان.
وقد قال تعالى في بيان أذكار الصباح والمساء: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ [الروم: ١٨].
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٠ - (٢٦٩٣) حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ أَبُو أَيُّوبَ الْغِيلَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ يَعْنِي: الْعَقَدِيُّ، حَدَّثَنَا عُمَرُ وَهُوَ ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَارٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»^(١).
٣٠ - (٢٦٩٣) وَقَالَ سُلَيْمَانُ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي السَّفَرِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ بِمِثْلِ ذَلِكَ قَالَ: فَقُلْتُ لِلرَّبِيعِ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: مِنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: فَأَتَيْتُ عَمْرًا وَبْنَ مَيْمُونٍ فَقُلْتُ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: مِنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: فَأَتَيْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى فَقُلْتُ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: مِنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ يُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وهذا ذكر مطلق، يقوله في الصباح أو المساء أو الظهيرة، أو الليل أو النهار.
وأما الذكر الذي فيه: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، عشر مرات قبل أن يحني رجله» ففيه كلام.

(كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ) فيه فضل اعتاق من كان من ذرية إسماعيل على غيرهم.
وفيه فضيلة الذكر.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٤٠٤).



وفيه معنى قول رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ؟ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ تَعَاطِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ غَدًا فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ». قَالُوا: بَلَى. يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ». أخرجه أبو داود

قال الحافظ في "فتح الباري" (١١/ ٢٠٦): قد يشعر بأفضلية التسبيح على التهليل يعني لأن عدد زبد البحر أضعاف أضعاف المائة لكن تقدم في التهليل ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به فيحتمل أن يجمع بينهما بأن يكون التهليل أفضل وأنه بما زيد من رفع الدرجات وكتب الحسنات ثم ما جعل مع ذلك من فضل عتق الرقاب قد يزيد على فضل التسبيح وتكفيره جميع الخطايا لأنه قد جاء من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار فحصل بهذا العتق تكفير جميع الخطايا عموما بعد حصر ما عدد منها خصوصا مع زيادة مائة درجة وما زاده عتق الرقاب الزيادة على الواحدة ويؤيده الحديث الآخر أفضل الذكر التهليل وأنه أفضل ما قاله والنبون من قبله وهو كلمة التوحيد والإخلاص وقيل إنه اسم الله الأعظم وقد مضى شرح التسبيح وأنه التنزيه عما لا يليق بالله تعالى وجميع ذلك داخل في ضمن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير انتهى ملخصا قلت وحديث أفضل الذكر لا إله إلا الله أخرجه الترمذي والنسائي وصححه بن حبان والحاكم من حديث جابر ويعارضه في الظاهر حديث أبي ذر قلت يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله قال إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده أخرجه مسلم وفي رواية سئل أي الكلام أفضل قال ما اصطفاه الله لملائكته سبحان الله وبحمده وقال الطيبي في الكلام على حديث أبي ذر فيه تلميح بقوله تعالى حكاية عن الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ويمكن أن يكون قوله سبحان الله وبحمده مختصرا من الكلمات الأربع وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لأن سبحان الله تنزيه له عما لا يليق

بجلاله وتقديس لصفاته من النقائص فيندرج فيه معنى لا إله إلا الله وقوله وبحمده صريح في معنى والحمد لله لأن الإضافة فيه بمعنى اللام في الحمد ويستلزم ذلك معنى الله أكبر لأنه إذا كان كل الفضل والأفضال لله ومن الله وليس من غيره شيء من ذلك فلا يكون أحد أكبر منه ومع ذلك كله فلا يلزم أن يكون التسييح أفضل من التهليل لأن التهليل صريح في التوحيد والتسييح متضمن له ولأن نفي الآلهة في قول لا إله نفي لمضمونها من فعل الخلق والرزق والإثابة والعقوبة وقول إلا الله إثبات لذلك ويلزم منه نفي ما يضاده ويخالفه من النقائص فمنطوق سبحان الله تنزيه ومفهومه توحيد ومنطوق لا إله إلا الله توحيد ومفهومه تنزيه يعني فيكون لا إله إلا الله أفضل لأن التوحيد أصل والتنزيه ينشأ عنه والله أعلم. اهـ

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

٣١ - (٢٦٩٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ طَرِيفِ الْبَجَلِيِّ قَالُوا: حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١).

هذا الحديث ختم به البخاري صحيحه، أتى به بدلا من حديث: «سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»؛ لأنه لم يثبت على شرطه وأحسن من تكلم على هذين الحديثين الحافظ ابن حجر في آخر شرح (صحيح البخاري)، والحافظ ابن كثير في تفسير قول الله عز وجل: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨٢) [سورة الصافات: ١٨٠-١٨١].

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٤٠٦).

(كَلِمَتَانِ) أي: جملتان (خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ) أي في النطق، (ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ) أي يوم القيامة، حين يوزن الأعمال، (حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ) إثبات صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الفعلية التي تليق بجلاله "ليس كمثله شيء" فيحب ويحب، والله يحب ما يقرب إليه، (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ) وقد أمر الله بهما: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤]، ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

وهذا الحديث مما استدل به على وزن الأعمال، كما أنه يوزن العامل؛ لحديث ابن مسعودٍ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مِمَّ تَضْحَكُونَ؟" قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ. فَقَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ" أخرجه أحمد (٣٩٩١)، وتوزن الصحف؛ لحديث عبد الله ابن عمر عند الترمذي^(١): «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ»، الحديث بطوله.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٢ - (٢٦٩٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ».

لأن ما طلع عليه الشمس يفنى ويذهب، ولكن هذه الكلمات أجزأها باقي ولذلك قيل فيها: بأنها الباقيات الصالحات، التي قال الله **عَزَّوَجَلَّ** عنها: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ (سورة مريم: ٧٦).

وهذه أحب الكلام إلى الله، على ما يأتي في حديث سمرة: «**أحب الكلام إلى الله أربع**»، ولذلك يؤتى بهذه الكلمات الأربع في أدبار الصلوات، وقبل النوم، وفي كثير من الأوقات، وهن غراس الجنة، كما في حديث ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «**لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَفَرِئْتُ أَمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامُ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانُ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ**»^(١).

قال الحافظ في "فتح الباري" (١١ / ٢٠٧): وقد جمع القرطبي بما حاصله إن هذه الأذكار إذا أطلق على بعضها أنه أفضل الكلام أو أحبه إلى الله فالمراد إذا انضمت إلى أخواتها بدليل حديث سمرة عند مسلم أحب الكلام إلى الله أربع لا يضررك بأيهن بدأت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ويحتمل أن يكتفي في ذلك بالمعنى فيكون من اقتصر على بعضها كفى لأن حاصلها التعظيم والتنزيه ومن نزهه فقد عظمه ومن عظمه فقد نزهه. اهـ

٣٣ - (٢٦٩٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ وَابْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ مُوسَى الْجُهَنِيِّ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُوسَى الْجُهَنِيُّ، عَنْ مُضْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: عَلَّمَنِي كَلَامًا أَقُولُهُ، قَالَ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ»، قَالَ: فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي فَمَا لِي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي».

(١) أخرجه الترمذي، حديث رقم: (٣٤٦٢).

قَالَ مُوسَى: أَمَّا عَافِنِي فَأَنَا أَتَوَهُمْ، وَمَا أَذْرِي، وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي حَدِيثِهِ
 قَوْلَ مُوسَى.

(عَلَّمَنِي كَلَامًا أَقُولُهُ) أي ذكرنا أذكر الله به، وفيه حرص السلف **(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)** على العلم والعمل.

(قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ) كلمة التوحيد.

(اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا) تعظيم الله **عَزَّجَلَّ** وتنزيهه.

(وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا) ومهما كثر الحمد فالله أكثر.

(سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وتنزيه الله عن كل نقص وشين، والعالم كل ما سوى الله

عَزَّجَلَّ، وقيل بأن العالمين الجن والأنس، وقيل والملائكة.

(لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) كنز من كنوز الجنة، ومعناها لا تحول لنا ولا قوة على

شيء إلا بالله فهو الذي يعين ويقوي.

(الْعَزِيزِ) الذي لا يُغلب، **(الْحَكِيمِ)** في فعله وحكمه.

(فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي) أي أذكركم الله **عَزَّجَلَّ**، **(فَمَا لِي)** أدعوه به.

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي) ذنوبي السابقة، ووفقني وسلمني من الذنوب اللاحقة.

(وَارْحَمْنِي): تجاوز عني، واهدني وسددني، يشمل جميع المعاني، **﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ**

قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٦].

(وَاهْدِنِي) هداية الطريق، هداية التوحيد، هداية السنة، هداية التوفيق إلى الجنة

ويدخل فيه هداية العلم.

(وَارْزُقْنِي) الرزق العام والخاص، الرزق العام: العلم، والإسلام، والاستقامة

والسنة، وكذلك رزق المال.

(وعافني) قد جاءت لها شواهد، وعافني عافية البدن، وعافية النفس، العافية الحسية والعافية المعنوية، العافية من الأمراض والأسقام، والعافية من البدع والخرافات والضلالات.

فإذا استجاب الله للعبد هذه الدعوات الخمس صلحت دنياه وأخراه، كما يأتي في حديث طارق بن أشيم.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٣٤ - (٢٦٩٧) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ يَعْنِي ابْنَ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْلَمُ مَنْ أَسْلَمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي».

٣٥ - (٢٦٩٧) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَزْهَرَ الْوَاسِطِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُو بِهِؤَلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي».

٣٦ - (٢٦٩٧) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا أَبُو مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي» وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلَّا الْإِبْهَامَ، «فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ، وَآخِرَتَكَ».

(عن أبيه) طارق بن أشيم الأشجعي، وليس له في مسلم إلا حديث في الإيمان وهذا الحديث الثاني، حديث الإيمان: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرَّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ».

(كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ) ابتداء بعد التوحيد يتعلم الصلاة، فإن استطاع أن يحفظ الفاتحة حفظها، وإن عجز عن حفظ الفاتحة أتى بدلاً عنها بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، حتى يتمكن من حفظها ويعلمه كذلك ما يتعلق

بكيفية الصلاة، وقد قال النبي ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»، وهذا دليل على عظيم شأن الصلاة، فهي أول الواجبات بعد التوحيد.

(فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ، وَآخِرَتَكَ) يعني هؤلاء الدعوات إذا استجابها الله عزَّ وجلَّ في حق المسلم كان فيها صلاح الدنيا والآخرة، كان فيها صلاح العلم والعمل، كان فيها صلاح الظاهر والباطن.

وما أزهّد الناس في الاستكثار من هذه الدعوات مع أنها من أسهل ما يكون! يستطيع أن يأتي بها راکعاً وساجداً، ويستطيع أن يأتي بها ماشياً وراكباً، ويستطيع أن يأتي بها مضطجعا.

بل جاء حديث: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَارْفَعْنِي، وَارْزُقْنِي، وَاهْدِنِي**»، حديث ابن عباس عند أحمد^(١) وغيره، إلا أنه أنكر على كامل بن العلاء.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٧ - (٢٦٩٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ وَعَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ مُوسَى الْجُهَنِيِّ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُوسَى الْجُهَنِيُّ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَيَعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟**» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «**يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ.**»

(أَيَعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟) وما أكثر العاجزين عن هذا الأجر العظيم!

(أَيُعْجِزُ) يفتِر، (أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟) وخارج الصحيح: «ويمحى عنه ألف خطيئة»، أجر عظيم.

(أَوْ يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ) (أو) بمعنى الواو؛ لما جاء خارج الصحيح.

ومائة تسبيحة يمكن أن يأتي بها الإنسان في دقيقة ونصف أو نحو ذلك، وقد جاء بمعنى هذا الحديث حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد ^(١)، قال النبي ﷺ: «خَلَّتَانِ مَنْ حَافِظَ عَلَيْهِمَا، أَذْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ، وَهُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ» قَالُوا: وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَحْمَدَ اللَّهَ وَتُكَبِّرَهُ وَتُسَبِّحَهُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ عَشْرًا عَشْرًا، وَإِذَا أُوْتِيَ إِلَى مَضْجَعِكَ تُسَبِّحُ اللَّهَ وَتُكَبِّرُهُ وَتَحْمَدُهُ مِئَةَ مَرَّةٍ، فَتِلْكَ خَمْسُونَ وَمِئَتَانِ بِاللِّسَانِ، وَالْأَفْأَنِ وَخَمْسُ مِئَةٍ فِي الْمِيزَانِ، فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسِ مِئَةٍ سَيِّئَةٍ؟».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فَضْلِ الْجَمَاعَةِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَعَلَى الذِّكْرِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٨ - (٢٦٩٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى، قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ

كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ
 الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ.

٣٨ - (٢٦٩٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، (ح) وَحَدَّثَنَا نَصْرُ
 بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي
 صَالِحٍ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ غَيْرَ أَنَّ حَدِيثَ أَبِي أُسَامَةَ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ التَّيْسِيرِ عَلَى
 الْمُعْسِرِ.

أما هذا حديث عظيم، حوى جملاً كثيرة، لو استوعبها المستوعب في مصنف
 مستقل لكان في حق هذا الحديث قليل، وذلك؛ لنفاسته، وعظيم بلاغته، وعظيم ما دل
 عليه من الفضل والمنزلة.

(مَنْ نَفَسَ) من التنفيس وهو التفرج.

(عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا) من الكربة وما يهيمه، أي كربة، كربة حسية بقضائها
 والتفرج له فيها، وكربة معنوية بتأنيسه، وإدخال السرور عليه، وإذهاب الغم منه.

(نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ولا سواء، فإن كرب الدنيا زائلة، وكربة
 الآخرة إذا بقيت ضرت، فيستطيع الإنسان أن يدفع البلاء العظيم بالفعل اليسير من
 العمل الصالح، ويستطيع الغني والفقير أن يدفع هذه الكربة، فبعض إنسان ما يحتاج
 منك إلى مال حتى تدفع كربته، يحتاج إلى أن تؤانسه، إلى أن تعزيه، إلى أن تصبره، إلى
 أن تحسن إليه.

(وَمَنْ يَسِّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) إن كان من أهل الجدة والسعة
 ووجد معسراً ما استطاع أن يشتري ما يرغب فيه وتجاوز تجاوز الله عنه، ويسر الله
 عليه في الدنيا والآخرة، يسر له البيع والشراء، والأخذ والعطاء، وربما فرج عنه أضعاف
 ما يفرج على هذا المسكين.

وفيه فضل تفريج الكرب، وإعانة المعسرين، والتفريج عن المسلمين.
(وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا) من ذنب وقع فيه، وأكثر الناس الآن إذا علم بمعصية من مسلم عاجل إلى فضيحته، وكأنه وجد كنزا، لا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار، حتى يعاجل بالفضيحة.

وأسوؤهم من يفعل ذلك في وسائل التواصل الاجتماعي، فيؤدي إلى الفضيحة، ويؤدي كذلك إلى إشاعة الشر والفساد، ومن ذلك ما يفعله الكثير زعموا أنهم يحاربون فساد جوانات اللبس، وإذا بهم ينشرون قصصا قد تكون واقعية وقد تكون غير واقعية، لكن فيها إشاعة للشر والفساد، فمن أراد أن يحذر من بعض باطل يحذر عن عمومهم، أما أن يأتي بأمور ربما لا يعرفها الكثير وربما قامت على إساءة الظنون وطعن في الأعراض نعوذ بالله.

الغلو في المسائل العلمية والغلو في المسائل العملية لا يأتي بخير أبدا، ما خرج الخوارج إلا لغلوهم علميا وعمليا، غلوا علميا حتى كفروا الصحابة عمليا، وهكذا ربما أحدهم تأتيه غيرة في مسألة من المسائل لا يرجع فيها إلى أهل العلم، ولا إلى أهل الحل والعقد، ليأخذ منهم الفتوى، وإنما يقوم بجهله لاستصدار الفتاوى النابية والقياسات الفاسدة، يقيس الجوال على الخمر والميسر، لم يقع اتحاد علة ولا حكم ولا مناط.

لقد فاق هذا بقياسه الفاسد قياس أبي حنيفة وزُفَر، ومن إليهم، وبلغ من الجهل أن يقول على الله بغير العلم، ويتهم الناس في أعراضهم، ويسيء الظن بالمسلمين، جهل، وتناول، وعاقبة هذا الجهل والتناول الخزي والبوار لصاحبه في الدنيا والآخرة إن لم يتب إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، أصبح يتكلم في المسائل من يعلم ومن لا يعلم.

وهكذا في كثير من المسائل العلمية والعملية، فإياك يا طالب العلم أن تتجاوز، لا تحملك الغيرة على تجاوز الشريعة، الخوارج ما خرجوا إلا بسبب هذه الغيرة الفاسدة،

ولا يحملك التسهيل على مجاوزة الشريعة، المرجئة ما وقعوا فيه إلا بسبب التسهيل الخارج عن الدليل، فكن منصفاً، وما علمت قل به، وما لم تعلم لا تقل به.

(وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ) لو أعتته على حمل متاعه الثقيل فالله في عونك، ولو أعتته على تحرير مسألة علمية فالله في عونك، ولو أعتته على حفظ سورة من القرآن فالله في عونك، ولو أعتته على قضاء دين وحاجه فالله في عونك.

فإياك أن تبخل على نفسك بعون نفسك، أنت حين تعين غيرك تعين نفسك وأنت حين تدعو لغيرك تدعو لنفسك، كما قال رسول الله ﷺ: **«دَعْوَةُ الْمَرْءِ مُسْتَجَابَةٌ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ يُؤْمِنُ عَلَى دُعَائِهِ، كُلَّمَا دَعَا لَهُ بِخَيْرٍ، قَالَ: آمِينَ، وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ»**. أخرجه مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

لا سيما إعانة الدعاة إلى الله، وإعانة المشايخ، هذا تعينه بفتح درس في داره ومركزه، وهذا تعينه بنعش حلقة للقرآن، وهذا تعينه بإنابة إن سافر أو مرض، وهذا تعينه بالدفع عن عرضه، كم لك من الأجور؟ وأعظم ذلك الإعانة على كتابة العلوم والبحوث، لا يأتي الشيطان الإنسان الذي يستطيع أن يعين ويقول له: لا تضع وقتك ربما يبارك الله في وقته بسبب إعانته، لو الده، لشيخه، لعالمه.

كم استفدنا من حراستنا لشيخنا يحيى؟ وكان يسخر منا من سخر، ويستهزئ منا من استهزأ، فيقول: أيش هؤلاء؟ ما هم إلا حراس، وبارك الله في أوقاتنا وله الحمد والمنة، والله العمل الذي كان يأخذ ساعات كنا نقضيه في دقائق، والمحموظ الذي يحتاج إلى كثير أوقات، كنا نحفظه في زمن يسير، والمؤلف الذي يحتاج إلى شهور يأتي به في شهر أو في أقل من شهر، والله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة.

نقول هذا شحذا لهمم التعاون على البر والتقوى، تعاون، أنت حين تفتح درسا تتعاون، أنت حين تحضر الدرس تتعاون، أنت حين تحضر المحاضرة تتعاون فتعاونوا

بارك الله فيكم، فإنكم تعينون أنفسكم أكثر من عونكم لغيركم، فإن عونك لغيرك، وإعانة لنفسك، ولا سواء (وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ).

(وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا) سواء كان طريقا حسيا، سافر من بلد إلى بلد لطلب العلم، أو كان طريقا معنويا، أخذ كتابا استمع درسا، حضر حلقة، يلتبس فيها علما نافعا، ليس كل علم، علوم الدنيا لا عبرة بها، إلا أن تكون في مصلحة الإسلام والمسلمين.

(سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ) ولا أعظم من هذا الوعد النبوي، الذي هو وعد رباني، علم العقيدة، أو علم التوحيد، أو علم الفقه، أو أي علم تسلكه، يسلك بك إلى الجنة ما دمت ماشيا في طاعة الله، طالبا لمرضاته.

(وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ) مسجد، وما في حكمه من أماكن الاجتماع لطلب العلم، وتبليغه.

(يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ) سواء القرآن أو معاني القرآن، أو أحكام القرآن، فكله داخل في كتاب الله، فمثل دروسنا هذه التي نتعلم فيها العقيدة والتوحيد ونتعلم فيها الفقه هي من تلاوة كتاب الله، سواء قرأنا السنة أو قرأنا القرآن، نحن نتعلم معاني كتاب الله ونفسر كتاب الله، ونأخذ بكتاب الله.

(وَيَتَذَكَّرُونَ فِي بَيْنِهِمْ): يقرؤونه فيما بينهم.

(إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ) الطمأنينة، والراحة والهدوء.

(وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ) يرحمهم الله، فيرحمون بتكفير الذنوب، ورفع الدرجات وقضاء الحاجات، وانسراح الصدور، وسعة الأرزاق، وبركة الأوقات، وغير ذلك من أنواع الرحمات.

(وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ) على ما تقدم في حديث: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فَضْلاً يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ»، يحيطون بهم.

(وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) وهذه أرفع الدرجات، أن يذكر الله ﷻ العبد في من عنده في الملأ الأعلى، ومن ذكره الله أعانه ووفقه وسدده ويسر له كل خير وجنبه كل شر وضير.

(وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ) يعني من لم يسرع به عمله وصار بطيئاً متأخراً بسبب عمله السيئ (لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) ولم ينتفع به، وقد تقدم قول رسول الله ﷺ: (لا أغني عنكم من الله شيئاً) مفهومه: أن من أسرع به عمله لا ينظر إلى نسبه، وإن كان حقيراً عند الناس، فأغلب اتباع الأنبياء المغلوبون الضعفاء، قال ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" (٢/ ٣٠٨): مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَمَلَ هُوَ الَّذِي يَبْلُغُ بِالْعَبْدِ دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢]، فَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ أَنْ يُبْلَغَ بِهِ الْمَنَازِلَ الْعَالِيَةَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ، فَيَبْلُغَهُ تِلْكَ الدَّرَجَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَتَّبَ الْجَزَاءَ عَلَى الْأَعْمَالِ، لَا عَلَى الْأَنْسَابِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] [المؤمنون: ١٠١]، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمُسَارَعَةِ إِلَى مَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِالْأَعْمَالِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبَاطِمينَ الْعَظِيمَ ﴿[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤] [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤] الْآيَتِينَ، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: يَأْمُرُ اللَّهُ بِالصِّرَاطِ، فَيَضْرِبُ عَلَى جَهَنَّمَ، فَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ زُمَرًا زُمَرًا، أَوَائِلُهُمْ كَلَمَحُ الْبَرْقِ، ثُمَّ كَمَرُ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرُ الطَّيْرِ، ثُمَّ كَمَرُ الْبَهَائِمِ، حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ سَعْيًا، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ مَشْيًا، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يَتَلَبَّطُ عَلَى بَطْنِهِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لِمَ أَبْطَأْتُ بِي؟ فَيَقُولُ إِنِّي لَمْ أَبْطِئُ بِكَ، إِنَّمَا أَبْطَأَ بِكَ عَمَلُكَ. اهـ

هذه تعليقة مختصرة على هذا الحديث العظيم، وإلا حقه أكثر من ذلك؛ لما فيه من المعاني البليغات، والجمل النافعة البديعات، والله المستعان، وعليه التكلان، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كم من حديث نتمنى أن نبسط فيه القول ولكن الوقت لا يتسع، أو نخرج عن الاختصار إلى التطويل، لكن ما يسره الله فيه كفاية.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٩ - (٢٧٠٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ عَنِ الْأَعْرَبِيِّ أَبِي مُسْلِمٍ: أَنَّهُ قَالَ أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

٣٩ - (٢٧٠٠) وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

(محمد بن المثنى) أبو موسى العنزي.

(ابن بشار) محمد بن بشار، يلقب ببندار.

(محمد بن جعفر) يلقب بغندر.

(أبا إسحاق) وهو السبيعي.

تقدم معناه في حديث أبي هريرة السابق.



قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٤٠ - (٢٧٠١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مَرْحُومُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِي نَعَامَةَ السَّعْدِيِّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلَقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَا أَجَلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ قَالَ: اللَّهُ مَا أَجَلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلَقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «مَا أَجَلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا قَالَ: «اللَّهُ مَا أَجَلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ».

(أبو عثمان) عبد الرحمن بن مل.

(عَلَى حَلَقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ) يعني مجموعة من الناس قد اجتمعوا يتحلقون لمذاكرة العلم والقرآن ونحوه، إذ كانت المساجد أماكن اجتماعهم؛ لأنهم يغشونها في كل يوم خمس مرات، فيلتقي الأخ مع أخيه، والصاحب مع صاحبه، وتقضى الحاجات في المساجد.

وأما الآن فرواد المساجد قليل، واجتماع الناس يكون في غير المساجد، لا سيما في هذا البلد الذي وصفه الله عَزَّجَلَّ بالإيمان والحكمة صار الناس فيه على غير الحكمة، فكثير منهم مع لقات، وكثير منهم مع غير ذلك من الملهيات.

فساءت الأخلاق، وضعفت المبادئ، وتغيرت القيم، وحصل الشر، ورفع الخير، وإن وجدت اجتماعات في بعض المساجد فهي اجتماعات قائمة على البدعة والضلالة، إلا ما كان من أهل السنة والجماعة، وإلا فإن الصوفية يعمرن المساجد

بالرقص والأذكار المبتدعة، والرافضة يعمرون المساجد بسبب الصحابة، وغير ذلك من الكبائر، والحزبية تعمر المساجد بالتكتيلات الغير شرعية.

وقليل هي دور الحديث التي تعمر فيها المساجد بالدعوة إلى الكتاب والسنة وإلى التوحيد وتصحيح العقيدة، وإلى إخلاص العمل لله **عَزَّوَجَلَّ**.

(وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) إذ أنه كان من كتاب الوحي، وكان النبي ﷺ زوجاً لأخته.

(أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي) وذلك أن كثيراً من الصحابة كانوا يتورعون عن الحديث عن النبي ﷺ، وبعضهم لا يرى الرواية بالمعنى.

(جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ) وذكر الله نعمه في حد ذاتها وحمد الله على الهداية للإسلام سبب للثبات عليه، والاستمرار عليه، **﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾** [سورة النور: ٢١]، **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾** [سورة القصص: ٥٦]، **﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾** [سورة الكهف: ١٧].

(وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا) أعظم منه أن يجعلك مسلماً موحداً، منقاداً غير مندود ولا مشرك متمسكاً بالسنة، غير مبتدع.

(وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ) بالوحي من السماء.

(فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ) أي المقربين منهم، حيث يظهر فضلهم، ويريههم حسن عملهم، ويشني عليهم عندهم، وهذه منقبة عظيمة لأصحاب مجالس الذكر والخير.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ اسْتِحْبَابِ الاسْتِغْفَارِ، وَالْاِسْتِغْفَارِ مِنْهُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٤١ - (٢٧٠٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ جَمِيعًا عَنْ حَمَّادٍ قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنِ الْأَعْرَابِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

٤٢ - (٢٧٠٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَعْرَ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

٤٢ - (٢٧٠٢) حَدَّثَنَا هُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ كُلُّهُمَا عَنْ شُعْبَةَ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ.

(إِنَّهُ لَكَيَّانٌ عَلَى قَلْبِي) المراد به ما يتغشى القلب، حيث يلحقه الغفلة ونحو ذلك، والنبي ﷺ كان مداوما للذكر، وإن شُغل عنه شغل بمصالح المسلمين، ومع ذلك يرى من نفسه ما ذكر، فكيف بنا؟ إذ الأوقات في غير الطاعات والقربات، وفيما يسبب البعد من رب الأرضين والسموات، فحري بنا أن نكون أكثر استغفاراً، وتوبة وإنابة وعودة إلى الواحد القهار **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وإذا علا الغين القلب لحقه الضعف، والفتور عن بقية الطاعات، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطففين: ٤]، وذلك **«إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ**

كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ»^(١)، كما صح عن النبي

ﷺ.

(وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ) (فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ) هو بمعناه، إذ أن العلماء قد اختلفوا: هل من شروط التوبة الاستغفار أم أنها تصح بدون استغفار؟ والذي يظهر أنه لا بد من الاستغفار؛ لما جاء في حديث أنس وغيره: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي»، وهنا يقول: (وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ) سواء أفي مجلس واحد أو مجالس متعددة، وصح عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة "رب اغفر لي وتي علي إنك أنت التواب الرحيم". أخرجه أحمد

ويجزئ أن يقول: أستغفر الله، أو: «اللهم اغفر لي»، أو: «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه»، أو: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»، أو غير ذلك من الألفاظ المشعرة بالاستغفار.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٣ - (٢٧٠٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ يَعْنِي سُلَيْمَانَ بْنَ حَيَّانَ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا حَفْصُ يَعْنِي ابْنَ غِيَاثٍ، كُلُّهُمْ عَنْ هِشَامٍ، (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(٢).

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٧٩٥٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٦٣٥).

(أبو خالد سليمان بن حيان) وهو الأحمر.

(إسماعيل بن إبراهيم) بن عليّة.

(هشام بن حسان) القردوسی، من الأثبات في ابن سيرين، وابن سيرين من الأثبات

في أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

التوبة صحيحة في كل وقت، ومن كل عبد، إلا في وقتين:

الوقت الأول: عند الغرغرة، كما في حديث ابن عمر خارج الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ

تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ»^(١).

والوقت الثاني: إذا طلعت الشمس من مغربها؛ لهذا الحديث (مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ

الشَّمْسُ مِنْ مَّغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فمن رجع من ذنبه إلى الله عَزَّوَجَلَّ قبل الله توبته، إن

تحقق شرطها:

الأول: الإخلاص لله عزَّ وجلَّ.

الثاني: أن تكون في زمن يقبل فيه التوبة.

الثالث: الإقلاع عن الذنب.

الرابع: الندم على فعل الذنب.

الخامس: العزم على عدم العود إلى الذنب.

السادس: إن كان الذنب بينه وبين غير الله **عَزَّوَجَلَّ** برد المظالم إلى أصحابها.

هذا إذا كان الذنب دون البدعة، فإن كان الذنب بالبدعة فيشترط الخمسة الشروط

السابقة مع زيادة: الإصلاح والبيان؛ لقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا

فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ [سورة البقرة: ١٦٠].

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٦١٦٠).

وإن كان الذنب نفاقا فيشترط فوق الخمس شروط أيضا، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [سورة النساء: ١٤٦]، أصلحوا ما أفسدوا، وأخلصوا في أعمالهم، ونصحوا في دينهم.

وإن كانت التوبة من الكفر فترك الكفر، ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٨].

وقد استوعبت هذه الشروط مع أدلتها في كتابي (شروط التوبة إلى الله).

ثم هنا مسألة: هل لا تقبل التوبة بعد طلوع الشمس مغربها في ذلك الحين أم في جميع الزمن الذي يكون بعد ذلك؛ لأن العلماء قد اختلفوا: هل تقوم الساعة بمجرد طلوع الشمس مغربها أم أن الحياة تستمر بعد ذلك؟ فقيل: تستمر عشرين سنة، وقيل: أربعين سنة، وقيل غير ذلك، وإنما تمنع قبول التوبة حين ذهولهم من طلوع الشمس من مغربها، أما من تاب بعد الذهول فلا حرج من قبول توبته، هذا إن ثبت ما قالوه والله أعلم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ

حتى وإن كنت تذكر الله لا تؤذي غيرك، ولو كان بقراءة القرآن، قال النبي ﷺ: «لَا يَجْهَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ فَيَكَلِّمُ يَنَاجِي رَبَّهُ»^(١).
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٤ - (٢٧٠٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١٩٠٢٢)، عن البياضى.

لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ»، قَالَ: وَأَنَا خَلَفُهُ، وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «قُلْ: لَا حَوْلَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١).

٤٤ - (٢٧٠٤) حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ جَمِيعًا عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، عَنْ عَاصِمٍ بِهِذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

٤٥ - (٢٧٠٤) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ يَعْنِي ابْنَ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا النِّمِيُّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي مُوسَى: أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُمْ يَصْعَدُونَ فِي ثَنِيَّةٍ قَالَ: فَجَعَلَ رَجُلٌ كُلَّمَا عَلَا ثَنِيَّةً نَادَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ قَالَ: فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ لَا تَنَادُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا» قَالَ: فَقَالَ: «يَا أَبَا مُوسَى أَوْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ؟» قُلْتُ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا حَوْلَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

٤٥ - (٢٧٠٤) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ أَبِيهِ، حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

٤٥ - (٢٧٠٤) حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ هِشَامٍ وَأَبُو الرَّبِيعِ قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ عَاصِمٍ.

٤٦ - (٢٧٠٤) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ الْحَذَّاءُ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ فِيهِ: «وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةٍ أَحَدِكُمْ» وَلَيْسَ فِي حَدِيثِهِ ذِكْرُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٩٩٢).

٤٧ - (٢٧٠٤) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ وَهُوَ ابْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ» أَوْ قَالَ: «عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى فَقَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

(كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ) وأسفار النبي ﷺ: سفر الهجرة، وقبل البعثة التجارية، وبعد ذلك الجهاد، والحج والعمرة، أربعة أسفار ذكرها أهل العلم.

(فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ) أي يرفعون أصواتهم به.

(ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) يعني أرفقوا بأنفسكم، وهونوا من رفع أصواتكم.

(إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ) معناه: أن نفي صفة الصمم إثبات لصفة السمع الواسع، المحيط بكل المسموعات لله عَزَّجَلَّ، كما قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ نَحْوَكُ مَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [سورة المجادلة: ١]، قالت عائشة: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، والله إنها لتكلم النبي ﷺ في جانب الحجرة، ويغيب عني بعض كلامها، فأنزل الله، وذكرت الآية.

(وَلَا غَائِبًا) بل شاهدا مطلعاً، وهو على عرشه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون.

(إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا) لأصواتكم قريباً منكم، وهو في علوه على عرشه.

(وَهُوَ مَعَكُمْ) معية علم وإحاطة، معية اطلاع وسمع وبصر وهو على عرشه، وإن كانت المعية الخاصة فتقتضي النصر والتأييد، والحفظ والكلاءة.

(أَلَا أَدُلُّكَ) أخيرك وأعلمك، (عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ) دليل على أن فيها كنوز غير هذا.

(لَا حَوْلَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) أي لا حول لنا على فعل أمر ولا قوة لنا على دفعه إلا بالله، إن أعان ووفق وسدد، وهذه كلمة عظيمة في قولها وفي اعتقادها، فهي دالة على

وقد جاءت عدة أحاديث في بيان أن هذه الكلمة من كنوز الجنة، وهذه الكلمة كثير من الناس يأتون بها عند المصيبة، وحققها أن يؤتى بها على تقرير الإيمان بالقدر والرضى بما يسره الله، والاستعانة بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

٤٨ - (٢٧٠٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي بَكْرٍ: أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا» وَقَالَ قُتَيْبَةُ: «كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(١).

٤٨ - (٢٧٠٥) وَحَدَّثَنِيهِ أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي رَجُلٌ سَمَّاهُ وَعَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ: أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ يَقُولُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِّيقَ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: عَلَّمَنِي يَا رَسُولَ

(۱) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (۸۳۴).

اللَّهُ دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، وَفِي بَيْتِي: ثُمَّ ذَكَرَ بِمَثَلِ حَدِيثِ اللَّيْثِ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «ظُلْمًا كَثِيرًا».

(أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ) يسأله العلم، والخير؛ لحرص أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الخير.

(دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي) دليل على أن الصلاة من مواطن استجابة الدعاء.
(اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا) وظلم الإنسان لنفسه واقع، إما بالكلام وإما بالفعل، وإما بالظنون والاعتقادات والخواطر.
(كَثِيرًا) أي بمعنى كبيرًا.

(وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ) كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٥]، هذا رد على الصوفيين ومن إليهم الذين يسألون المقبورين بمغفرة الذنوب، والتجاوز عن العيوب، بل يقول بعضهم:

يا محمد كن طيبي يا محمد كن حبيبي
وأجرني من لهيبي إن أوزاري ثقل

إلى غير ذلك من أقوالهم المسطرة عليهم في كتبهم وفي كتب غيرهم.
(فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ) يعني مغفرة يتجاوز بها الذنب، بل ربما أبدل السيئة حسنة.

(وَارْحَمْنِي) وفقني فيما يأتي من أعمالي حتى لا أعود إلى ذنوبي.

(إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ) المتجاوز، (الرَّحِيمُ) الموفق المسدد.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: قُلْ: «اللَّهُمَّ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ

شَرُّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهِ، قُلُهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ». أخرجه الترمذي

وهذا من حرص أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع تمام مراقبته لله عَزَّجَلَّ وحسن عبادته لله عَزَّجَلَّ، يسأل النبي ﷺ تعليم ما يتعين من الأذكار، لعل الله عَزَّجَلَّ أن ينفعه به، وهو تعليم لنا.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ، وَغَيْرِهَا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٩ - (٥٨٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهِؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ: «اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلَجِ وَالْبَرْدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْمَأْتَمِ وَالْمَغْرَمِ»^(١).
٤٩ - (٥٨٩) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكَيْعٌ، عَنْ هِشَامٍ بِهِذَا الْإِسْنَادِ.

وهذا الحديث قد تقدم في كتاب الصلاة، وتأتي بعض أحكامه فيما يلي من الأحاديث.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٣٩٧).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٧ / ٢٨): وأما استعاذته ﷺ من فتنه الغنى وفتنة الفقر فلائهما حالتان تخشى الفتنة فيهما بالتسخط وقلة الصبر والوقوع في حرام أو شبهة للحاجة ويخاف في الغنى من الأشر والبطر والبخل بحقوق المال أو إنفاقه في إسراف وفي باطل أو في مفاخر وأما الكسل فهو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة مع إمكانه وأما العجز فعدم القدرة عليه وقيل هو ترك ما يجب فعله والتسويق به وكلاهما تستحب الإعاذة منه قال الخطابي إنما استعاذ ﷺ من الفقر الذي هو فقر النفس لا قلة المال قال القاضي وقد تكون استعاذته من فقر المال والمراد الفتنة في عدم احتماله وقلة الرضا به ولهذا قال فتنة القبر ولم يقل الفقر وقد جاءت أحاديث كثيرة في الصحيح بفضل الفقر وأما استعاذته ﷺ من الهرم فالمراد به الاستعاذة من الرد إلى أرذل العمر، كما جاء في الرواية التي بعدها وسبب ذلك ما فيه من الخرف واختلال العقل والحواس والضبط والفهم وتشويه بعض المنظر والعجز عن كثير من الطاعات والتساهل في بعضها وأما استعاذته ﷺ من المغرم وهو الدين فقد فسره ﷺ في الأحاديث السابقة في كتاب الصلاة أن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف ولأنه قد يمطل المدين صاحب الدين ولأنه قد يشتغل به قلبه وربما مات قبل وفاته فبقيت ذمته مرتبهة به. اهـ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ التَّعَوُّذِ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَغَيْرِهِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٠ - (٢٧٠٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُليَّةَ قَالَ: وَأَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ» ^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٨٢٣).

٥٠ - (٢٧٠٦) وَحَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ كِلَاهُمَا عَنِ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ غَيْرَ أَنَّ يَزِيدَ لَيْسَ فِي حَدِيثِهِ قَوْلُهُ: «وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ».

٥١ - (٢٧٠٦) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ مُبَارَكٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ تَعَوَّذَ مِنْ أَشْيَاءَ ذَكَرَهَا وَالبُّخْلِ.

٥٢ - (٢٧٠٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا بِهِزُ بْنُ أَسَدٍ الْعَمِّيُّ، حَدَّثَنَا هَارُونُ الْأَعْوَرُ، حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ الْحَبَّابِ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو بِهِؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَالْكَسَلِ، وَأَرْذَلِ الْعُمْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ».

هذه كلمات عظيمة كان يستعيذ النبي ﷺ منهن، مع أنه ﷺ أحرص الناس على خير، وأقوى الناس على خير، وأكرم الناس، ومع ذلك يدعو بهذه الدعوات التي نحتاجها.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ) العجز: عدم القدرة على فعل الطاعة، وعلى فعل الخير، يكون الإنسان عاجزاً، إما ببدنه، وإما بماله، وإما بغير ذلك، فهذا الدعاء دعاء بعدم العجز المالي، بعدم العجز البدني بعدم العجز القولي، إلى غير ذلك من الأمور.

(وَالْكَسَلِ): عدم انبعاث النفس للخير، والفتور عن فعله، وعدم الرغبة في إمكان الخير، يكون غير عاجز لكنه كسل، الأول قد يكون عاجزاً مع عدم الكسل، لكن لا يستطيع أن يفعل هذا الخير، إما لمرض، وإما لقلّة، وإما لذلة، وإما لغير ذلك، والثاني قد يكون عنده الإمكانيات، ولكنه متلبس بالكسل، صفة ذميمة، صفة سيئة، ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ [سورة النساء: ١٤٢]، لا يأتي الخير مع قدرته عليه.

قال الإمام بن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في (مفتاح دار السعادة) (١/ ١١٣): وَالْعَجْزُ وَالْكَسَلُ قرينان، فإن تخلف مصلحة العبد وكماله ولذته وسروره عنه إما أن يكون مصدره عدم

الْقُدْرَةُ فَهُوَ الْعَجْزُ، أَوْ يَكُونُ قَارًا عَلَيْهِ لَكِنْ تَخَلَّفَ؛ لِعَدَمِ إِرَادَتِهِ فَهُوَ الْكَسْلُ، وَصَاحِبُهُ يَلَامُ عَلَيْهِ مَا لَا يَلَامُ عَلَى الْعَجْزِ، وَقَدْ يَكُونُ الْعَجْزُ ثَمَرَةَ الْكَسْلِ، فَيَلَامُ عَلَيْهِ أَيْضًا، فَكَثِيرًا مَا يَكْسِلُ الْمَرْءُ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي هُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، وَتَضَعِفُ عَنْهُ إِرَادَتُهُ، فَيَفْضِي بِهِ إِلَى الْعَجْزِ عَنْهُ، وَهَذَا هُوَ الْعَجْزُ الَّذِي يَلُومُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ: «إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ»^(١) وَإِلَّا فَالْعَجْزُ الَّذِي لَمْ تَخْلُقْ لَهُ قُدْرَةً عَلَى دَفْعِهِ وَلَا يَدْخُلُ مَعْجُوزُهُ تَحْتَ الْقُدْرَةَ لَا يَلَامُ عَلَيْهِ، قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ فِي وَصِيَّتِهِ: إِيَّاكَ وَالْكَسْلَ وَالضَّجْرَ؛ فَإِنَّ الْكَسْلَ لَا يَنْهَضُ لِمَكْرَمَةٍ، وَالضَّجْرَ إِذَا نَهَضَ إِلَيْهَا لَا يَصْبِرُ عَلَيْهَا. اهـ

(وَالْجُبْنُ): الْخَوَرُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحٌّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ". أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٥١١)، يَعْنِي جُبْنٌ يَخْلَعُ قَلْبَهُ خَلْعًا يَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ، وَمِنْ شُهُودِ الْخَيْرِ، وَمِنْ شُهُودِ أَمَاكِنِ الْجِهَادِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَالْجُبْنُ صِفَةُ نَفَاقِيَّةٍ، صِفَةُ يَهُودِيَّةٍ، صِفَةُ رَافِضِيَّةٍ، وَإِنَّمَا تَسَلَّطَتْ هَذِهِ الْأَشْكَالُ الْآنَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِسَبَبِ ضَعْفِ الْمُسْلِمِينَ الدِّينِيِّ، وَبِسَبَبِ الضَّعْفِ الْإِسْتِقَامَةِ.

(وَالْهَرَمُ): طَوْلُ الْعَمْرِ حَتَّى تَضَعِفَ قَوَاهُ، فَرُبَّمَا احْتِاجَ إِلَى مَنْ يَدْخُلُهُ الْحَمَامُ وَرُبَّمَا احْتِاجَ إِلَى مَنْ يُوْكَلُهُ الطَّعَامَ، وَرُبَّمَا احْتِاجَ إِلَى مَنْ يَرْشُدُهُ إِلَى الطَّرِيقِ، وَيَتَلَاعَبُ بِهِ الْغُلَمَانُ، وَيَسْخَرُ مِنْهُ الْوُلَدَانُ، وَتَزْدَرِيهِ النِّسَاءُ، وَيَحْتَقِرُّهُ الْقَرِيبُ، وَيُزْجِرُهُ الْبَعِيدُ فَلِذَلِكَ يَسْتَعِيزُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْهَرَمِ، أَنْ يَعِيشَ إِلَى أَنْ يَتَنَكَّرَ لَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، وَيَتَمَنَّى الْإِبْنُ مَوْتَهُ، وَالزَّوْجَةُ فِرَاقَهُ، بِسَبَبِ طَوْلِ الْعَمْرِ، وَعَدَمِ قِيَامِهِ بِشَأْنِهِ.

(وَالْبُخْلُ) الْإِسْتِعَاذَةُ مِنَ الْبَخْلِ، وَهُوَ مَنْعُ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ مِنْ نَفَقَاتٍ، أَوْ زَكَوَاتٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٣٧]، وَهُوَ صِفَةُ ذَمِيمَةٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنْ الْبُخْلِ»^(٢).

(١) هَذَا الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: (٤١٢٢)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



(وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ) (عذاب القبر): العذاب الذي يلقيه المستحق في قبره، والفتنة هي السؤال في القبر، وما يلحقه كذلك، فتنة المحيا: الفتن الكثيرة التي تكون في دنياه من المعاصي والسيئات والبلايا والرزايا، وفتنة الممات: الانحراف عند الموت، فكثير من الناس ينحرفون عند الموت، ولذلك جاء في الحديث: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ غَمًّا، أَوْ هَمًّا، أَوْ أَنْ أَمُوتَ غَرَقًا، وَأَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ»** ^(١).
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٣ - (٢٧٠٧) حَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، حَدَّثَنِي سُمَيُّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ دَرْكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ شِمَاتِهِ الْأَعْدَاءِ، وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، قَالَ عَمْرُو فِي حَدِيثِهِ: قَالَ سُفْيَانُ: أَشْكُ أَنِّي زِدْتُ وَاحِدَةً مِنْهَا ^(٢).

وهذا حديث من جوامع كلم النبي ﷺ.

أعوذ بك (من سوء القضاء) أي: مما ينزل من الأقضية التي قد تتعب الإنسان في دينه، وفي بدنه، أو في أهله، أو غير ذلك.
(ومن درك الشقاء) يعني أن يدركه الشقاء والشدة، ويدركه الانحراف والردة فهي أسوأ ما يكون من الشقاء.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٨٦٦٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٣٤٧).

(وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ) يعني ما يلحقه من البلاء، من كثرة العيال، وقلة المال، حتى يجهد، ويلحقه الشقاوة، وغير ذلك.

فالإنسان يستعيد بالله عَزَّوَجَلَّ من سوء القضاء في الدين والدنيا، والبدن والمال والأهل، وحتى عند الخاتمة، ويستعيد بالله أن يدركه الشقاء من تسلط الأعداء، وأذية البعداء، وهكذا، مما يلحقه من جهد البلاء، وحمل ما لا يتحملة.

(وَمِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ) سخريتهم واستهزائهم، وقد قال هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَا تُشِمِتْ بِئِ الْأَعْدَاءَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٠] فالإنسان يحرص أن لا يشمت به الأعداء، فإن الأعداء يسخرون من عدوهم إذا ضعف، وإذا قل ماله، وإذا كثر أعداؤه، وإذا لحقه النقص، وهذه السخرية وهذا الاستهزاء يتعب الإنسان، حتى قيل:

وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتِينَ أَرْيَهُمْ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٤ - (٢٧٠٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ وَاللَّفْظُ لَهُ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ يَعْقُوبَ أَنَّ يَعْقُوبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ بُسْرَ بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمِ السُّلَمِيَّةِ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ».

٥٥ - (٢٧٠٨) وَحَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ وَأَبُو الطَّاهِرِ كِلَاهُمَا عَنِ ابْنِ وَهْبٍ وَاللَّفْظُ، لَهُارُونَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَأَخْبَرَنَا عَمْرُو وَهُوَ ابْنُ الْحَارِثِ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ أَبِي حَبِيبٍ وَالْحَارِثُ بْنُ يَعْقُوبَ حَدَّثَاهُ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَشَجِّ، عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمِ السُّلَمِيَّةِ أَنَّهَا

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ».

هذا دعاء عظيم، يقوله الإنسان إذا نزل منزلاً، سواء كان المنزل بلدة، أو بيتاً أو مكاناً حتى للنزهة، أي مكان تخرج فيه قبل أن تحط رحالك ادع بهذه الدعوات.
 (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ) الكلمات القدريات، التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر.
 (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) يعني من شر كل ذي شر هو آخذ بناصيته، من شر الحيات والشعابين، ومن شر الجن والشياطين، ومن شر الإنسان، ومن شر النفس، ومن غير ذلك.

(لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ) حتى وإن أودى بشيء من الأذى لكن لا يضره، وإن لقصته العقرب تؤذيه ولا تضره، وهكذا، وقد جاء هذا الحديث بنصه من أذكار المساء، (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ)، وسيأتي أنه قال: «أَمَّا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ».

وجاء خارج الصحيح أن يقولها ثلاثاً، مع أن في السند كلام، لكن من قالها ثلاثاً لا ينكر عليه، والله أعلم.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٥ - (٢٧٠٩) قَالَ يَعْقُوبُ، وَقَالَ الْقَعْقَاعُ بْنُ حَكِيمٍ، عَنْ ذَكْوَانَ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغْتَنِي الْبَارِحَةَ قَالَ: «أَمَّا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ».

٥٥ - (٢٧٠٩) وَحَدَّثَنِي عِيسَى بْنُ حَمَّادٍ الْمِصْرِيُّ، أَخْبَرَنِي اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ يَعْقُوبَ: أَنَّهُ ذَكَرَ لَهُ أَنَّ أَبَا صَالِحٍ مَوْلَى عَطْفَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَدَغْتَنِي عَقْرَبٌ، بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ وَهْبٍ.

مع أنه قد أصابته العقرب بلدغة ونحو ذلك إلا أنها لم تضره؛ لأنه استعاذ بكلمات الله التامات.

وهذا دليل على أن كلام الله **عَزَّوَجَلَّ** غير مخلوق، إذ لو كان الكلام مخلوقاً ما جاز الاستعاذة به، فليفهم هذا، فإنه من أوجه الرد على المعتزلة والجهمية، ومن إليهم ممن يزعم أن كلام الله **عَزَّوَجَلَّ** مخلوق.

وفي الحديث جواز الشكوى للمصاب ونحوه.

قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ، وَأَخَذِ الْمَضْجَعِ

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

٥٦ - (٢٧١٠) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَاللَّفْظُ لِعُثْمَانَ قَالَ: إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، حَدَّثَنِي الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْبَجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلَامِكَ، فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ».

قَالَ: فَرَدَدْتُهِنَّ لِأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلْتُ: آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»^(١).

٥٦ - (٢٧١٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ إِدْرِيسَ قَالَ: سَمِعْتُ حُصَيْنًا، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٤٧).

الْحَدِيثِ غَيْرَ أَنَّ مَنْصُورًا أَتَمَّ حَدِيثًا، وَزَادَ فِي حَدِيثِ حُصَيْنٍ: «وَأِنْ أَصْبَحَ أَصَابَ خَيْرًا».

٥٧ - (٢٧١٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَبُو دَاوُدَ قَالَا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ عُبَيْدَةَ يُحَدِّثُ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَالْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مَاتَ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ»، لَمْ يَذْكُرْ ابْنُ بَشَّارٍ فِي حَدِيثِهِ: مِنَ اللَّيْلِ.

٥٨ - (٢٧١٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ: «يَا فُلَانُ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ»، بِمِثْلِ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «وَبَنِيَّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيْرًا».

٥٨ - (٢٧١٠) حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ: أَنَّهُ سَمِعَ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ يَقُولُ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا، بِمِثْلِهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ: وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيْرًا.

(سعد بن عبيدة) سمع من ابن عمر إلا حديث: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» أخرجه الترمذي ^(١).

(إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ) أي للنوم، وهو في الليل أكد؛ لما يأتي في الرواية الأخرى: (إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ).

(فَتَوَضَّأَ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ) أي الوضوء الشرعي، لأن الوضوء قد يطلق على التمسح بالماء، أو على غسل بعض الأعضاء، لكن (وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ) معناه الوضوء الشرعي. (ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ) وكل هذا للاستحباب وليس للوجوب، فإن النبي ﷺ كان يضطجع على شقه الأيمن، يقولون طيباً: أنفع من النوم على الأيسر؛ لأن النوم عن الأيسر يشتد معه النوم، ويستغرق معه في ذلك، حتى لربما فاتته الصلاة.

والذي يهمننا: أن النبي ﷺ كان يعجبه التيمن، هذا أفضل وأحسن من التعليل الأول، كان يعجبه التيمن.

(ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ) استسلمت لك بالتوحيد، وانقدت لك بالطاعة.

(وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ) إيمان بالقدر، وصبر على القضاء، ورضا بما قضاه الله وقدره، فالتفويض هو الاستسلام التام لله ﷻ، وإذا فوض المرء أمره إلى الله نصره الله، وحفظه، وأعانه، وسدده، ووقفه، وإن حصل عليه شيء من المنغصات فلله فيها الحكمة.

(وَأَلْبَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ) سواء من المنغصات الحسية أو المعنوية، يلتجأ الإنسان إلى ما يسان فيه ويحاط.

(رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ) فعلت ذلك رغبة وطمعاً فيما عند الله، ورهبة: خوفاً وجزعاً أن يفوته ما عند الله، والله ﷻ يُعبد بالرغبة والرهبة والمحبة.

(لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ) إخبار عن حال العبد مع الله، مهما كثرت الملاجئ لا تلجئك إن أراذك الله، ولا ملجأ منه إلا إليه، ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [سورة الذاريات: ٥٠].

(أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ) إقرار بوحي الله ﷻ المنزل على محمد ﷺ.



(وَبَيْنِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) وكل رسول نبي، إلا أنه ذكره بالنبوة وأخبر عنه بالرسالة، وهو محمد ﷺ، والإقرار به يتضمن: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاز عما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

(وَاجْعَلُهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلَامِكَ) يعني بعد أن تأتي بغيرها من الأذكار، أو تأتي بما تيسر من الأدعية والكلام الذي تحتاجه.

(فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ) أي فطرة الإسلام، وختم لك بالخير، ومن مات على الخير بعث عليه، «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ».

(قَالَ: فَرَدَدْتُهُنَّ لِأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلْتُ: آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) فيه أن الطالب يحتاج إلى مراجعة المسموع، لا يكتفي بما تقرر في قلبه أنه قد حفظ، الحفظ خوان، لا بد أن تراجع المسموع، بإعادة كتابته، أو بإعادة نطقه، حتى يحفظ ويفهم.

(قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) فيه أن الإنسان قد يروي بالمعنى في بعض المواطن ولا يصح، لا سيما في باب الأذكار، فبابها توقيفي.

وهذا حديث عظيم، تضمن اللجوء إلى الله، وحسن الظن به، والتفويض إليه، وما كان هذا شأنه فهو الخير العظيم.

(وَإِنْ أَصْبَحَ أَصَابَ خَيْرًا) يعني إن أحياه الله بعد موته الصغرى فهو موعود بالخير الدنيوي والخير الآخروي، فمثل هذا ينبغي أن لا يفرط فيه السائر إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ لما فيه من المنافع الحالية والمآلية:

أولاً: قد يُحفظ العبد في ليله بسبب هذا الدعاء الطيب.

ثانياً: علامة خير وخاتمة حسنة.

ثالثاً: من حافظ عليه أصاب خيراً، سواء كان الخير خيراً دنيوياً أو آخروياً.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٩ - (٢٧١١) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي مُوسَى، عَنِ الْبَرَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا، وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ»، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

(اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا، وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ) تبرك باسم الله، وما في ذلك من جلب المنافع ودفع المضار.

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا) الموتة الصغرى، ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [سورة الزمر: ٤٢].

(وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) إليه البعث بعد الموت، فحياتك بيد الله، وموتك بيد الله فاشكره واحمده على الحالين.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٠ - (٢٧١٢) حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعَمِّيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ قَالَا: حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ خَالِدٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ يُحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاعْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ عُمَرَ؟ فَقَالَ: مِنْ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ ابْنُ نَافِعٍ فِي رِوَايَتِهِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، وَلَمْ يَذْكُرْ: سَمِعْتُ.

(اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا) توسل لخلق الله عزَّ وجلَّ لنفسه، ولوفاته لها، ولأنه لا يعجزه شيء، توسل إلى الله بأفعاله.

(لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا) إذا كانت طائعة، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢]، أو أنه يتعين على كل نفس أن تكون سالكة هذا المسلك،
حياتها لله ومماتها لله، وهذا الذي ينتفع في حياته.
(إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَأَحْفَظْهَا) الأمر أمرُك، لكن أسألك حفظها والإحاطة لها من
المنغصات والمكدرات، والمؤذيات والمتلفات.

(وَإِنْ أَمَتَهَا فَاغْفِرْ لَهَا): تجاوز عنها.
(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ) سؤال العافية من أعظم ما يدعى الله به، وفي الحديث: «يا
عم يا عباس سل الله العافية، فما أوتي أحد بعد اليقين خيرا من العافية»، أخرجه أحمد،
وقال النبي ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية»، متفق عليه عن ابن أبي أوفى،
فلا أعظم من عافية البدن وعافية الدين، وعافية الدنيا والآخرة، وقال رسول الله ﷺ:
«اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ»^(١).

وفي حديث ابن عمر: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ، حِينَ يُصْبِحُ
وَحِينَ يُمْسِي: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ
وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي» الحديث، أخرجه أبو داود^(٢)، وهو في
(الصحيح المسند)^(٣) لشيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٢٠٤٣٠)، عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حديث رقم: (٥٠٧٤).

(٣) حديث رقم: (٧٦٥).

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٦١ - (٢٧١٣) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهِيلٍ قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا، وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ أَقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ، وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

٦٢ - (٢٧١٣) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَيَانَ الْوَاسِطِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ: يَعْنِي الطَّحَّانَ، عَنْ سُهِيلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا إِذَا أَخَذْنَا مَضْجَعَنَا أَنْ نَقُولَ بِمِثْلِ حَدِيثِ جَرِيرٍ، وَقَالَ: «مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا».

٦٣ - (٢٧١٣) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ، حَدَّثَنَا أَبِي كِلَاهُمَا عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَتْ فَاطِمَةُ النَّبِيَّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَقَالَ لَهَا: قُولِي: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ بِمِثْلِ»، حَدِيثِ سُهِيلٍ عَنْ أَبِيهِ.

(كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ) حث الأبناء على الطاعة، والتذكير لهم،

فينسون كثيرا، فإن قُرب الطعام قل: بسم الله، ذكرهم به، إن كان عند النوم قل لهم: بسم الله، ونحو ذلك، يُذكرون ويعلمون.

(اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا، وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ)

يتوسل إلى الله عزَّ وجلَّ بربوبيته العامة المطلقة، المحيطة بكل مريبوب، بدأ بالخصوص

(رَبَّ السَّمَاوَاتِ) العليات المرتفعات، (وَرَبَّ الْأَرْضِ) المبسوطة المفروشة، (وَرَبَّ

الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) الكبير الواسع، ثم (رَبَّنَا، وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ)، من المخلوقات والمربوبات.

(فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى) فيخرج منه الزرع، وأيضا ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [سورة الأنعام: ٩٦]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [سورة الفلق: ١].

(وَمُنْزَلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ) التوراة أنزلها على موسى، والإنجيل على عيسى، والفرقان على محمد ﷺ.

(أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهِ) ألجأ إليك وأستجير من شر كل شيء، فيدخل فيه شر الإنس والجان، وشر جميع الحيوان، الشرور الحسية والمعنوية، (أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهِ)؛ لأن ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها.

(اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ) ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الحديد: ٣]، لكن استشكل هنا كيف فسر الأول الذي هو اسم دال على الإثبات بالنفي (فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ) والأصل الوصف بالإثبات؟ قيل: أراد بيان أن الأولية التي يتصف بها الله عزَّجَل هي الأولية المطلقة، إذ لم يسبق بعدم، ولا يلحقه فناء، بخلاف بقية الموجودات المخلوقات المربوبات مسبوقه بعدم ويلحقها فناء، إلا ما كتب الله له البقاء، أما الله عزَّجَل فالأول الذي ليس قبله شيء.

(وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ) الآخرة المطلقة، حتى بقاء الجنة والنار بإبقاء الله لهما.

(وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ) الظاهر على عرشه، البائن من خلقه، وهذا دليل على صفة العلو.

(وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ) باطن وهو في علوه، وقريب وهو في علوه، فلا يلزم اتحاداً ولا اختلاطاً.

وهذه الأسماء الأربعة دلت على الإحاطة الزمانية والمكانية، الأول والآخر الإحاطة الزمانية، والظاهر والباطل الإحاطة المكانية.

(اقضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ) والإنسان إذا دعا بقضاء الدين يدعو بالسعة أيضا.

(اقضِ عَنَّا الدَّيْنَ) يسر قضاءه والفرج منه، فكما قيل: لا هم إلا هم الدين، ولا وجع إلا وجع العين.

(وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ)؛ لأنه إذا قضي الدين وبقي الفقر عاد الدين. وهذا الحديث ليس فقط من أذكار النوم، بل هو ذكر عام، لا سيما (أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهِ) تدعوه في أغلب أوقاتك ولحظاتك، لا سيما مع كثرة المتربصين بأهل الحق.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٤ - (٢٧١٤) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبَرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَلْيُسَمِّ اللَّهَ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجَعَ فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَلْيَقُلْ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي بِكَ وَضَعْتُ جَنِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَاعْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»^(١).

٦٤ - (٢٧١٤) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ: «ثُمَّ لْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنِي، فَإِنْ أَحْيَيْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا».

(إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ) لنوم الليل.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٣٢٠).



(فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ) طَرَفُهُ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَنْفُضَ فِرَاشَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، لِيَلَّا يَكُونَ فِيهِ حَيَّةٌ أَوْ عَقْرَبٌ أَوْ غَيْرُهُمَا مِنَ الْمُؤْذِيَّاتِ، وَلِيَنْفُضَ وَيَدُهُ مَسْتُورَةٌ بِطَرَفِ إِزَارِهِ، لِيَلَّا يَحْصُلَ فِي يَدِهِ مَكْرُوهٌ إِنْ كَانَ هُنَاكَ.

(وَلْيُسَمِّ اللَّهَ) تسمية الله متعينة في كثير من الأوقات، عند النوم، وعند نفض الفراش، وعند فتح الباب، وعند غلقه، وعند الشرب والأكل، وعند الخروج والدخول، في مواطن ذكرتها بأدلتها في شرحي على (العقيدة الوسطية).

(فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلَقَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ) قد تكون هوام حسية كالعقارب والحيات ونحو ذلك، وقد تكون غير ذلك من الجن ونحو ذلك.

وأغلب الهوام الحسية إنما تلدغ أو تأخذ الإنسان إذا حاصرها، بينما لو وجدت لها ملجأ هربت، حتى الثعبان، إلا أن يكون من ذوي الطفنتين ونحو ذلك من التي شرها شديد، وإلا الغالب أن الحيوان إذا وجد له مكانا للفرار فر، فلا تضيق عليه، لو ضيقت عليه ربما هجم عليك، بينما أبق له مكانا للهروب تسلم من شره.

(سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) تنزيه لله عن النقائص.

(رَبِّي بِكَ وَضَعْتُ جَنِبِي) بمعنى: باسمك اللهم وضعت جنبي.

(وَبِكَ أَرْفَعُهُ) يعني بعد النوم.

(إِنْ أَمْسَكَتْ نَفْسِي فَأَغْفِرْ لَهَا) إن توفيتها فتجاوز عنها، (وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا) بعد نومها (فَاخْفِظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ) حيث يوفقون للمبرات والطاعات، ويدافع الله عنهم المؤذيات، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [سورة الحج: ٣٨].

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٥ - (٢٧١٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا، وَسَقَانَا، وَكَفَانَا، وَأَوَانَا فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ، وَلَا مُؤْوِيَّ».

وهذا حمد عام.

(أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ) أتى فراشه أي للنوم.

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا) أي من الطعام، (وَسَقَانَا) أي من الشراب.

(وَكَفَانَا) ما يهمننا ويؤذينا من الحسيات والمعنويات.

(وَأَوَانَا) يعني بدل النوم في الصحاري والبراري، وعدم وجود المسكن، سكنوا في أحسن ما يكون من الحال.

(فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ، وَلَا مُؤْوِيَّ) بعض الناس تجده ينام في الشوارع، وأنت من الله عليك بماوى وسكن، وربما بيت، فما أعظم ما يكرم الله عزَّجَلَّ به الناس! ولكن أكثر الناس لا يشكرون، ولا يتوبون، ولا يستغفرون.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٦ - (٢٧١٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى، قَالَا: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ هِلَالٍ، عَنْ فَرَّوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِ اللَّهُ قَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ».

٦٦ - (٢٧١٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ هِلَالٍ، عَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ دُعَاءٍ كَانَ يَدْعُو بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمَلْتُ، وَشَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ».

٦٦ - (٢٧١٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَبَلَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ حُصَيْنٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ: وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ.

٦٧ - (٢٧١٦) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي لُبَابَةَ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، عَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمَلْتُ، وَشَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ».

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ) من شر ما عملت أن يتجاوز الله ويدفع عنه ضررها وإثمها، ومن شر ما لم يعمل أن يقيه الله عَزَّوَجَلَّ ويرفع، فالإنسان يدعو الله بالخير، كما جاء خارج الصحيح: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ»، وهناك شُرور لا تعلمها أكثر من الشرور التي تعلمها، فأنت تدعو الله عَزَّوَجَلَّ أن يسلمك، وأن يغنمك، وأن ينجيك الشر. وانظر إلى السلف كيف كانوا يسألون عن دعاء النبي ﷺ؛ ليعملوا بذلك وليستجيبوا.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٨ - (٢٧١٧) حَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، حَدَّثَنِي ابْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ،

وَالَيْكَ أَنْبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»^(١).

قد تقدمت بعض هذه الألفاظ في كتاب الصلاة عن ابن عباس نفسه، في الحديث الطويل الذي كان يأتي به النبي ﷺ في بداية قيامه.

(اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ): استسلمت وانقدت.

(وَبِكَ آمَنْتُ): أقررت وعملت.

(وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ): اعتمدت.

(وَالَيْكَ أَنْبْتُ): رجعت.

(وَبِكَ خَاصَمْتُ): عدوي، سواء الخصام الحسي أو المعنوي، فإن كان الله معك انتصرت، وإن لم يكن معك خذلت.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ): الاستعاذة بالصفة، دليل على أنها غير مخلوقة، ولو كانت مخلوقة ما جاز له أن يستعيز بها، قد قال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه: ﴿لَيْتَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [سورة الزمر: ٦٥]، فالاستعاذة بالصفة مشروع، ودعاء الصفة ممنوع، وقد ذهب شيخ الإسلام وغيره إلى أن دعاء الصفة كفر، فلا يجوز أن تقول: يا وجه الله اغفر لي أو ارحمني، وإنما تقول: يا الله، يا رحمن، يا سمیع، إلى غير ذلك من الأسماء، لأن الله يقول "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها".

(لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) توحيد، والتوحيد من أسباب استجابة الدعاء، ولذلك قال يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧].

(أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي) تفتني عن سبيل الهداية فإن الهدى والضلال من الله، يهدي من يشاء فضلاً، ويضل من يشاء عدلاً، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت: ٤٦].

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٣٨٣).

(أَنْتَ الْحَيُّ) دليل على الحياة الأزلية الأبدية، (الَّذِي لَا يَمُوتُ) صفة سلب، متضمنة لإثبات الحياة الكاملة من كل وجه، والأصل أن الله يوصف بالإثبات، والنفي يؤتى به؛ لدفع توهم نقص، ودفع ما ادعاه في حقه المبطلون، وبيان عموم الكمال.

(وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ) قد قال الله عزَّوجلَّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]، فالجن والإنس يموتون، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، ثم يُبعثون يوم القيامة، فيجازيهم الله بأعمالهم.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٦٩ - (٢٧١٨) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَسْحَرَ يَقُولُ: «سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا رَبَّنَا صَاحِبِنَا وَأَفْضَلِ عَلَيْنَا عَائِدًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ».

(وَأَسْحَرَ) يعني هذا الذكر قبل طلوع الفجر، يأتي به المسافر، يقول: (سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ) كأنه يقول: سمع من يسمع بتوفيق الله، وتسديد الله، وعون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قال النووي رحمه الله: وَأَمَّا (سَمِعَ سَامِعٌ) فَرُوي بوجهين: أَحَدُهُمَا: فَتَحَ الْمِيمِ مِنْ (سَمِعَ) وَتَشْدِيدُهَا. وَالثَّانِي: كَسَرُهَا مَعَ تَخْفِيفِهَا.

وَاخْتَارَ الْقَاضِي هُنَا وَفِي (الْمَشَارِقِ) وَصَاحِبُ (الْمَطَالِعِ) التَّشْدِيدَ، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ رِوَايَةٌ أَكْثَرُ رِوَاةٍ مُسْلِمٍ، قَالَا: وَمَعْنَاهُ بَلَغَ سَامِعٌ قَوْلِي هَذَا لِعِغْرِهِ، وَقَالَ مِثْلُهُ، تَنْبِيْهَا عَلَى الذِّكْرِ فِي السَّحَرِ، وَالذُّعَاءِ فِي ذَلِكَ، وَضَبَطَهُ الْخَطَّابِيُّ وَآخَرُونَ بِالْكَسْرِ وَالتَّخْفِيفِ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: مَعْنَاهُ: شَهِدَ شَاهِدٌ عَلَى حَمْدِنَا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ وَحُسْنِ بَلَائِهِ.

وَقَوْلُهُ: **(رَبَّنَا صَاحِبِنَا وَأَفْضَلُ عَلَيْنَا)** أَي: احْفَظْنَا، وَحُطَّنَا، وَاکْلَأْنَا، وَأَفْضَلُ عَلَيْنَا بِجَزِيلِ نِعَمِكَ، وَاصْرِفْ عَنَّا كُلَّ مَكْرُوهِ.
وَقَوْلُهُ: **(عَائِدًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ)** مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ، أَي: أَقُولُ هَذَا فِي حَالِ اسْتِعَاذَتِي وَاسْتِجَارَتِي بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ.
قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٧٠ - (٢٧١٩) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي، وَعَمْدِي وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»** ^(١).
٧٠ - (٢٧١٩) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الصَّبَّاحِ الْمِسْمَعِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ.

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي) المراد بالجهل هنا: الطيشان والتجاوز، لا الجهل عدم العلم، فإن عدم العلم مغفور.

(وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي) الإسراف: هو التجاوز في الأمر بخلاف الشريعة.

(وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي) أي من ذنوبي التي علمتها أو لم أعلمها.

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَدِّي): ما فعله ناويا له، **(وَهَزْلِي)**: ما فعله مستهزئاً ساخراً.

(وَخَطِيئِي، وَعَمْدِي) مع أن الخطأ مغفور، **﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾**

[سورة البقرة: ٢٨٦] لكن الإنسان يدعو الله بعدم المؤاخذه جملة، وموسى عليه السلام

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٣٩٨).

حين قتل القبطي خطأ ما زال مستغفراً: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الفصل: ١٦].

(وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي) أي ما تقدم.

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ): ما قدمته من الأعمال، وما لم أفعله بعد.

(وَمَا أَسْرَرْتُ) بحيث لا يعلم به أحد إلا أنت.

(وَمَا أَعْلَنْتُ) بحيث كان ظاهراً للعيان.

(أَنْتَ الْمُقَدِّمُ) يعني: تقدم من تشاء وترفع من تشاء.

(وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ) تؤخر من تشاء بعدم التوفيق والتسديد.

(وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) لا يعجزك شيء في السماوات ولا في الأرض.

قال النووي رحمه الله: يُقَدِّمُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ إِلَى رَحْمَتِهِ بِتَوْفِيقِهِ، وَيُؤَخِّرُ مَنْ يَشَاءُ

عَنْ ذَلِكَ لِخِذْلَانِهِ. اهـ

والنبي ﷺ يقول هذا وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبها وما تأخر؛ تعليماً لأمته، فإن

كان النبي ﷺ يأتي بهذا الشيء مع ما قد علم من حاله ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١﴾

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢﴾

[سورة الفتح: ١-٢] فكيف بنا نحن؟ أصحاب الذنوب والمعاصي، والتجاوزات،

والأخطاء الكثيرات، والله المستعان.

أبو الفضل الشهيد أعل قريباً من سبعين حديثاً، بعضها لا يوافق على إعلاله وبعضها

قد يوافق عليه، من استطاع أن يقرأ كتابه أبي الفضل بن الشهيد يمكن أن يقرأه مجلس

واحد، ويستفيد منه، قتل يوم غزو القرامطة للبيت الحرام، وسمي الشهيد؛ لهذا

المقصد، من علماء المسلمين، الله المستعان. والحمد لله رب العالمين.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧١ - (٢٧٢٠) حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ، حَدَّثَنَا أَبُو قَطَنٍ عَمْرُو بْنُ الْهَيْثَمِ الْقُطَيْبِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونِ، عَنْ قُدَامَةَ بْنِ مُوسَى، عَنْ أَبِي صَالِحِ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ».

هذا الحديث قد جاء عن الزبير بن العوام، وهو في (الصحيح المسند) بلفظ: «اللهم بارك لي في ديني» إلى آخره.

فمعنى: (اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي): بارك لي في ديني بحيث أعمل فيه بالصلاح، وألتزم الشريعة، ظاهراً وباطناً، حضراً وسفراً، كبراً وشباباً، إلى غير ذلك مما هو معلوم، وإذا بارك الله لك في دينك سهل عليك العمل، والعلم والاستقامة، وقبل الله منك ما تعمله وتقربه.

(الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي) أي عصمة من الزلل، من البدعة، من الشرك، من الخطأ سبيل للتوبة والاستغفار والإنابة، وإذا صلح الدين صلحت الدنيا والآخرة، ومع ذلك قال:

(وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي) يصلحها من حيث الأمن والأمان، والسلامة من الأمراض والأسقام، وحسن الجوار، وحسن الزوجة، وبر الأولاد والرزق الحسن، فالإنسان قد لا يستقيم دينه إلا مع استقامة دنياه، ولو الاستقامة التي لا بد منها، فالطبيعة البشرية اقتضت: أن الإنسان إذا حزن قلبه تغير حاله، ضاق صدره إلى غير ذلك، فلهذا سأل الله عَزَّوَجَلَّ صلاح الدنيا.



(وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي) وصلاحها إنما يكون بصلاح الدين، دعا بصلاح الآخرة التي فيها المعاد والبعث والنشور، وصلاحها برضى الله، ودخول الجنة، فهذا من الأحاديث الجوامع التي بها صلاح الدنيا والآخرة.

(وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ)؛ لأنه قد تقدم أن النبي ﷺ نهى عن سؤال الموت، لكن يدعو الإنسان أن تكون حياته في الخير، وأن يكون الموت راحة من الشر والضير، أما إذا كانت الحياة بخير فحياته خير له، وإذا كان الموت سلامة من شر فموته خير له، والمؤمن لا يزيده عمره إلا خيرا.

وفي مسند أحمد عن عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ السُّلَمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: أَخَى النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، قُتِلَ أَحَدُهُمَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ مَاتَ الْآخَرُ فَصَلُّوا عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا قُلْتُمْ؟" قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ أَلْحِقْهُ بِصَاحِبِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "فَأَيْنَ صَلَاتُهُ بَعْدَ صَلَاتِهِ؟ وَأَيْنَ صِيَامُهُ أَوْ عَمَلُهُ بَعْدَ عَمَلِهِ؟ مَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ".

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢ - (٢٧٢١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى».

٧٢ - (٢٧٢١) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ غَيْرَ أَنَّ ابْنَ الْمُثَنَّى قَالَ فِي رِوَايَتِهِ: «وَالْعِفَّةَ».

(عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وهو بن مسعود.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى)؛ الهداية والسداد، والتوفيق، والعلم والعمل؛ لأن الهداية كلمة عامة، يدخلها ابتداء هداية التوفيق، ويدخلها هداية العلم، والهداية إلى الجنة، والسلامة من النار.

(وَالْتَقَى) أن يكون متقيا لله عَزَّوَجَلَّ، وهو: فعل المأمور، وترك المحذور والصبر على المقدور.

(وَالْعَفَافُ) عفة الفرج، وعفة البدن، وعفة النفس، عن الحرام، والآثام، والتطلع إلى ما في أيدي الأنام.

(وَالْغِنَى) قد يراد به غنى النفس، وهكذا قد يراد به غنى المال، بحيث يستغني عن التطلع إلى ما في أيدي الناس إذا فتح الله عليه بشيء.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣ - (٢٧٢٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ نُمَيْرٍ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، وَعَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا.»

(لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ) فيه الدلالة على أفعال وأقوال النبي ﷺ؛ لما في ذلك من حسن التأسى والانقياد.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ) التجئ إليك وألوذ بك من (الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ) تقدم الكلام عليهما، وأن العجز قد يكون سببه عجز بدني بغير كسل، وأن الكسل قد يكون سببا للعجز، فالإنسان يستعيز بالله من عجز البدن، ومن الكسل عن فعل الخيرات.

(وَالْجُبْنِ) لا سيما الجبن الخالع، الذي يؤدي إلى ترك الواجبات، وفعل المحرمات.

(وَالْبُخْلِ) البخل بما وجب عليه من المال، وكذلك البخل بفعل الطاعات والقربات، «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدُهُ، ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(١) كما قال النبي ﷺ، فمن لم يفعل القربات ببخل، فالإنسان يستعيز من هذه الصفات الذميمة.

(وَالْهَرَمُ): طول الحياة حتى يلحقه العجز عن القيام بشأن نفسه، وعن القيام بطاعة ربه وربما عاد إلى سن الطفولة، يلعب به الصبيان.

(وَعَذَابِ الْقَبْرِ) وقد تقدم.

(اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا) يعني: أعطها تقواها.

(وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿[سورة الأعلى: ١٤-١٥]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿[سورة الشمس: ٩-١٠]، وأعظم ما تزكو به النفس: التوحيد والمتابعة، والعلم والعمل، ودعاء الله عَزَّوَجَلَّ بصلاحها ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٢٩]، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [سورة النور: ٢١].

فأعظم ما تزكو به النفس: أن يوفقها الله للزكاة، وقد تزكوا بالعلم، وهو من توفيق الله، وتزكوا بالعمل، وتزكوا بمجالسة الصالحين، وتزكو بالدعاء، وتزكوا بفعل المبرات والطاعات، والبعد عن الآثام، والمعاصي والسيئات.

(أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا) والله يتولى الصالحين، وينصرهم، ويحفظهم، ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٦].

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١٧٣٦).

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ)؛ لأن العلم كثير، حتى علم الكتاب والسنة قد يناله إنسان ولا ينتفع به، لا يعمل به، فيكون حجة عليه، كما في الحديث: **«والقرآن حجة لك أو عليك»**، فالإنسان يستعيز بالله من علم لا ينفع، كما أن يسأل الله علماً نافعا. **(وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ)؛** لأن خشوع القلب مؤداه إلى خشوع الظاهر، وإذا ساء حال القلب مع هذه العبادة الجليلة، ساء حاله في الظاهر، وفي الحديث: **«لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ»**^(١)، والصحيح وقفه على سعيد بن المسيب.

(وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ) يستعيز بالله من النفس التي لا تشبع، ولا تقنع، ولا ترضى فالإنسان ينبغي له أن يرضى بما قدره الله وقضاه، ويستغني، **«وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفَهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ»**، ولذلك جاء في الحديث: **«وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، ثُمَّ يَتَوَبُّ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»**، يعني لا يشبع حتى يوضع في القبر ويملاً بالتراب، فعند ذلك يرى أن هذه الحياة ليست بشيء.

(وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا)؛ لأن الإنسان قد يدعو ويدعو ولا يستجيب الله له؛ لسوء حاله، لسوء مأكله، ومشربه، لظلمه، لتعديه، فلذلك يسأل الله أن يرزقه الدعوة المستجابة.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٧٤ - (٢٧٢٣) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُوَيْدٍ النَّخَعِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَسَى قَالَ: **«أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»** قَالَ الْحَسَنُ: فَحَدَّثَنِي الزُّبَيْدُ أَنَّهُ حَفِظَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي هَذَا: **«لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ**

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في (نوار الأصول) (٨٢٤)، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وذكره الصنعاني في (سبل السلام)، وفيه كلام.

خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَسُوءِ الْكِبَرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ».

٧٥ - (٢٧٢٣) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»، قَالَ: أَرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ».

٧٦ - (٢٧٢٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَسُوءِ الْكِبَرِ وَفِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ».

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَرَأَدَنِي فِيهِ زُبَيْدٌ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَفَعَهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

(إِذَا أَمَسَى قَالَ: أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ) وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ

لِلَّهِ، الْمُلْكُ الْمَطْلُوقُ.

(وَالْحَمْدُ لِلَّهِ) الْحَمْدُ الْمُسْتَغْرَقُ لَجَمِيعِ الْمَحَامِدِ، وَالتَّنْزِيهِ عَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ.

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ) التوحيد، وتكرار ذلك، وهو أفضل الذكر.
 (قَالَ الْحَسَنُ: فَحَدَّثَنِي الزُّبَيْدُ أَنَّهُ حَفِظَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي هَذَا) توكيد.
 (اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ) وإن كان في الصباح: أسألك خير هذا اليوم.
 (وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ) وإن كان في الصباح: أعوذ بك من شر هذا اليوم.
 (وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا) فهذا دعاء عام، وإن كان من أذكار الصباح والمساء إلا أنه عام
 تستعيز بالله من شر الليلة وشر ما بعدها، ومن شر اليوم وشر ما بعده، إلى أن تلقى الله
 عزَّوجلَّ.

(مِنْ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَسُوءِ الْكِبَرِ): الهرم، تقدم الكلام عليه.
 (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ) وهو أشد ما يتخوفه
 الإنسان، أما غيره من الفتن زائلة، لكن هذه هي المصيبة التي هي أشد ما يكون.
 قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٧ - (٢٧٢٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ
 أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَعَزَّ جُنْدُهُ،
 وَنَصَرَ عَبْدُهُ، وَغَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ»^(١).

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) كلمة الإخلاص، ثم أكدها بقوله: (وَحْدَهُ)، وهو الأحد الصمد،
 الذي لم يلد ولم يولد.

(أَعَزَّ جُنْدُهُ) المؤمنين، بنصرهم وتمكينهم، بعد أن كانوا ضعفاء أقلية.
 (وَنَصَرَ عَبْدُهُ) أي يوم الأحزاب، بعد أن اجتمعوا عليه من هاهنا ومن هاهنا ونصره
 يوم بدر، ونصره في الفتح.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤١١٤).

(وَعَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحَدَّهُ) مع كثرتهم أرسل عليهم ريحا دمدت على قدورهم وأذهبت خيامهم، ورجعوا مهزومين.

(فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ) كما لا شيء قبله، فهو المحيط بكل شيء.
 قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٧٨ - (٢٧٢٥) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ قَالَ: سَمِعْتُ عَاصِمَ بْنَ كُلَيْبٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«قُلِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي، وَسَدِّدْنِي، وَادْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادَ سَدَادَ السَّهْمِ»**.
 ٧٨ - (٢٧٢٥) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ إِدْرِيسَ، أَخْبَرَنَا عَاصِمُ بْنُ كُلَيْبٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالسَّدَادَ»** ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ.

(ابن إدريس) عبد الله.

فيه تعليم النبي ﷺ لأصحابه الدعوات الجامعات النافعات.

(اهْدِنِي): وفقني وعلمني، وأرشدني، وثبتني، كلمة عامة.

(وَسَدِّدْنِي) يعني إلى قول الحق وفعل الحق، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠]: صوابا، ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٧١].

(وَادْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ) يعني تريد بقولك: اللهم اهْدِنِي هدايتك الطريق المستقيم، طريق الإسلام.

(وَالسَّدَادَ سَدَادَ السَّهْمِ) بحيث يكون مسددا لكل خير، كوقوع السهم في مكان الرمية الذي قد وُضع للوصول إليه.

ولو تأملنا هذا الحديث الدعاء بالهداية نجد أن النبي ﷺ كان يدعو به لنفسه، وأرشد غيره إلى دعائه، كعلي بن أبي طالب، والحسن **«اللهم اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ»**،

وهكذا الله **عَزَّوَجَلَّ** فرض على المسلمين قراءة ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة: ٦]، وذلك؛ لأهمية هذه الدعوة، فهي من أشمل وأفضل وأنفع الدعوات، إذ أنها شاملة لهداية التوفيق، شاملة للثبات على الإسلام، شاملة لتعلم الإسلام، شاملة للسلامة من الشرور والآثام، شاملة للسلامة من البدع والمنكرات.

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ التَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَعِنْدَ النَّوْمِ

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٧٩ - (٢٧٢٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَمْرُو النَّاقِدُ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي عُمَرَ، قَالُوا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَوْلَى آلِ طَلْحَةَ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ جُوَيْرِيَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ فَقَالَ: «مَا زِلْتُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بِعَدِّكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِينَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

٧٩ - (٢٧٢٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَإِسْحَاقُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ مِسْعَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي رَشِيدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ جُوَيْرِيَةَ قَالَتْ: مَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْغَدَاةِ، أَوْ بَعْدَهَا صَلَّى الْغَدَاةَ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ زِينَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

(ابن أبي عمر) العدني.

(جويرية) جويرية بنت الحارث، زوج النبي ﷺ، كانت في سبي بني المصطلق، فأدى النبي ﷺ، كاتبها وتزوجها، وأعتق كل مسلم من تحته من سبي قومها.



(خَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ) مر على أهله، يؤنسهم، يحسن إليهم يكلمهم بالمعروف، هذا هو الشأن في الزوجات، بقاء المعروف والألفة.

(وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا) أي في مصلاها في بيتها.

(ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى) بعد أن مضى من الضحى وقت.

(وَهِيَ جَالِسَةٌ) كما تركها، وذلك من حرصها على الخير، مع أنها امرأة، وقد تجد رجالا في هذا الزمان لا يصلون إلى ربع مستوى هذه المرأة، فضلا عن النساء.

(مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتِكِ عَلَيْهَا؟) لأنه لا يعلم الغيب.

(لَوْ وَزَنْتِ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنْتَهُنَّ) مع أنها تسبح ربما أكثر من ساعة أو قريب ساعتين، الله أعلم.

هذا الدعاء من أذكار الصباح، فلا بأس أن يكرره الإنسان في غير الصباح.

(سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ) وخلقه لا يعلم عددهم إلا هو.

(وَرِضَا نَفْسِهِ) الواسعة العظيمة، الكبيرة.

(وَرِزْنَةَ عَرْشِهِ) وهو أعظم وأرفع وأوسع وأكبر المخلوقات.

(وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ) ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَفْذَلَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ

جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [سورة الكهف: ١٠٩].

وجاء عن أبي أمامة عند الطبراني: أن النبي ﷺ علمه هذا الذكر: «سبحان الله عدد

ما خلق، سبحان الله ملء ما خلق، سبحان الله عدد ما في السماء والأرض، سبحان الله

ملء ما في السماء والأرض، سبحان الله عدد ما بينهما سبحان الله ملء بينهما، سبحان

الله عدد كل شيء، سبحان الله ملء كل شيء، سبحان الله عدد ما أحصاه كتابه»، وهكذا

الحمد لله مثل ذلك.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٠ - (٢٧٢٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْحَكَمِ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى، حَدَّثَنَا عَلِيٌّ: أَنَّ فَاطِمَةَ اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى فِي يَدِهَا، وَاتَى النَّبِيُّ ﷺ سَبِيٍّ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، وَلَقِيتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى مَكَانِكُمَا» فَقَعَدَ بَيْنَنَا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ عَلَى صَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَعْلَمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا أَنْ تُكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»^(١).

٨٠ - (٢٧٢٧) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ كُلُّهُمُ عَنْ شُعْبَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَفِي حَدِيثِ مُعَاذٍ: «أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا مِنَ اللَّيْلِ».

٨٠ - (٢٧٢٧) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَعُبَيْدُ بْنُ يَعِيشَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِ حَدِيثِ الْحَكَمِ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى.

وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ: قَالَ عَلِيٌّ: مَا تَرَكْتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قِيلَ لَهُ: وَلَا لَيْلَةً صِفِّينَ؟ قَالَ: وَلَا لَيْلَةً صِفِّينَ.

وَفِي حَدِيثِ عَطَاءٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: قُلْتُ لَهُ: وَلَا لَيْلَةً صِفِّينَ؟

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣١١٣).



(اَشْتَكْتُ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى فِي يَدِهَا) فيه خدمة المرأة لزوجها، وهي سيدة نساء العالمين، ومع ذلك كانت تخدم زوجها، وتعجب أن تجد من يقول: بأن خدمة المرأة لزوجها إنما هو من باب الاستحباب والإحسان، وليس من باب الواجب، فطاعة المرأة لزوجها واجبة في المعروف.

(وَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبِيًّا) أي ملك يمين.

(فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، وَلَقِيَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا) يعني تسأله خادما يعينها على إصلاح البيت، والطباخة، والنظافة، ونحو ذلك، فإنها قد تعبت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا) في البيت، وكانت الشأن أن البيوت ربما ليس لها أبواب، وليس فيها مصابيح.

(فَذَهَبْنَا نَقُومُ)؛ لأنه وصل إليهما إلى داخل الغرفة، وجلس بينهما.

(عَلَى مَكَانِكُمَا) أي الزما المكان، وهو والد للجميع، وشأن الوالد الستر على ولده، والشفقة عليه.

(حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ عَلَى صَدْرِي)؛ لقربه منهما.

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أن من حافظ على هذا الذكر يجد في نفسه قوة ونشاطا، وانشراحا، وإعانة.

(وَلَا لَيْلَةَ صَفِينٍ) وهذا من حرصهم على الذكر والدعاء، ولذلك كانوا يسلمون من الآفات والأسقام، وكثير من الشرور، بسبب هذه الأدعية.

نحن الآن كثيرنا لا يحفظ هذه الأدعية، ومن يحفظها لا يحافظ عليها، ويكسل عنها، مع أن هذا الذكر لا يستغرق دقيقة، وإن زاد دقيقة ونصف، يأتي بهذا الذكر العظيم، كم له من الأجور؟ ألف حسنة، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد^(١):

(١) حديث رقم: (١٢٥٠).

«فَسَبَّحَا اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَاهُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فِتْلِكَ مِائَةٌ عَلَى اللِّسَانِ، وَالْفُ فِي الْمِيزَانِ» نسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨١ - (٢٧٢٨) حَدَّثَنِي أُمِّيَّةُ بِنْتُ بَسْطَامَ الْعِيشِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ يَعْنِي ابْنَ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ وَهُوَ ابْنُ الْقَاسِمِ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ فَاطِمَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، وَشَكَتِ الْعَمَلَ فَقَالَ: «مَا أَلْفَيْتِيهِ عِنْدَنَا»، قَالَ: «أَلَا أَذْلُكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ خَادِمٍ؟ تُسَبِّحِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرِينَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ حِينَ تَأْخُذِينَ مَضْجَعَكَ».

٨١ - (٢٧٢٨) وَحَدَّثَنِيهِ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا حَبَّانُ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

(وَشَكَتِ الْعَمَلَ) فيه جواز الشكوى بما لا تضجر فيه.

(مَا أَلْفَيْتِيهِ عِنْدَنَا) يعني ليس عندنا وإلا لأعطيناك.

وهذا الحديث ليس بخاص بها وبزوجها، بل هو عام لجميع الأمة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ اسْتِحْبَابِ الدُّعَاءِ عِنْدَ صِيَاكِ الدِّيَكِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٢ - (٢٧٢٩) حَدَّثَنِي قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رِبْعَةَ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاكِ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَانًا»^(١).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٣٠٣).

(٢) أخرجه الحاكم في (المستدرک) حديث رقم: (٧٨١٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في (الصحيح المسند)، حديث رقم: (١٤٣٦).

قال رحمه الله:

بَابُ دُعَاءِ الْكَرْبِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٨٣ - (٢٧٣٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ سَعِيدٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ».

٨٣ - (٢٧٣٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ هِشَامٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَحَدِيثُ مُعَاذِ بْنِ هِشَامٍ أَتَمُّ.

٨٣ - (٢٧٣٠) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ أَبَا الْعَالِيَةِ الرَّيَّاحِيَّ حَدَّثَهُمْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهِنَّ، وَيَقُولُهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ، فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ قَتَادَةَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ».

٨٣ - (٢٧٣٠) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا بِهِزٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِيهِ، وَزَادَ مَعَهُنَّ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ».

والحديث فيه كلام من حيث سماع قتادة من أبي العالوية، قيل: لم يسمع منه إلا أربعة أحاديث، ذكرها أبو داود في سننه حيث قال: قال شعبة: إنما سمع قتادة، من أبي العالوية أربعة أحاديث: حديث يونس بن متى، وحديث ابن عمر في الصلاة، وحديث القضاة

ثلاثة، وحديث ابن عباس، حدثني رجال مرضييون منهم عمر، وأرضاهم عندي عمر. اهـ

ومع ذلك الحديث قد صرح مسلم بالتحديث والحديث في الصحيحين، وقد روى عن قتادة شعبة، وشعبة لا يروي إلا ما كان سماعاً، والله أعلم.

(عِنْدَ الْكَرْبِ) أي الشدة وضيق النفس.

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ) لا يُدْفَعُ الْكَرْبُ بِمِثْلِ التَّوْحِيدِ وَالِدُعَاءِ، وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ^(١)، وَجَاءَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَا ضِيقُ فِي حُكْمِكَ، عَذْلٌ فِي قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمِّيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا»^(٢)، وَأَيْضًا دَعْوَةُ ذِي النُّونِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧].

فكل هذه من آذكار تفريج الكرب.

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ) في ملكه، العظيم في ذاته، العظيم في صفاته.

(الْحَلِيمُ) على عباده، فلا يعاجلهم بعقوبة **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وقد قال رسول الله ﷺ:

«لَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ».

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) الواسع، ذكر العرش؛ لعظمته، والرب أعظم.

(١) حديث رقم: (١٤٠٨).

(٢) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٣٧١٢).

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) المراد به الصفات العظيمة الجليلة، فيتوسل العبد إلى الله عَزَّوَجَلَّ بتوحيده، وبروبيته لعظيم خلقه أن يفرج كربَه وهمه وغمه.

(كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ قَالَ) أي دعا بهذه الدعوة.

قال النووي (١٧ / ٤٧): وهو حديث جليل ينبغي الاعتناء به والإكثار منه عند الكرب والأمر العظيمة قال الطبري كان السلف يدعون به ويسمونهم دعاء الكرب فإن قيل هذا ذكر وليس فيه دعاء فجوابه من وجهين مشهورين أحدهما أن هذا الذكر يستفتح به الدعاء) ثم يدعو بما شاء والثاني جواب سفيان بن عيينة فقال أما علمت قوله تعالى من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال الشاعر:

إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء
(قوله (كان إذا حزبه أمر) هو بحاء مهملة ثم زاي مفتوحتين ثم موحدة أي نابه وألم به أمر شديد قال القاضي قال بعض العلماء وهذه الفضائل المذكورة في هذه الأذكار إنما هي لأهل الشرف في الدين والطهارة من الكبائر دون المصرين وغيرهم قال القاضي وهذا فيه نظر والأحاديث عامة قلت الصحيح أنها لا تختص والله أعلم). اهـ
قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ فَضْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٤ - (٢٧٣١) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ هِلَالٍ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَسْرِيِّ، عَنْ ابْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَا أَصْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ، أَوْ لِعِبَادِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ».

أفضل الكلام بعد القرآن وهو في القرآن، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الواقعة: ٧٤]، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر: ٣].

(إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ) إثبات صفة المحبة لله **عَزَّوَجَلَّ**، وأن كلام الله **عَزَّوَجَلَّ** يتفاضل، ومن ذلك ما يسمى بالاسم الأعظم.

بَابُ فَضْلِ الدُّعَاءِ لِلْمُسْلِمِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٨٦ - (٢٧٣٢) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ حَفْصِ الْوَكَيْعِيِّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ».

٨٧ - (٢٧٣٢) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ سَرَوَانَ الْمُعَلَّمُ، حَدَّثَنِي طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أُمُّ الدَّرْدَاءِ قَالَتْ: حَدَّثَنِي سَيِّدِي: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ».

(أم الدرداء) اثنتان: الكبرى والصغرى، والتي تروي عن أبي الدرداء كثيرا هي الصغرى تابعة، وأما الكبرى ماتت قديما.

في فضيلة الدعاء للمسلمين عامة، وللنفس خاصة، لا سيما في مواطن الاستجابة كساعة الجمعة، وعند الحج والعمرة؛ لما يأتي من وصية أم الدرداء لزوج ابنتها، وأما حديث عمر: أن النبي ﷺ قال له حين أراد العمرة: «**لا تنسنا يا أخي من صالح دعائك**»، فهو حديث لا يثبت، في سنده عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب، ضعيف.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٨٨ - (٢٧٣٣) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ صَفْوَانَ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ فَاتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ، وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ فَقَالَتْ: أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**». قَالَ: فَخَرَجْتُ إِلَى السُّوقِ فَلَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ يَرَوِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

٨٨ - (٢٧٣٣) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ، وَقَالَ: عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ.

(**فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ**) وصية الحاج بالدعاء، ولذلك عليه أن يدعو تفصيلاً لمن وصاه، ويدعو إجمالاً للمسلمين.

(**دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ**) سواء كان رجلاً أو امرأة.

(**لِأَخِيهِ**) المسلم (**بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ**)؛ لأنه إذا دعا في حضوره ربما لا يخلص فيها كما إذا دعا في غيابه، لكن تدعو له محبة له، لهدايته، لرزقه، لثباته، لعونه إلى غير

وهذا أرجى في استجابة الدعاء، كونك تدعو لغيرك أرجى في استجابة الدعاء لنفسك، اللهم ارزقه، اللهم اقض دينه، اللهم علمه، اللهم ثبته، وهكذا.

(عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ) أى بالتأمين على الدعاء.

بَابُ اسْتِحْبَابِ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ

٨٩ - (٢٧٣٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ نُمَيْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا».

٨٩ - (٢٧٣٤) وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُونُسَ الْأَزْرُقِيُّ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ هَذَا بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

(إِنَّ اللَّهَ لَكَبِيرٌ) صفة الرضى لله **عَزَّوَجَلَّ**، وهي من الصفات الفعلية، الثابتة لله على ما يليق بجلاله، ثابتة بالقرآن والسنة، والإجماع.

(عَنِ الْعَبْدِ) المسلم، سواء كان رجلاً أو امرأة.

(أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ) سواء كانت أكلة تامة، كغداء وعشاء، أو أكلة خفيفة، ولو كان نوع من الحلوى أو البسكوت، أو غير ذلك مما يأكله الناس.

(فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا) وليس معنى ذلك أن كل لقمة تقول بعدها: الحمد لله، هذا من التكلف، وهذا أيضا من مما يشق على الإنسان، ولكن يأكل الأكلة حتى ينتهي.

(أَوْ يَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا) سواء كان يشرب عصيرا، أو ماء، أو عسلا، أو غير ذلك، فهذا من أسباب رضا الله عن العبد، وأعظم ذلك ما جاء عن أبي أمامة عند البخاري^(١) قال رسول الله ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُودَعٍ وَلَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ، رَبَّنَا»، ومثله ما أخرجه أحمد في مسنده عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دَعَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ قَبَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَنْطَلَقْنَا مَعَهُ فَلَمَّا طَعِمَ وَغَسَلَ يَدَهُ أَوْ يَدَيْهِ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ مِنْ عَلَيْنَا فِهْدَانًا وَأَطْعَمَنَا وَسَقَانًا وَكُلَّ بَلَاءٍ حَسَنٍ أَبْلَانَا الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مُودَعٍ وَلَا مَكْفَاؤٍ وَلَا مَكْفُورٍ وَلَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ مِنَ الطَّعَامِ وَسَقَى مِنَ الشَّرَابِ وَكَسَا مِنَ الْعَرِيِّ وَهَدَى مِنَ الضَّلَالَةِ وَبَصَرَ مِنَ الْعَمَى وَفَضَلَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ يُسْتَجَابُ لِلدَّاعِي مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٠ - (٢٧٣٥) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ مَوْلَى ابْنِ أَزْهَرَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ فَلَا أَوْ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»^(٢).

٩١ - (٢٧٣٥) حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ لَيْثٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ: أَنَّهُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدٍ مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ

(١) حديث رقم: (٥١٤٢).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٣٤٠).

بْنِ عَوْفٍ وَكَانَ مِنَ الْقُرَاءِ، وَأَهْلُ الْفِقْهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي».

٩٢ - (٢٧٣٥) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي مُعَاوِيَةُ وَهُوَ ابْنُ صَالِحٍ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: «يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِبْ لِي فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدْعُ الدُّعَاءَ».

معناه الاستمرار في الدعاء، وأنت في طاعة، والله عز وجل له الحكمة البالغة والحجة الدامغة، قد تدعو الله بشيء لو أعطاك في وقت دعائك لكان ضررا عليك ولكن الله الحكمة، قد تدعو الله بامرأة يعلم الله الصلاح في غيره، وقد تدعو الله بولد يعلم الصلاح في غيره، وقد تدعو برزق يدفعه عنك لثباتك، واستمرارك على الخير، وقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ، كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ»^(١)، هكذا من بعض ما يريده ويؤمله.

(يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ) لا تعجل، أنت ادع وادع، أنت في عبادة، كما تتقرب إلى الله بالسجود وتتقرب إلى الله بالصدقة تقرب إلى الله بالدعاء، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة: ١٨٦].

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٢٣٦٢٧)، عن محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

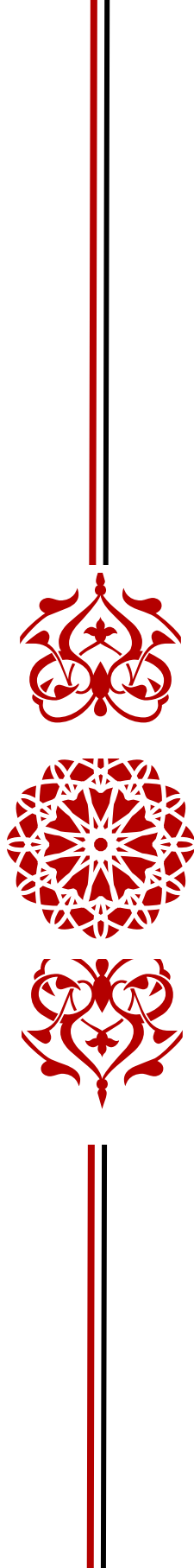
وفي الحديث: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِيْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا»^(١)، فدعوة المؤمن مستجابة على أي حال.

(مَا لَمْ يَدْعُ بِإِيْمٍ، أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ) فإنها لا تستجاب، والدعاء بالإثم وقطيعة الرحم حرام، فلا يجوز أن يدعو أن يمكنه الله من الزنا، أو اللواط، أو شرب الخمر، أو غير ذلك من المغضبات، ولا يدعو بقطيعة الرحم مما يؤدي إلى ضرر في رحمه، أو يدعو على مسلم أن يسلبه الله الإسلام، أو على سني أن يسلبه الله السنة، نسأل الله السلامة والعافية.

(يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ) يتضرع على الله، الله عَزَّوَجَلَّ غني حميد، أنت الآن تضر نفسك، وفي صفة الملائكة: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٩].

(فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ) يكسل ويفتر، ويدع الدعاء، فيصيبه البلاء، والله المستعان. بهذا نكون قد انتهينا من كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، وختمه بهذا الحديث؛ دلالة على أن الإنسان يستمر في الخير لا ينقطع مهما كان، فأنت تعبد الله استجاب لك فالحمد لله، لم يستجب لك فأنت مأجور غير مأزور، وله الحمد. انتهيت من هذا الكتاب في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول لعام خمسة وأربعين وألف.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١١١٣٣)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

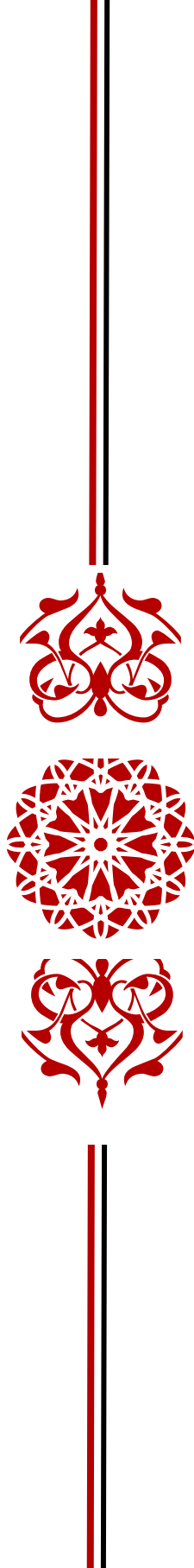


كتاب السقائق

الإلهام

شرح

صحيح مسلم بن الحجاج



قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ الرِّقَاقِ

الرقاق، ويقال له: الرقائق، في بعض الكتب، وهو مأخوذ من رقة القلب، إذ أن هذه الأحاديث لمن سمعها يحدث في قلبه رقة ورحمة.

وقد ذكر هذا الكتاب البخاري في صحيحه، بأوسع مما ذكره مسلم، وحلاه كعادته بأبواب وآيات وآثار مفيدة وكتب فيه غير واحد من أئمة العلم، إذ لا بد من العناية بالقلوب، فإن القلوب تقسو، وتصدأ، وتعالج بمثل هذه الأحاديث وبالترغيب والترهيب، ومن أنفس ذلك مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولو تأملت القرآن تجد أنه حوى هذا الباب من أوسع ما يكون، فقل أن تجد سورة من السور إلا وفيها الترغيب والترهيب على أكمل ما يكون.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ، وَبَيَانُ الْفِتْنَةِ بِالنِّسَاءِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٣ - (٢٧٣٦) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، (ح) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذِ الْعَنْبَرِيِّ، (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ كُلُّهُمْ عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا عَامَّةٌ مِنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَإِذَا أَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ إِلَّا

أَصْحَابِ النَّارِ، فَقَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةٌ مَن دَخَلَهَا
النِّسَاءُ» ^(١).

(هداب بن خالد) يقال له: هُدْبَة.

(أبو عثمان) وهو النهدي.

(أسامة بن زيد) حب النبي ﷺ، وابن بركة الحبشية، ولم يذكر في القرآن باسمه من
هذه الأمة غير زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧].
(قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ) إما ليلة المعراج، أو رؤيا منام، والله أعلم، ورؤيا الأنبياء
وحي.

(فَإِذَا عَامَّةٌ مَن دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ) المساكين من المسلمين والمؤمنين الموحدين
وأما مساكين اليهود ومساكين النصارى ومساكين المشركين فلاحظ لهم في الجنة،
فليست المسكنة بحد ذاتها سبب في دخول الجنة، وإنما نالوا ذلك بإيمانهم وصبرهم
بعد توفيق الله وإكرامه لهم.

(وَإِذَا أَصْحَابُ الْجَدِّ) المال وما في بابه.

(مَحْبُوسُونَ) محبوسون على باب الجنة؛ لاستقصاء الحقوق؛ لأن من كثر ماله
وتجارته وأتباعه كثرت الحقوق التي عليه.

لكن ليس معنى ذلك أن المساكين أرفع درجة من أصحاب الجدة من المسلمين
مطلقاً، فرب صاحب جدة من المسلمين يتأخر دخوله ولكنه يُرفع الدرجات العلا
والنعيم المقيم، بسبب صدقات وأوقاف، ونحو ذلك مما يُعلم يأتي به صاحب المال،
كما قال الصحابة: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم،
يحجون ولا نحج، ويتصدقون بفضل أموالهم، ويعتقون ولا نعتق.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥١٩٦).

(إِلَّا أَصْحَابَ النَّارِ، فَقَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ) يساقون سوقا، ويتقادعون فيها تقادعا ﴿يَوْمَ حَشُرَ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ ﴿٨٥﴾ وَكُسُوفُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ﴿٨٦﴾ [سورة مريم:

٨٥-٨٦] أي: عطاشا، فيساقون ويهانون، بينما أهل الإيمان يرحب بهم، ويكرمون.

(وَقُفْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةٌ مِنْ دَخَلِهَا النِّسَاءُ) سواء كان الدخول دخولا أوليا، ثم يكون مآل المسلمة إلى الجنة، أو دخول المشركات، فإن أكثر أهل نار النساء وأكثر أهل الجنة النساء، فإن للمؤمن زوجتين من الحور العين، وربما أكثر أيضا، فالنساء إن قمن بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ نلن الجنة، وعند كفرانهن الله عَزَّوَجَلَّ يخلدون في النار، أو كفران عشير فتستحق بذلك النار.

فينبغي للمرأة أن تحذر على نفسها، وأن تتأمل في شأنها، وأن تكثر من الصدقة والاستغفار، لأن النساء إذا اجتمعت كثر منهن الكلام فيما لا يعني، والغيبة، تجد عندهن أيضا النيمة، وربما البهت، وقل أن يخلوا مجالس النساء من القيل والقال، بخلاف الرجال وإن وجد عندهم القيل والقال لكنه أخف من النساء.

وقد تقدم حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قصة الإحدى عشر امرأة، التي تعاقدت وتعاهدت أن يقلن في أزواجهن ولا يخفين شيئا من أوصافهم.

وهكذا تجد عندهن كفرانا للعشير إلا ما رحم ربي، وتعدي على الأبناء، إذا غضبت على الزوج ضربت أبناءها، أو فرطت، وربما كان عندها حَطْمَةٌ على أم الزوج، أو أقارب الزوج إلا أن يكون الزوج حازما، وإلا فإن كثيرا من النساء يتسلطن على أزواجهن ويؤدين بهم إلى القطيعة، ومن دعا إلى هدى كان له مثل أجر من تبعه، ومن دعا إلى ضلال كان له مثل إثم من تبعه.

وهكذا يقع الشر من النساء في التبرج، والخروج متعطرة ومتطيبة، وكثير من الأمور، نسأل الله السلامة والعافية.

والسبب في ذلك: نقصان العقل عند المرأة، واغترار المرأة بنفسها، وفتنة الرجل بها.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٤ - (٢٧٣٧) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبرَاهِيمَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ الْغَطَارِدِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: قَالَ مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» ^(١).

٩٤ - (٢٧٣٧) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا الثَّقَفِيُّ، أَخْبَرَنَا أَيُّوبُ بِهِذَا الْإِسْنَادِ.

٩٤ - (٢٧٣٧) وَحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَشْهَبِ، حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اطَّلَعَ فِي النَّارِ، فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَيُّوبَ.

٩٤ - (٢٧٣٧) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ سَمِعَ أَبَا رَجَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَذَكَرَ مِثْلَهُ.

(اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ) بمعنى الحديث الأول.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٥ - (٢٧٣٨) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ قَالَ: كَانَ لِمُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ امْرَأَتَانِ فَجَاءَ مِنْ عِنْدِ إِحْدَاهُمَا فَقَالَتِ الْأُخْرَى: جِئْتُ مِنْ عِنْدِ فُلَانَةٍ؟ فَقَالَ: جِئْتُ مِنْ عِنْدِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فَحَدَّثَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ أَقْلَ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءَ».

٩٥ - (٢٧٣٨) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ قَالَ: سَمِعْتُ مُطَرِّفًا يُحَدِّثُ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ بِمَعْنَى حَدِيثِ مُعَاذٍ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٩).

(جِئْتُ مِنْ عِنْدِ فُلَانَةٍ؟) ربما يكون في المسجد، أو يكون مع أناس في أمر، أو يكون مع العلم، وعقلها وفكرها على أنه عند فلانة، ولا يريد إلا فلانة، ولا يرتاح إلا مع فلانة، فتبقى في هم وغم أغلب الوقت، وإذا دخل بدل الترحاب والتأهيل والتسليم وإذا بها تبادره بهذا السؤال: كنت عندها، أنت تحبها، أنت تريدها، ومن هذا الكلام، وربما قسى عليها بعد ذلك.

(إِنَّ أَقْلَ سَائِكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءُ) نسأل الله السلامة والعافية، وليس هذا في النهاية النهاية كثير من النساء تخرج من النار، وإن استحققت النار، وقد يعفو الله عنها، فالمسلم ماله إلى الجنة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٦ - (٢٧٣٩) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ».

(عبيد الله بن عبد الكريم أبو زرعة) الرازي الإمام السلفي الأثري، قال أبو حاتم: إذا رأيت الرازي وغيره ينتقص أبا زرعة فاعلم أنه مبتدع، كان من الحفاظ الثقات.

هذا من جوامع دعاء النبي ﷺ، و(كان) تفيد اللزوم والاستمرار غالبا.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ): ذهابها بالكلية، سواء كانت النعمة حسية كالمال، والولد، والبيت، والمركب، أو كانت النعمة معنوية كالعلم، والاستقامة والصلاح، والجاه، وعلو المنزلة، فالإنسان يستعiez بالله من زوال نعمة الله، فالنعمة إذا زالت قل أن تعود إلا أن يشاء الله.

وصاحب النعمة إذا زالت نعمته انكسر، وتجراً عليه الناس، ووجد الغصاصة والضيقة، يكون قد تعود السعة وتعود الأعطيات والهبات، فإذا زالت النعمة ضاق صدره، وبقي في هم وغم، إلا أن يشاء الله إن كان من المحتسبين.

وفي (جامع بيان العلم وفضله): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْحَمُوا مِنَ النَّاسِ ثَلَاثَةً: عَزِيزَ قَوْمٍ ذَلٍّ، وَغَنِيَّ قَوْمٍ افْتَقَرُوا، وَعَالِمًا بَيْنَ الْجُهَالِ»، لا يثبت، بل هو من قول الفضيل بن عياض، كما في المدخل إلى السنن الكبرى، لكنه في الباب. (وَتَحَوَّلَ عَافِيَتِكَ) سواء العافية البدنية أو العافية الدينية، فتحولها ضرر، فالإنسان إذا تحولت عافيته البدنية كثرت أمراضه، وآهاته وتآلماته، والأمراض يقع بسببها ضيق الصدر، وتور في الطاعة، وضعف في العلم.

وهكذا تحول العافية الإيمانية والعافية الدينية سبب لتسلط الشيطان على الإنسان، وإذا تحولت العافية الدينية ربما تضرر في العافية في القبر، تضرر في العافية في الآخرة، ولذلك: كان دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أسألك العفو والعافية، في ديني ودنياي وأهلي ومالي».

(وَفُجَاءَةٌ نِقْمَتِكَ): المبادرة بالعقوبة، «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْ»، بينما الذي لم يفاجأ بالعقوبة قد يكون له وقت للاستدراك، للتوبة، للاستغفار لكن عندما تفاجئه العقوبة تذهب ما في يده، أو تذهب نفسه، هذه مصيبة.

فلذلك جاء في الحديث: «مَوْتُ الْفُجَاءَةِ أَخْذَةُ أَسْفٍ»^(١)، أي في حق الكافر، أما المؤمن فتكون له رحمة، ربما يصلي الظهر ويموت بعد الظهر، أو العصر ثم يموت بعد العصر، لا أمراض، ولا أسقام، بل ربما يموت وهو نائم، فأخذة أسف في حق الكافر، أو المسرف على نفسه إذ لا يستطيع أن يتوب ويؤوب.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (١٥٤٩٦)، عن عبيد بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَجَمِيعَ سَخَطِكَ) الاستعاذة من جميع مساخط الله، فإن الله يسخط على العبد إذا عصاه وتمرد عليه.

فتستعید بالله من جميع مساخطه، سواء ما يؤدي إلى سخطه بسبب قول أو فعل أو اعتقاد.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا الْحَدِيثُ أَذْخَلَهُ مُسْلِمٌ بَيْنَ أَحَادِيثِ النِّسَاءِ وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَدِّمَهُ عَلَيْهَا كُلِّهَا، وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ أَحَدِ حُفَظِ الْإِسْلَامِ وَأَكْثَرِهِمْ حَفْظًا، وَلَمْ يَرَوْهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْهُ غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ وَهُوَ مِنْ أَقْرَانِ مُسْلِمٍ تُوفِّي بَعْدَ مُسْلِمٍ بِثَلَاثِ سِنِينَ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٧ - (٢٧٤٠) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ وَمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(١).

لا يتعارض مع قول النبي ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»^(٢)، فكثير من الناس يفتنون بالمال، فيترك الاستقامة، والعلم، والعمل، والتميز عن أهل البدع، ولذلك كنا نسمع من شيخنا مقبل كثيرا ما يقول: كم أفسد عبد الرحمن عبد الخالق كثيرا من طلاب العلم بديناره، حيث تسلطوا على جمعية إحياء التراث، فجعلوا يساوون الناس على الاستقامة، من استسلم لهم أعطوه ومنوه، ومن ثبت على دين الله عَزَّوَجَلَّ كأنهم لا يعرفونه، وإن كان من حفاظ القرآن، ومن أحسن الناس صوتا.

لكن هنا (مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ) أي من جهة شهواتهم، فكثير من الناس يفتنون بالنساء، وكثير من النساء تفتن بكثير من الرجال.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٠٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣٣٦)، عن كعب بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ.

وليس بالشرط أن تكون الفتنة بين الرجل والمرأة الزنا، قد يكون غير ذلك فالمراسلات والمعاكسات والنظرات كل ذلك من فتنة الرجال بالنساء.

ولذلك الماسون ومن إليهم حين علموا بأحاديث رسول الله ﷺ في هذا الشأن سعوا سعيًا حثيثًا في إفساد هذه الأمة من جهة النساء، فنحذر المسلمين عامة من فتنة المنظمات، وتسجيل النساء العازبات، واشتراط أن تكون من القرويات والبدويات.

إياكم يا أهل الإسلام أن تضيعوا الأمانة بسبب دنيا زائلة، وبسبب لعاعه فانية إياكم أن تصدقهم أنهم سيعلمون ابتك الخياطة، أو الحباكة، أو أن تكون قابلة، هم يأخذونها إلى أماكن وفلل، وفنادق، فيختلون بها، وماذا تتوقع من امرأة ضعيفة مع ذئاب بشرية؟ وما عسى الغريق أن يسبح؟ لو قدر أن هذه البنت على صلاح وصلاة وعفة كم عساها تسبح؟ وهم كل يوم يأتونها بالسيارة إلى البيت، تختلي بالسائق، وهكذا يأتيتها أصحاب المنظمات من يهود ونصارى، يفتنونها عن دينها.

هناك فلل، وفنادق خاصة لأصحاب المنظمات، يختلون فيها بالبنات، وربما التي تستسلم لهم أكثر وتستحق أن تكون من دعاتهم يأخذونها إلى أوروبا، فما ترجع إلا ولا مروءة لها ولا حياء فيها، ممن لا ترد يد لامس، وماذا تتوقع ممن هذا حاله؟

انظروا إلى القبيحة توكل كرمان كم أفسدت في البلاد اليمنية؟ ولم تكتف بل في البلاد الإسلامية، عقد المختثون وأصحاب المثلية ودعاة الزنا واللواط ودعاة الإلحاد مؤتمرا يسمونه بالمعارضة السعودية، وإذا بها تقول: نحن معكم وننصركم وقضيتكم قضيتنا، وشأنكم شأننا، فهكذا يتدرجون بالمرأة، يأخذونها من بيتها، ومن مزرعتها، من بين أبنائها، حتى تصير داعية ضلالة، داعية إلحاد، داعية زنا ولواط داعية خمر، داعية شر.

ومبدأ الشأن: نوظفها تحصل لها خمسمائة دولار أو ألف دولار، كثير من اليمنيين أصبحت قلوبهم سيئة، وأحوالهم نتنة، ربما بنات مشايخ قبائل ممن كان يشار إليهم

بالبنان صارت مع المنظمات، يختلي بها الفسيق، وربما عاقرها وعاشرها حتى ولو لم يحدث هذا ما فائدة في خروجها وتعرضها للفتنة؟ نسأل الله السلامة والعافية.

وأولئك الذين يشتغلون مع المنظمات ما سيجدون خيرا، قوادون دعاة الرذيلة، لا تفرح بسيارة تصرف لك، لا تفرح بمعاش، لا تفرح بيت تؤجره منهم، لن تجد بركة، «أَيُّمَا لَحْمٍ نَبَتٍ مِنْ سَحْتٍ فَالنَّارُ أُولَى بِهِ»، وربما تبتي في أهلك، ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾

[سورة النبأ: ٢٦]، نسأل الله السلامة والعافية.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٨ - (٢٧٤١) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى جَمِيعًا عَنِ الْمُعْتَمِرِ قَالَ ابْنُ مُعَاذٍ: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: قَالَ أَبِي: حَدَّثَنَا أَبُو عَثْمَانَ عَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ بْنِ حَارِثَةَ وَسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ: أَنَّهُمَا حَدَّثَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِي النَّاسِ فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» (١).

٩٨ - (٢٧٤١) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ، (ح) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ كُلُّهُمْ عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

(سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل) من المبشرين بالجنة، وأبوه أمة وحده.

فلا تقل: أنا صاحب إيمان، ﴿وَحُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء: ٢٨] أي: من جهة النساء.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٠٩٦).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٩ - (٢٧٤٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»، فِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ: «لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»^(١).

(إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءٌ خَضِرَةٌ) يعني: بهية جميلة، يفتن بها الناس، لكن على الإنسان أن يذكر الآخرة، ﴿وَلَا تَخْزُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [سورة الضحى: ٤].

(وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا) كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي يعمرها بطاعة الله عَزَّجَلَّ.

(فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ من أقام التوحيد أكرمه الله في الدنيا والآخرة، ومن ضيع التوحيد أذله الله في الدنيا والآخرة، ومن كان بين ذلك من المسرفين على أنفسهم والعصاة ينالهم من الذل بقدر بعدهم عن الطاعة والعبادة.

وهذا دليل أن الله عَزَّجَلَّ أوجدنا في هذه الدنيا للاختبار والابتلاء، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة هود: ٧].

(فَاتَّقُوا الدُّنْيَا) لا تفتنكم، ولا تحرفكم عن الصراط المستقيم، ولا تؤخروا الصلاة بسببها، ولا تقطعوا الأرحام بسببها.

(وَاتَّقُوا النِّسَاءَ) كونوا على حذر من فتنة النساء.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٤٢٧).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَعْنَاهُ: تَجَنَّبُوا الْإِفْتِتَانَ بِهَا وَبِالنِّسَاءِ، وَتَدَخَّلُوا فِي النِّسَاءِ الزَّوْجَاتِ وَغَيْرُهُنَّ، وَأَكْثَرُهُنَّ فِتْنَةُ الزَّوْجَاتِ، لِدَوَامِ فِتْنَتِهِنَّ وَائْتِلَاءِ أَكْثَرِ النَّاسِ بِهِنَّ. أَمَّا رُبَّمَا تَجْعَلُ الزَّوْجَ يَقْطَعُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، وَرُبَّمَا فَتَنَتِ الزَّوْجَ وَسَحَبَتْهُ إِلَى الشَّرِّ، كَمَا هُوَ حَالُ كَثِيرٍ مِنَ النِّسَاءِ تَطْلُبُ مِنْ زَوْجِهَا الشَّاشَةَ، تَطْلُبُ مِنْ زَوْجِهَا الْأَشْيَاءَ الْمَخَالَفَةَ لِلشَّرْعِ.

(فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ) ثم بعد ذلك تتابعت الفتن، فانظروا في البلاد اليمينية والإسلامية أول ما يدعون إلى تحرير المرأة، وإلى حقوق المرأة زعموا، فإذا ما أخرجوا المرأة جاء بعد ذلك الدعوة إلى الزنا، الدعوة إلى اللواط، الدعوة إلى حرية الأديان، الدعوة إلى الإلحاد، الدعوة إلى كل رذيلة، والبعد عن كل فضيلة، فأول الفتنة في النساء، ثم تتابع الفتن، نسأل الله السلامة والعافية.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ، وَالتَّوَسُّلِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠٠ - (٢٧٤٣) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُسَيَّبِيُّ، حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ أَبَا ضَمْرَةَ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَشُّونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوُّوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَى قَمَرِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَتِي وَلِي صَبِيَّةٌ صَغِيرَةٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ، فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ، فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَحِثْتُ بِالْحَلَابِ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا،

وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصَّبِيَّةَ قَبْلَهُمَا، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاعُونَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِي وَدَائِبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ.

وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمَّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَحِثُّهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ.

وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرْزٍ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي، قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخُذْهَا فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ خُذْ ذَلِكَ الْبَقْرَ وَرِعَاءَهَا فَأَخَذَهُ، فَذَهَبَ بِهِ فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ^(١).

١٠١ - (٢٧٤٣) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَا: أَخْبَرَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، (ح) وَحَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ طَرِيفِ بْنِ الْجَلِّي قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، حَدَّثَنَا أَبِي وَرَقِبَةُ بْنُ مَسْقَلَةَ، (ح) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَحَسَنُ الْحُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنُونَ: ابْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ كُلُّهُمْ عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي ضَمْرَةَ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ وَزَادُوا فِي حَدِيثِهِمْ: «وَأَخْرَجُوا يَمْشُونَ»،

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٤٦٥).

وَفِي حَدِيثِ صَالِحٍ يَتِمَّاشُونَ إِلَّا عُيِّدَ اللَّهُ فَإِنَّ فِي حَدِيثِهِ: «وَخَرَجُوا»، وَلَمْ يَذْكُرْ بَعْدَهَا شَيْئًا.

١٠١ - (٢٧٤٣) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ التَّمِيمِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَهْرَامٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ ابْنُ سَهْلٍ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «انْطَلَقْتُ ثَلَاثَةَ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ الْمَيِّتُ إِلَى غَارٍ»، وَاقْصَرَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا»، وَقَالَ: «فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ»، وَقَالَ: «فَتَمَرَّتْ أَجْرُهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ فَارْتَعَجَتْ»، وَقَالَ: فَخَرَجُوا مِنَ الْغَارِ يَمْشُونَ».

هذا الحديث مذكور كما ترى في كتاب الرقاق، وهو من أحاديث الإخلاص، فيه بيان منزلة هذه العبادة الجليلة، إذ أنهم دعوا الله عَزَّوَجَلَّ بخالص أعمالهم، فاستجاب الله لهم، ورفع عنهم ما نزل بهم مع تعذر الأسباب الحسية. وهو أيضا من أحاديث الفرج بعد الشدة، فإن الله إذا فرج عن العبد فرج، فانظر إلى هؤلاء استيقنوا الهلكة فكانت النجاة بعد ذلك.

وفي هذا الحديث فضيلة بر الوالدين، ومنزلة ذلك، حتى ولو كان البر من باب المستحب، فإن بقاء هذا الرجل قائما حتى الفجر وعدم سقيا أبنائه وزوجه قبل أبويه هذا من المستحبات وليس من الواجبات، إذ أن البر دون ذلك، لكن بلغ به البر أن لا يقدم عليهما أحدا، لا في مطعم، ولا في مشرب، ولا في ملبس.

وهذا يدخل السرور على الأبوين جدًّا، لا سيما إذا كانا شيخين كبيرين، فإن الكبير يتأثر من كلمة، ومن نظرة، فهذا يدخل السرور عليهما، وإدخال السرور على المسلم من أعظم الدرجات، فكيف إذا كان السرور على أم وأب وجد وجدة وما في باهما؟ وفي هذا الحديث أيضا قيام الرجل على أبنائه بالنفقة والإحسان والمعروف وفعل الأسباب من الرعي وغيره.

ومعنى **(يَتَضَاعُونَ عِنْدَ قَدَمَيْ)**: أي يكون ويصيحون.

وفيه إثبات صفة الوجه لله **عَزَّجَلَّ** من قوله: **(ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ)**.

وفيه فضيلة الدعاء، إذ أن الله أزاح الصخرة الكبيرة بدعوة رجل صالح. وفيه ما يذكره أهل العلم: التوسل بالأعمال الصالحة؛ لأن التوسل المشروع يكون بالأسماء والصفات، ويكون بالأعمال الصالحة، ويكون بدعاء الرجل الصالح. وفيه عظيم شأن الإخلاص، بفضل الله **عَزَّجَلَّ** وتوفيقه لعمل، لكن هل تستطيع أن تقول: هذا العمل أخلصت فيه؟ قد لا تستطيع، يعني هذا الإخلاص العظيم الدال على أنه ما فعل هذا إلا ابتغاء وجه الله، ليس هناك حظ دنيوي آخر أو ليس هناك مطمع آخر، أو ليس هناك نظر من آخر، فالإخلاص عزيز.

وفي هذا الحديث أيضا فضيلة العفة، وأن الرجل قد يتعلق بالمرأة تعلقا غير مرضي، فهذا الرجل أحب ابنة عمه، وما زال يطلبها حتى رضيت أن تمكنه من نفسها، لكن بشرط أن يعطيها عشرين ومائة دينار كما هو في بعض الروايات، وعشرين ومائة دينار قريب خمسمائة جرام من الذهب، يقدمها لابنة عمه من أجل أن يزني ويفجر بها.

فنعوذ بالله من سوء النفس، انظر كيف أزه الشيطان إلى العمل والشغل من أجل أن يعطيها هذا المبلغ وتمكنه من نفسها، والمرأة عفيفة شريفة، جاء خارج الصحيح: أنها كان لها زوج وأبناء، واشتد عليهم الحال، حتى أنها استأذنت زوجها، فعند أن وقع بين

رجليها انتفضت، فتعجب من انتفاضاتها، مع حاجتها، مع غير ذلك، وتخاف هذا الخوف، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: (اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ).
 قد يقول قائل: كيف تقول: (لَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ) إذا ما هي مزوجة هذه بكر؟
 قد يكون أيضا على ما تقدم في الروايات الأخرى أنها لا تصيب هذا الموضع إلا بحقه، أي: بعقد شرعي، وإلا فهو الزنا، والزنا خطره عظيم.

قال: (فَقُمْتُ عَنْهَا) وترك لها المال الذي أعطاهها كما في الرواية الأخرى، فالحق أن هذا الرجل ابتلي بحب هذه المرأة حتى جمع ما جمع وبذل ما بذل من أجل أن يصل إليها، وحين وصل إليها قام عنها وهي من أحب الناس إليه، وترك ما أعطاهها ففرج الله عنه، «مَنْ فَرَجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا فَرَجَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، انظروا حين فرج على هذه المرأة فرج الله عنه من الصخرة.

وأما الثالث استأجر أجراء في مزرعة، فاشتغلوا جميعا، وكان من بينهم رجل شارطه على فرق أرز، هذا المعروف، والفرق ثلاثة أصع، والصاع أربعة أمداد بمد الرجل المعتدل، يعني اثنا عشر مد، فلما كان استلام الأجر قال: أنا اشتغلت أكثر منهم، وهؤلاء اشتغلوا دوني وأعطيتهم مثلي، وذهب.

وهذا الرجل لكمال إيمانه؛ لم يرضَ إلا أن يثمر ذلك المال ويثمره ويثمره، حتى كثر منه الخدم والحشم، والبقر والغنم، والرقيق، كما في الروايات الأخرى، فأعطاه إياها، ولم يُبق منها شيئا، وهذا دليل على الإخلاص لله **عَزَّجَلَّ**، ففرج الله عنهم.

هذا الحديث جاء خارج الصحيح من حديث النعمان بشير، ومن حديث أنس وله ألفاظ متقاربة، وهو مذكور في (الصحيح المسند) ^(١) لشيخنا مقبل **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى**، وله فوائد أكثر من هذا، لكن أشرنا إشارات يسيرات تغني عن كثرة العبارات.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: **(لَا أُغْبِقُ)** بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَضَمِّ الْبَاءِ، أَيُّ: مَا كُنْتُ أَقْدَمُ عَلَيْهِمَا أَحَدًا فِي شُرْبِ نَصِييِهِمَا عِشَاءً مِنَ اللَّبَنِ، وَالْغُبُوقُ شُرْبُ الْعِشَاءِ، وَالصَّبُّوحُ شُرْبُ أَوَّلِ النَّهَارِ، يُقَالُ مِنْهُ: غَبَقْتُ الرَّجُلَ - بَفَتْحِ الْبَاءِ - أَغْبَقُهُ - بِضَمِّهَا مَعَ فَتْحِ الْهَمْزَةِ - غَبَقًا فَاعْتَبَقَ، أَيُّ: سَقَيْتُهُ عِشَاءً فَشَرِبَ.

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ مِنْ ضَبْطِهِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ، وَكُتِبَ غَرِيبُ الْحَدِيثِ وَالشُّرُوحِ، وَقَدْ يُصَحِّفُهُ بَعْضُ مَنْ لَا حُجَّةَ لَهُ، فَيَقُولُ: أَغْبِقُ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْبَاءِ، وَهَذَا غَلَطٌ.

قَوْلُهُ: **(أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً)** أَيُّ: وَقَعْتُ فِي سَنَةٍ فَحُطِّ.

قَوْلُهُ: **(فَنَمَرْتُ أَجْرَهُ)** أَيُّ: ثَمَنَهُ.

والحمد لله رب العالمين.

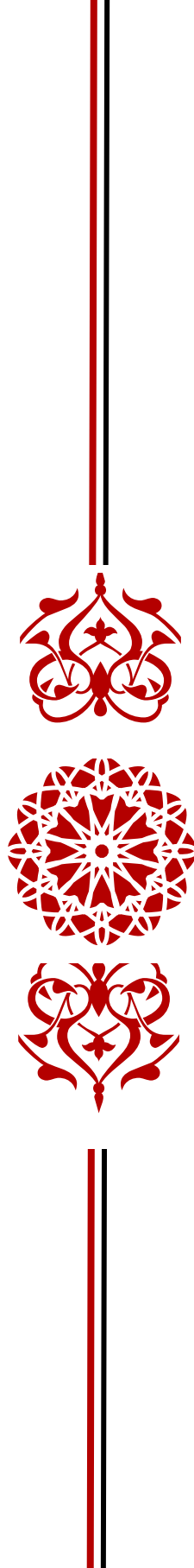


كتاب التوبة

الإعجاز

شرح

صحيح مسلم بن الحجاج



قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب التوبة

بَابُ: فِي الْحَضِّ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْفَرَحِ بِهَا

التوبة من التوب، وهو الرجوع وهي أكمل أنواع الاعتذار، فإن المعتذر عن الخطأ إما أن يقول ما فعلت، أو يقول فعلت ويتبجح بذلك، أو يقول فعلت ويعتذر عن خطئه.

أولاً: التوبة واجبة من كل ذنب، وجائزة في كل وقت، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور: ٣١]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [سورة التحريم: ٨].

وجنس ما يُتاب منه:

الأول: الكفر، والتوبة منه بالإقلاع منه والخروج عنه إلى الإسلام، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٨]، وتقدم حديث عمرو بن العاص: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله؟».

الثاني: البدعة، ويكون التوبة منها شروط خمسة، وتضاف إليها اثنان:

الشرط الأول: الإخلاص؛ لأن التوبة عبادة، ولا تقبل إلا بالإخلاص.

الشرط الثاني: أن تكون في زمن يقبل فيه التوبة، قبل الغرغرة، وقبل طلوع الشمس

من مغربها.

الثالث: الإقلاع.

الرابع: الندم.

الخامس: العزم على عدم العود.

السادس: الإصلاح لما أفسد في أيام بدعته.

السابع: البيان لما كان عليه من الفساد العقدي ثم هداه الله منه.

قال الله **عَزَّوَجَلَّ** في بيان ذلك: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٦٠].

الثالث: النفاق، ويكون التوبة منه بالشروط الخمسة التي ذكرناها في البدعة، مع زيادة ما في قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [سورة النساء: ١٤٦]، التوبة والإخلاص والإصلاح؛ لأن المنافقين كانوا على سوء عقيدة، فلا بد من إخلاص العمل لله **عَزَّوَجَلَّ**، وهكذا إصلاح ما وقع منهم من الفساد.

الرابع: الذنوب التي بين العباد وبين غيرهم، فشروطها ستة، الخمسة المذكورة في شروط التوبة من البدعة، وزد إليها: رد المظالم، «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ»^(١).

الخامس: الذنب الذي يكون بين العبد وبين الله، وهذا يكون بالشروط الخمسة المذكورة: الإخلاص، وفي زمن التوبة، والإقلاع، والندم، والعزم على عدم العود. وهل يشترط في التوبة النصوح عدم العود إلى الذنب؟ قال بعض أهل العلم بذلك، لكن الصحيح أنه لا يشترط، وسيأتي حديث الرجل الذي أذنب، ثم عاد، ثم أذنب، وقال: «**قد غفرت له**»، ما دام الإنسان يتوب توبة نصوحا إن عاد في الذنب لزمه أن يتوب توبة نصوحا، وإن توفرت شروطها غفر الله له.

وتجوز التوبة من بعض الذنوب دون كلها، ولا يجوز تسويق التوبة بل إنها على الفور، ومن سوف لزمه التوبة من الذنب والتوبة من تسويق التوبة، وهكذا يلزم المسلم الاتيان بتوبة عامة بين الحين والآخر من جميع الذنوب.

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: (٢٤٤٩)، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وقد تكلمت على شروط التوبة وما يتعلق بها في رسالة مختصرة مطبوعة في طبعتين،
والثانية: فيها زيادات.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

- ١ - (٢٦٧٥) حَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، وَاللَّهُ لِلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاحَةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أَهْرُولُ»^(١).
- ٢ - (٢٦٧٥) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنُ قَعْنَبٍ الْقَعْنَبِيُّ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَزَامِيِّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا».
- ٢ - (٢٦٧٥) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنْبِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَاهُ.

(قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ) إثبات صفة الكلام لله، وهي من الصفات الذاتية الفعلية، وهذا الحديث يسمى بالحديث القدسي.

(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) وقد تقدم الكلام على هذه الفقرة، وأن حسن الظن بالله من صفات المؤمنين، وإساءة الظن بالله من صفات المنافقين، ويتعين على المرء أن يحسن الظن بالله؛ لاتصافه بصفات الجمال والكمال، والعظمة والكبرياء.

(وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي) المراد بالمعية هنا معية خاصة، مقتضية للحفظ والكلاءة والنصر والتأييد، وأما المعية العامة فالله مع جميع عباده، وهو على عرشه بائن من خلقه.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٤٠٥).

(وَاللَّهُ) الحلف بدون استحلاف؛ لتوكيد الأمر.

(لَلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ) إثبات صفة الفرح لله، وهي من

الصفات الفعلية التي تليق بجلال وجه وعظيم سلطانه.

والفلاة: هي الصحراء والمكان الخالي من الأرض، حيث تضيع الدابة وعليها

المتاع والشراب، فإذا وجدها فرح فرحا عظيما، حتى لا يزن الكلام الذي يخرج منه

على ما يأتي من قوله: «اللهم أنت عبدي، وأنا ربك».

(وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا) أي بالطاعات والقربات.

(تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ) فيه إثبات صفة التقرب لله **عَزَّجَلَّ**، وصفة الهرولة، على ما يليق بجلاله،

فمذهب أهل السنة الإقرار والإمرار، كما قال سفيان بن عيينة: أمروها كما جاءت بلا

كيف، وقد تقدم الكلام على هذا الحديث.

وفي معناه: أن الإنسان عليه أن يكون سالكا إلى الله **عَزَّجَلَّ**، مبادرا إلى الطاعات

والقربات، فإنه بقدر مسارعته إلى الخير ينال من الله **عَزَّجَلَّ** الرضى والتوفيق والهداية

والتسديد، مع إثباتنا للصفات، فأهل السنة يثبتون الصفا ولازمها وأهل البدعة يثبتون

اللازم وينفعون الصفة.

فمثلا: ثبت صفة الهرولة على ما يليق بالله **عَزَّجَلَّ**، ولازمها أن الله يكرم العبد،

ويوفقه، ويسدده ويحفظه، أما أهل البدعة يثبتون اللازم من أن الله يوفق ويسدد ويهدي،

لكن لا يثبتون الصفة، فمثلا يقولون في الغضب: الانتقام، ولا يثبتون الغضب، وأهل

السنة يثبتون الغضب، ولازم الغضب الانتقام، ويثبتون الرضا ولازم الرضا الإحسان.

فهذه قاعدة إن وجدت كلاما لأهل السنة بإثبات اللازم دون التصريح بإثبات الصفة

ليس معناه أنهم أولوا، هذا قد يقع فيه حتى ابن كثير، وابن جرير، وكثير من المفسرين،

لكن هم يثبتون الصفة ويثبتون اللازم، كما هو معلوم من عقائدهم.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٣ - (٢٧٤٤) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَاللَّفْظُ لِعُثْمَانَ قَالَ
إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنِ
الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ أَعُوذُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ
حَدِيثًا عَنْ نَفْسِهِ، وَحَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلَكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا
طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ، وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ:
أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَإِنَّا مَيِّتٌ حَتَّى أَمُوتَ فَوْضِعَ رَأْسِهِ عَلَى سَاعِدِهِ
لَيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ، وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ
الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ»^(١).

٣ - (٢٧٤٤) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، عَنْ قُتَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ: «مِنْ رَجُلٍ بِدَاوِيَّةٍ مِنَ الْأَرْضِ».

٤ - (٢٧٤٤) وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ،
حَدَّثَنَا عُمَارَةُ بْنُ عُمَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَارِثَ بْنَ سُوَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ حَدِيثَيْنِ
أَحَدُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلَّهِ أَشَدُّ
فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ»، بِمِثْلِ حَدِيثِ جَرِيرٍ.

(عبد الله) هو ابن مسعود.

(دَوِّيَّةٌ مَهْلَكَةٌ) يعني الأرض القفر التي لا نبات فيها: مهلكة: يخاف فيها الهلكة؛

لكثرة ما فيها من الدواب والوحوش، وقلة الماء والزاد.

(مَعَهُ رَاحِلَتُهُ): زاملته من بعير ونحوه، (عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ).

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٣٠٨).

(أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَا حَتَّى أَمُوتَ) وهذا الفعل يأمر به رجال الدفاع المدني، لمن تاه في الصحاري حتى يسهل الوصول إليه ويوفر على جسمه ذهاب ما فيه من الغذاء والماء وعدم الهلع والفرع، وينصح بدعاء الله **عَزَّجَلَّ** وحسن الظن بالله حتى ييسر الله بفرج عاجل إن شاء.

(فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ) يعني استيقن الهلكة، وما على الإنسان إلا أن يؤمن بالقدر في مثل هذا الحال، ويكثر الذكر والدعاء.

(فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ) ففرح فرحاً شديداً.

(فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادَهُ) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١].

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٥ - (٢٧٤٥) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو يُوسُفَ، عَنْ سِمَاكِ قَالَ: خَطَبَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ فَقَالَ: لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ، حَمَلَ زَادَهُ وَمَزَادَهُ عَلَى بَعِيرٍ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى كَانَ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَذْرَكَتُهُ الْقَائِلَةُ، فَزَلَّ فَقَالَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَبَتْهُ عَيْنُهُ وَأَنْسَلَ بَعِيرُهُ، فَاسْتَيْقَظَ فَسَعَى شَرْفًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرْفًا ثَانِيًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرْفًا ثَالِثًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَأَقْبَلَ حَتَّى أَتَى مَكَانَهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ قَاعِدٌ إِذْ جَاءَهُ بَعِيرُهُ يَمْشِي حَتَّى وَضَعَ خِطَامَهُ فِي يَدِهِ فَلَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ مِنْ هَذَا حِينَ وَجَدَ بَعِيرَهُ عَلَى حَالِهِ قَالَ سِمَاكُ فَرَعَمَ الشَّعْبِيُّ أَنَّ النُّعْمَانَ رَفَعَ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَمَّا أَنَا فَلَمْ أَسْمَعْهُ

(زَادَهُ وَمَزَادَهُ) زاده: الطعام، ومزاده: ما يتزود به.

(حَتَّى كَانَ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ) بیداء و صحراء.

(فَأَذَرَكْنَاهُ الْقَائِلَةَ) فيه فضيلة القائلة، النوم في وسط النهار، يسلم به الجسم من الحر الشديد، ومن النصب والتعب، وسواء كنت في سفر أو كنت في حضر، إن تيسر لك القيلولة فنعمًا هي.

(فَقَالَ تَحْتَ شَجَرَةٍ) فقال من القيلولة ليس من القول.

(وَأَنْسَلَ بَعِيرُهُ): ذهب.

(فَسَعَى شَرَفًا فَلَمْ يَرِ شَيْئًا) يعني صعد على مكان مرتفع فلم ير شيئًا.

(فَبَيْنَمَا هُوَ قَاعِدٌ إِذْ جَاءَهُ بَعِيرُهُ يَمْشِي) رحمة من الله.

(فَلَلَهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ مِنْ هَذَا حِينَ وَجَدَ بَعِيرَهُ عَلَى حَالِهِ) يعني يقول: رأيت

الحياة بعد الموت، وربما لا ينسى هذا الموقف.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦ - (٢٧٤٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَجَعْفَرُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ جَعْفَرُ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ إِيَادٍ بْنُ لَقِيطٍ، عَنْ إِيَادٍ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ تَقُولُونَ بِفَرَحِ رَجُلٍ انْفَلَتَ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ تَجُرُّ زِمَامَهَا بِأَرْضٍ قَفْرٍ لَيْسَ بِهَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ، وَعَلَيْهَا لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ فَطَلَبَهَا حَتَّى شَقَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ مَرَّتْ بِجَذَلِ شَجَرَةٍ، فَتَعَلَّقَ زِمَامُهَا، فَوَجَدَهَا مُتَعَلِّقَةً بِهِ؟»، قُلْنَا: شَدِيدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ»، قَالَ جَعْفَرُ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ إِيَادٍ، عَنْ أَبِيهِ.

(قُلْنَا: شَدِيدًا) يعني يفرح فرحًا شديدًا.

فيه التحديث بعظيم شأن التوبة، ولا يستغني عن التوبة بر ولا فاجر، ولا مؤمن ولا

كافر؛ لأن النبي ﷺ كان كثير الاستغفار والتوبة، ربما في المجلس الواحد: «ربي اغفر

لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم» مائة مرة، وأنزل عليه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر: ٣].

فالتوبة قد تكون من ترك واجب، أو فعل محرم، أو من ارتكاب حتى المكروه ونحو ذلك مما يحتاج أن يتوب من جنسه، قد تكون من إساءة فيما بينه وبين الله، وإساءة فيما بينه وبين المخلوقين، قد تكون من ذنب قلبي، وقد تكون من ذنب قلبي، وقد تكون من قلب فعلي، وتكون من ذنب الليل أو ذنب النهار، وذنب السر، أو ذنب الجهر.

والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، كما في حديث عائشة الطويل: «فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ، ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ». متفق عليه
قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧ - (٢٧٤٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَهُوَ عَمُّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاحٍ، فَأَنْفَلَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا، فَاتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»^(١).

٨ - (٢٧٤٧) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ إِذَا اسْتَيْقِظَ عَلَى بَعِيرِهِ، قَدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضِ فَلَاحٍ».

٨ - (٢٧٤٧) وَحَدَّثَنِيهِ أَحْمَدُ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا حَبَّانُ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

(فَأَيْسَ مِنْهَا) ومع ذلك لا يأس من روح الله.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٣٠٩).

وفيه أن الخطأ من موانع التكفير، فإن قول القائل لله **عَزَّجَلَّ**: أنت عبيدي كفر، لكن إن قاله مخطئاً لا يكفر، كما قال تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ دَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَصْلُ التَّوْبَةِ فِي اللُّغَةِ: الرَّجُوعُ، يُقَالُ: تَابَ، وَتَابَ بِالمُثَلَّةِ، وَآبَ بِمَعْنَى: رَجَعَ، وَالْمُرَادُ بِالتَّوْبَةِ هُنَا: الرَّجُوعُ عَنِ الذَّنْبِ، وَقَدْ سَبَقَ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ أَنَّ لَهَا ثَلَاثَةَ أَرْكَانٍ: الْإِقْلَاعُ، وَالنَّدَمُ عَلَى فِعْلِ تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ، وَالْعَزْمُ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهَا أَبَدًا، فَإِنْ كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ لِحَقِّ آدَمِيِّ فَلَهَا رُكْنٌ رَابِعٌ، وَهُوَ التَّحَلُّلُ مِنْ صَاحِبِ ذَلِكَ الْحَقِّ، وَأَصْلُهَا النَّدَمُ وَهُوَ رُكْنُهَا الْأَعْظَمُ. وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ التَّوْبَةَ مِنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي وَاجِبَةٌ، وَأَنَّهَا وَاجِبَةٌ عَلَى الْفُورِ، لَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهَا، سَوَاءً كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ صَغِيرَةً أَوْ كَبِيرَةً. اهـ

وقد جاء حديث بلفظ: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**»^(١)، لكنه لم يثبت، لكن المعنى صحيح، لا بد من الندم، أما أن يقول: أنا تائب وهو فارح بما فعل من الذنوب فهذه ليست بتوبة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالتَّوْبَةُ مِنْ مُهَمَّاتِ الْإِسْلَامِ وَقَوَاعِدِ الْمُتَأَكَّدَةِ، وَوُجُوبُهَا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالشَّرْعِ، وَعِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ بِالْعَقْلِ، وَلَا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ قَبُولُهَا إِذَا وَجِدَتْ بِشُرُوطِهَا عَقْلًا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، لَكِنَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يَقْبَلُهَا كَرَمًا وَفَضْلًا، وَعَرَفْنَا قَبُولَهَا بِالشَّرْعِ وَالْإِجْمَاعِ، خِلَافًا لَهُمْ، وَإِذَا تَابَ مِنْ ذَنْبٍ ثُمَّ ذَكَرَهُ هَلْ يَجِبُ تَجْدِيدُ النَّدَمِ؟ فِيهِ خِلَافٌ لِأَصْحَابِنَا وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: يَجِبُ، وَقَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ: لَا يَجِبُ، وَتَصِحُّ التَّوْبَةُ مِنْ ذَنْبٍ، وَإِنْ كَانَ مُصِرًّا عَلَى ذَنْبٍ آخَرَ، وَإِذَا تَابَ تَوْبَةً صَحِيحَةً بِشُرُوطِهَا، ثُمَّ عَاوَدَ ذَلِكَ الذَّنْبَ، كُتِبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الذَّنْبُ الثَّانِي، وَلَمْ يَقْبَلْ تَوْبَتُهُ.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٣٥٦٨)، عن عبد الله بن معقل بن مقرن، وعبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْمَسْأَلَتَيْنِ، وَخَالَفَتِ الْمُعْتَزِلَةُ فِيهِمَا، قَالَ أَصْحَابُنَا: وَلَوْ تَكَرَّرَتِ التَّوْبَةُ وَمُعَاوَدَةُ الذَّنْبِ صَحَّتْ، ثُمَّ تَوْبَةُ الْكَافِرِ مِنْ كُفْرِهِ مَقْطُوعٌ بِقَبُولِهَا، وَمَا سِوَاهَا مِنْ أَنْوَاعِ التَّوْبَةِ، هَلْ قَبُولُهَا مَقْطُوعٌ بِهِ أَمْ مَظْنُونٌ؟ فِيهِ خِلَافٌ لِأَهْلِ السُّنَّةِ، وَاخْتَارَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ أَنَّهُ مَظْنُونٌ، وَهُوَ الْأَصَحُّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

وهنا فائدة: كثير من الناس إذا أذنب وقيل له: تب إلى الله يظن أن التوبة فقط أن تقول: استغفر الله وأتوب إليه، هذا إنما ذكر من شروطها، التلفظ بالاستغفار في قول لأهل العلم، أما القبول الله أعلم، فربما يكون قد قتل، وربما يكون قد زنا، وربما يكون قد شرب الخمر، وربما يكون قد كذب، وربما يكون قد نَمَّ وفعل من الأفاعيل ما الله به عليم، ثم بسهولة: أستغفر الله وأتوب إليه، ربما لم يتواطأ القلب مع اللسان وربما لم يقلع، فالتائب حقا سيبقى في وجل وندم من تلك المعصية دهرا، أما: تبت إلى الله ربما من القتل وما هو مبالي، ولا كأنه فعل شيئا، وربما ما زال في فرحه وانتشائه، هذه ليست بتوبة.

وكثير من المستفتين أسهل ما يكون عندهم أن تقول له: تب إلى الله، يظن إنه يكتب لك: أستغفر الله وأتوب إليه وانتهت القضية، تب إلى الله حتى تتيقن أن الله قبل توبتك، ما أدراك أن الله قبل أو لم يقبل؟ فكم من إنسان أذنب ذنبا وبقي يبكي دهرا على ذنبه! حتى يظهر أثر التوبة، بصلاحه، بغير ذلك، أما الإعراض نسأل الله السلامة والعافية. وفي هذه الأحاديث التزود في حال السفر، فلا يصلح أن الإنسان إذا أراد سفرا أو حتى تمشية أن يخرج بغير تزود، فربما لحقه الهلكة والعطش، لا سيما في الأماكن الحارة.

قال رحمه الله:

بَابُ سُقُوطِ الذُّنُوبِ بِالِاسْتِغْفَارِ تَوْبَةً

قال الإمام مسلم رحمه الله:

٩ - (٢٧٤٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ قَاصِّ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِي صَرْمَةَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ أَنَّهُ قَالَ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: كُنْتُ كَتَمْتُ عَنْكُمْ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ لَا أَنْتُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ، يَغْفِرُ لَهُمْ».

١٠ - (٢٧٤٨) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي عِيَاضُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَهْرِيُّ، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُبَيْدٍ بْنِ رِفَاعَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، عَنْ أَبِي صَرْمَةَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ أَنْتُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ ذُنُوبٌ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَكُمْ، لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ لَهُمْ ذُنُوبٌ يَغْفِرُهَا لَهُمْ».

(أبو أيوب) الأنصاري، خالد بن زيد، نزل عنده النبي ﷺ حين هجرته.

(كُنْتُ كَتَمْتُ عَنْكُمْ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) كتم العلم تم تأديته، وكان

كتمهم؛ خشية الفتنة والاتكال.

من حكمة الله عز وجل أنه جعل الدنيا دار ابتلاء، طاعة ومعصية، وذنوب وتوبة، وأبرار وفجار، ومؤمنين وكفار وهكذا للابتلاء والاختبار، أما إذا كان الجميع على حال واحد شأنهم الجنة، ما يحتاجون إلى أن يكونوا في الدنيا، فما جعل الله المكلفين في الدنيا إلا لاختبارهم وامتحانهم، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

فهنا يقول: (لَوْ لَا أَنْتُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ، يَغْفِرُ لَهُمْ)؛ لأن الملائكة كانوا

يعبدونه ولا يذنبون، ومع ذلك خلق البشر يذنبون، فيتوب على من تاب، ويرفع درجة

التائب، ويغفر له الذنوب والسيئات، ويبدل سيئاته حسنات، كما هو معلوم في موطنه، وفي حديث أبي ذر قال رسول الله ﷺ: (قال الله تعالى: يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ولا يغفر الذنوب إلا أنا فاستغفروني أغفر لكم).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

١١ - (٢٧٤٩) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ جَعْفَرِ الْجَزَرِيِّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

وليس معنى هذه الأحاديث أن الله يحب الذنوب، معاذ الله، فإنه يحب الطاعات، ويكره المعاصي والسيئات، ويحب الأبرار ويكره الفجار، ويحب المتقين ويكره الأشرار، ويحب المؤمنين ويكره الكفار، ولكنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يحب التوبة، والرجوع إليه؛ لما يأتي أن العبد عرف أن له ربا، وحصلت منه المراقبة، فكانت التوبة محبوبة:

أولا: للإقلاع عن الذنب.

الثاني: لأنها مراقبة لله وعبادة من العبادات العظيمة.

الثالثة: أنها سبب لزوال الذنوب وآثارها.

الرابع: أنها سبيل الأنبياء والمرسلين، وبها أرسلوا، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [سورة نوح: ١٠]، وفي سورة هود آيات كثيرات على أن الأنبياء والرسل بعثوا بالتوبة.

الخامس: أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وأن التوبة تهدم ما قبلها مهما كان الذنب، فليس هناك عمل يهدم ما قبله مثل التوبة، والإسلام، واختلف في الحج، والإسلام يهدم ما قبله؛ لأنه في الحقيقة توبة، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

وأما أهل البدع قد لا يوفقون للتوبة، إلا أن يشاء الله، وإلا فقد قال النبي ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مَرُوقٌ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَةِ»، وجاء عن أنس عند ابن أبي عاصم قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ حَزَزَ أَوْ قَالَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبٍ بِدْعَةٍ".

ولذلك قال بعض السلف: آخر الحديث أشد عليهم من أوله؛ لأنهم يقولون على الله بغير علم، وتتجارى بهم الأهواء، نسأل الله السلام والعافية.

وفيه تعين الاستغفار والعمل، خلافا لما يقول بعض الصوفية: علمك بحالي يغنيك عن سؤالي، فكلامهم غير صحيح، فالذي يريد شيئا يطلبه من الله، إبراهيم حين ألقوه في النار قال: حسبي الله ونعم الوكيل، والنبي ﷺ حين قيل لهم: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكَ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣]، ويونس حين ألقى في البحر قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وهم أكثر الناس وأشدهم مراقبة لله، وثقة في الله، وتوكل على الله، ولم يصدر منهم: علمك بحالي يغنيك عن سؤالي، فإن الدعاء والاستغفار لا ينافي التوكل بحال بل هو من التوكل، فعل الأسباب مع صدق الاعتماد على الله، هو من الأسباب التي يُنصر بها الإنسان، ويحفظ بها الإنسان التوبة، والاستغفار والدعاء.

بَابُ فَضْلِ دَوَامِ الذِّكْرِ، وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ، وَالْمُرَاقَبَةِ، وَجَوَازِ تَرْكِ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَالِاشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٢ - (٢٧٥٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التِّيمِيُّ وَقَطْنُ بْنُ نُسَيْرٍ، وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ إِيَاسٍ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيْدِيِّ قَالَ: وَكَانَ مِنْ كُتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَاِنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ؛ لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

١٣ - (٢٧٥٠) حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ حَدَّثَنَا سَعِيدُ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ حَنْظَلَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَعظَنَا فَذَكَرَ النَّارَ قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ إِلَى الْبَيْتِ فَصَاحَكْتُ الصَّبِيَّانَ، وَلَا عِبْتُ الْمَرْأَةَ قَالَ: فَخَرَجْتُ، فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا تَذَكَّرُ، فَلَقِينَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَافَقَ حَنْظَلَةُ فَقَالَ: مَهْ فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فَقَالَ: «يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً»

وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذَّكْرِ لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ، حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطَّرْقِ».

١٣ - (٢٧٥٠) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سَعِيدِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ حَنْظَلَةَ التَّمِيمِيِّ الْأَسَدِيِّ الْكَاتِبِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَّرْنَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِمَا.

(قطن بن نسير) ربما يتصحف إلى نُشِير، أو إلى بُشِير، أو إلى بُشِير؛ لأنهم كانوا لا ينقطون.

(جعفر بن سليمان) الضبعي، قيل في ترجمته: كان رافضيا مثل الحمار، لا أسوأ في بلاد اليمن من الرافضة، وغير بلاد اليمن، والرفض بدأ يستشري في بعض البلاد، من أجل ألف سعودي أو ألفين سعودي في معسكرات، والرافضة يدرسون. والله لا يفرح بالرافضة إلا من قد نكس الله عزَّجَلَّ قلبه وغضب عليه، فعلامه غضب الرب على المرء أن يفرح بالرافضة، أو يحبهم، أو يميل إليهم، فإذا رأيت رجلا هذا حاله فاعلموا أنه مغضوب عليه، إلا أن يحدث توبة، ولا نتألى على الله فإن من تاب تاب الله عليه.

أما وهو في هذا الحال فلا يمكن أن يحب الله عزَّجَلَّ رافضياً ومن يحب ويرضى عن الرافضة، فلا يمكن، ولا يستقيم أصلاً، الله عزَّجَلَّ يحب الصحابة وهؤلاء يبغضون الصحابة، الله يحب المتقين وهؤلاء ليسوا بمتقين، الله يحب المحسنين وهؤلاء ليسوا بمحسنين، الله يحب الصادقين وهؤلاء ليسوا بصادقين، الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وهؤلاء يقاتلون في سبيل الشيطان، فكيف يُحبون؟

ولا يحب الرافضة رجل يؤمن بالله واليوم الآخر، ورجل يحب رسول الله ﷺ محبة شرعية، إلا أن تكون دعاوى، ولا يحب الرافضة رجل يحب علي بن أبي طالب، ويحب الحسن الحسين، ويحب فاطمة حبا شرعياً، إنما هي دعاوى.

فلا بد من تحذير الناس من هذا المد، في الخطب والمحاضرات والكلمات، لعل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يسلم من شاء، ومن لم يستجب سيعلم شؤم ذلك حين يقع الفأس في الرأس.

(حظلة الأسدي) بعضهم يخطئ ويقول: الأسدي.

(وَكَانَ مِنْ كُتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) ومنهم معاوية بن أبي سفيان ومنهم زيد بن ثابت، ومنهم علي بن أبي طالب، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** جميعاً.

(سُبْحَانَ اللَّهِ) التعجب، وفيه سؤال الصاحب عن حاله.

(عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا) (عَافَسْنَا): اختلطنا، وعالجنا معاشتنا وحظوظنا، فنسينا.

وفيه فضيلة الجلوس في مجالس الذكر، وأن هذا من أسباب زيادة الإيمان وحصول البر والإحسان.

وفيه أن الأولاد والأزواج والدنيا ملهية، ولذلك قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [سورة المنافقون: ٩]، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [سورة التغابن: ١٤].

(وَمَا ذَاكَ؟) فيه أن رسول الله ﷺ لا يعلم الغيب.

انظر إلى هؤلاء كيف يقع عليهم ما يقع، وهم شأنهم يسير، أزواج وضيعات وأبناء، أما الآن بعضهم عنده دكان يشتغل به في الليل والنهار، وفي الحضر وفي السفر وربما عن صلاة الجماعة والجمعة، وبعضهم يُشغَلُ بالتلفون، وبعضهم بالتلفزيون يشغل بالحرام، هذا يشتكي من انشغاله بالمباحات وما أدت إليه من ضيق الصدر، فكيف الانشغال بالحرام الذي تموت معه القلوب ويتسلط على المرء به الشيطان؟

(لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةَ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ) أي؛ لعظيم فضلكم، ولعلو شأنكم، ولصفاء قلوبكم، ولحسن أعمالكم.

(سَاعَةً وَسَاعَةً) قد قلبها العامة: ساعة لنفسي وساعة لربي، بل يجب أن تكون في جميع الأحوال مع الله والله وبالله، لكن ساعة في نشاط وساعة في فتور، فأد الحق الذي عليك، وسل الله الذي لك، وكن محافظا على الطاعات والقربات، وأبشر من الله عز وجل بالخيرات والمبرات، وفي الحديث فضيلة ملازمة الذكر ومجالسه، وذلك لما فيها من زيادة الإيمان وحصول البر والإحسان، وقد تقدم في الطهارة أن رسول الله ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه، والذكر باب عظيم للحسنات وسعة الصدر وطمأنينة القلب وحصول الفرج ﴿وَلَذِكُرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، والله المستعان. والحمد لله رب العالمين.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

بَابُ: فِي سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

١٤ - (٢٧٥١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ يَعْنِي: الْحِزَامِيَّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»^(١).

١٥ - (٢٧٥١) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي».

١٦ - (٢٧٥١) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو ضَمْرَةَ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ مِينَاءَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي».

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣١٩٤).

هذا حديث عظيم، فيه بيان لسعة رحمة الله **عَزَّوَجَلَّ** بعباده المؤمنين، وليست لكل أحد، كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَاَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا أِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦-١٥٧]، ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة النور: ٥٦].

ومن أعظم أسباب الرحمة: أن تكون رحيماً، كما قال النبي **ﷺ**: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»، وفي رواية: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ». وفي هذا الحديث إثبات العرش، وأنه أعلى المخلوقات.

وهذه الكتابة فوق العرش، كما جاء مصرحاً بها في رواية البخاري وأحمد. وفي هذا الحديث إثبات صفة الغضب لله **عَزَّوَجَلَّ**، وهي من الصفات الفعلية الاختيارية، يفعلها متى شاء **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الشورى: ١١].

وفي هذا الحديث إقامة الحجة من الله **عَزَّوَجَلَّ** على عباده، وطلب العذر لهم فيما يجهلونه وما لا يعلمونه، وفيما أخطأوا فيه ونسيوه؛ لأن هذا من رحمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. وصفة الرحمة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [سورة الفاتحة: ٢-٣]، ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الكهف: ٥٨]، فالرحمن الرحيم هو ذو الرحمة، ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٥١].

وفيه إثبات النفس لله **عَزَّوَجَلَّ**، وهي الذات المتصفة بالصفات على الصحيح، وهو اختيار شيخ الإسلام، وذهب كثير من أهل العلم إلى أنها صفة من صفات الذات.
قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

١٧ - (٢٧٥٢) حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التَّحِيْبِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عَنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَأَّحُمُ الْخَلَائِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ» ^(١).

١٨ - (٢٧٥٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ: ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَوَضَعَ وَاحِدَةً بَيْنَ خَلْقِهِ، وَخَبَأَ عَنْدَهُ مِائَةَ إِلَّا وَاحِدَةً».

١٩ - (٢٧٥٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَأَّحُمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرَحِمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التَّحِيْبِيُّ، ابْنُ وَهْبٍ، يُونُسُ) كلهم مصريون.
(جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ) هذه رحمة مخلوقة، فالرحمة المضافة إلى الله منقسمة إلى قسمين: رحمة صفة، وهي المشتقة، والذال عليها باسم الرحمن والرحيم.
ورحمة مخلوقة، وهي ما خلقه الله في عباده يتراحمون به.
(وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا) ويا لله العجب! تجد اللبوة شديدة الافتراس رحيمة بابنها، وتجد الأم الغضوبة حنونة على ولدها، وتجد الثعابين شديدة السمية تراحم فيما بينها، وهذه آية من آيات الله العظيمات.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٠٠٠).

ولولا أن الله هيا هذه الرحمة لرأيت الفساد العريض في هذه الدنيا؛ لما يقع بين الحيوان من الشدة والحطمة، لكن **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** جعل التراحم بين الأجناس، إلا أن بعضها قد يأكل بعضها؛ لحكمة أرادها الله، كما يفعل الضب بأبنائه، ويذكرون أنه شديد النسيان، وأنه حريص على سلامتهم، فإذا ما وجد أنهم يتحركون ظن أنه عدو فيفترس من وجده أمامه منهم، ولا يسلم منه إلا الشارد.

وهكذا الهرة يذكرون أنه إذا مس ولدها إنسان تأكل ذلك الولد؛ لشم رائحة الإنسان فيه، خصوصا هرة البوادي.

(إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ) يعني الرحمات المخلوقات.

(أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً) تتراحم بها الخلائق.

(وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)؛ لأن يوم القيامة يوم

الرحمات، وتكفير السيئات ورفع الدرجات للمسلمين والمسلمات.

قال النووي رَحْمَةُ اللَّهِ: هَذِهِ الْأَحَادِيثُ مِنْ أَحَادِيثِ الرَّجَاءِ وَالْبَشَارَةِ لِلْمُسْلِمِينَ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: لِأَنَّهُ إِذَا حَصَلَ لِلإِنْسَانِ مِنْ رَحْمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ - الْمُبْنِيَّةِ عَلَى الْأَكْذَارِ - الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ وَالصَّلَاةِ وَالرَّحْمَةُ فِي قَلْبِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، فَكَيْفَ الظَّنُّ بِمِائَةِ رَحْمَةٍ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَهِيَ دَارُ الْقَرَارِ وَدَارُ الْجَزَاءِ؟ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ:**

٢٠ - (٢٧٥٣) حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَثْمَانَ النَّهْدِيُّ، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَمِنْهَا رَحْمَةٌ بِهَا يَتَرَحَّمُ الْخَلْقُ بَيْنَهُمْ، وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ».**

٢٠ - (٢٧٥٣) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ أَبِيهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

٢١ - (٢٧٥٣) حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ، عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ، كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً، فِيهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ».

(وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ) على ما تقدم بيانه.

حتى أن بعض الطيور تطعم أولادها بمناقيرها، وبعض الحيوان يحمل ولده في مخلاه في جوفه.

(طِبَاقٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) أي ملئ ما بين السماء والأرض لسعتها وعظيم شأنها.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٢ - (٢٧٥٤) حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ التَّمِيمِيُّ وَاللَّفْظُ لِحَسَنِ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبْيٍ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَبْتَغِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا، وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» قُلْنَا: لَا وَاللَّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدِهَا»^(١).

(بِسَبْيٍ) وهو ما يكون من الغنيمة من الأنفس البشرية بسبب جهاد الكفار، فيصير هؤلاء السبي ملك يمين، يجوز بيعهم وشرائهم، وميراثهم، واستمتاع السيد بإنائهم.

(فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَبْتَغِي) تبحث وتطلب.

(إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا) طفلاً صغيراً في السبي.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٩٩٩).

(فَأَلْصَقَتْهُ بِيْطْنِهَا)؛ لشدة الشوق إليه والرحمة له.

(أَتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ) أي مع ما يظهر من شدة حبها وحرصها

عليه.

(قُلْنَا: لَا وَاللَّهِ) لا يمكن أن تطرحه في النار.

(وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ) يعني وهي تستطيع الدفاع عنه.

(لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدَهَا) وبهذا تعلم أن الله أرحم بك من أبيك وأمك ومن

كل رحيم، فربما أصابك المرض لرفعتك لرحمتك الرحمة الواسعة العظيمة، وربما أصابك الفقر لرفعتك، وهو أرحم الراحمين.

وفيه إثبات صفة الرحمة لله **عَزَّجَلَّ**، وهي من الصفات الذاتية الفعلية على الوجه الذي يليق بالله **عَزَّجَلَّ**.

قال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

٢٣ - (٢٧٥٥) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: ابْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»^(١).

(لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الرعد: ٦]، شديد العقاب، شديد الانتقام، شديد البطش، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْفُرَى وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود: ١٠٢]، أهلك أمما ودمدم عليها بسبب إعراضهم وشدة ذنوبهم، ونحوه قوله تعالى: ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣].

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٤٦٩).

فلو تأمل الإنسان ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته ولا رجاها، ولكن الإنسان المسلم يجمع بين الخوف والرجاء، فالخوف يمنعه من تجاوز حدود الله والرجاء يؤمنه من اليأس من روح الله، قال بعض أهل العلم: يكون بين خوف الرجاء كجناحي طائر.

(وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ) لعظيم رحمته وسعتها، لكن الله **عَزَّجَلَّ** قد حرم على نفسه أن يرحم الكافرين، ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٠]، وقد تقدمت الآية: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦] يعني ليست لكل أحد، لا سيما في الآخرة.

أما في الدنيا فإن الله **عَزَّجَلَّ** ينزل المطر، وهو رحمته يصيب به العباد جميعا والرزق يرزق به الجميع، ونحو ذلك مما يتمتع به الناس، حتى الوحي جعله الله **عَزَّجَلَّ** إلى الجميع، إلا أن الكافرين أعرضوا وتمردوا.
قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٢٤ - (٢٧٥٦) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ بْنُ بِنْتٍ مَهْدِيٍّ بْنُ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ لِأَهْلِهِ: إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ، ثُمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ يَا رَبِّ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ»^(١).

٢٥ - (٢٧٥٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ قَالَ: قَالَ لِي الزُّهْرِيُّ: أَلَا أُحَدِّثُكَ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٤٨١).

بِحَدِيثَيْنِ عَجِيبَيْنِ؟ قَالَ الزُّهْرِيُّ: أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَخْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا قَالَ: فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتَ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشِيتُكَ يَا رَبُّ أَوْ قَالَ: مَخَافَتُكَ فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ»

٢٥ - (٢٦١٩) قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَحَدَّثَنِي حُمَيْدٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، حَتَّى مَاتَتْ هَزْلًا»^(١).
قَالَ الزُّهْرِيُّ: ذَلِكَ لِئَلَّا يَتَكَلَّ رَجُلٌ وَلَا يَنَاسَ رَجُلٌ.

٢٦ - (٢٧٥٦) حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنِي الزُّبَيْدِيُّ قَالَ: الزُّهْرِيُّ، حَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَسْرَفَ عَبْدٌ عَلَى نَفْسِهِ» بَنَحُو حَدِيثَ مَعْمَرٍ إِلَى قَوْلِهِ: «فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ»، وَلَمْ يَذْكُرْ حَدِيثَ الْمَرْأَةِ فِي قِصَّةِ الْهَرَّةِ.
وَفِي حَدِيثِ الزُّبَيْدِيِّ قَالَ: «فَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِكُلِّ شَيْءٍ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا: أَدَّ مَا أَخَذَتْ مِنْهُ».

(قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ) يعني الرجل الذي أنكر القدرة، والمراد لم يعمل حسنة غير التوحيد، أو أنه عمل حسنات لكنها لا تذكر بالنسبة إلى كثرة سيئاته.
(ثُمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ) أي في يوم راح، بحيث يتبدد، تصير كل ذرة منه في جانب.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٣١٨).

(فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ)؛ لكثرت ذنوبه ومعاصيه.

(فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَرَّ فَبَجَعَ مَا فِيهِ) ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة يس: ٨٢].

(ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟) مع علمه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بكل شيء، لكن؛ لتقريره. (مِنْ خَشْيَتِكَ يَا رَبِّ) أي: من خوفك، وهذا دليل على أنه يؤمن بالله، إلا أنه جهل القدرة، وقال بعضهم: ربما كان يؤمن بالقدرة في الجملة، إلا أنه استبعد أن يُجمع بعد أن يصير رمادا متبدا.

(ذَلِكَ لِئَلَّا يَتَّكِلَ رَجُلٌ وَلَا يَنَاسَ رَجُلٌ) يعني إذا كانت قد دخلت امرأة النار في هرة فكيف بمن يقتل رجلا مسلما؟ فكيف بمن يمنع رجلا مسلما عن حظه من الطعام والشراب؟

وهذا الوعيد يدخل فيه اليهود والرافضة الذين حاصروا الموحدين والمسلمين ومنعواهم من الطعام والشراب والدواء.

(دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هَرَّةٍ) أي بسبب هرة؛ لأنها منعتها حقها، وتسببت في تلفها فعلى المسلم أن يتقي الله **عَزَّ وَجَلَّ** في نفسه، فما يدري بالذنب الذي يوصله إلى حتفه.

(أَسْرَفَ عَبْدٌ عَلَى نَفْسِهِ فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ) بمثل حديث أبي هريرة، وجاء عن عمر، وجاء عن غيرهم كثير.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٢٧ - (٢٧٥٧) حَدَّثَنِي عُبيدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذِ الْعَنْبَرِيِّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَبْدِ الْغَافِرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَسَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَدًّا فَقَالَ لَوْلَدِهِ: لَتَفْعَلَنَّ مَا أَمْرُكُمْ بِهِ، أَوْ لَأُولِّينَ مِيرَاثِي غَيْرَكُمْ إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي»، وَأَكْثَرُ عَلَمِي أَنَّهُ قَالَ: «ثُمَّ اسْحَقُونِي»

وَأَذْرُونِي فِي الرِّيحِ، فَإِنِّي لَمْ أَبْتَهِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، وَإِنَّ اللَّهَ يَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ يُعَذِّبَنِي قَالَ: فَأَخَذَ مِنْهُمْ مِثْقَالَ فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ وَرَبِّي فَقَالَ اللَّهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: مَخَافَتُكَ قَالَ: فَمَا تَلَا فَاهُ غَيْرَهَا^(١).

٢٨ - (٢٧٥٧) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: قَالَ لِي أَبِي، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ كِلَاهُمَا عَنْ قَتَادَةَ ذَكَرُوا جَمِيعًا بِإِسْنَادٍ شُعْبَةَ نَحْوَ حَدِيثِهِ. وَفِي حَدِيثِ شَيْبَانَ وَأَبِي عَوَانَةَ: «أَنَّ رَجُلًا مِنَ النَّاسِ رَغَسَهُ اللَّهُ مَا لَا وَوَلَدًا»، وَفِي حَدِيثِ النَّيْمِيِّ: «فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَتِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا»، قَالَ: فَسَرَّهَا قَتَادَةُ لَمْ يَدَّخِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، وَفِي حَدِيثِ شَيْبَانَ: «فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا ابْتَأَرَ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا»، وَفِي حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ: «مَا امْتَأَرَ» بِالْمِيمِ.

(رَاشَةُ) أَي: أَعْطَاهُ، وَمِنْهُ الْقَوْلُ الْعَامَّةُ الْآنَ: رَاشٍ، يَعْنِي الْعَطَاءُ الَّذِي يَكُونُ لِلطَّعَامِ وَنَحْوِهِ.

(أَوْ لَأَوْلَيْنَ مِيرَاثِي غَيْرُكُمْ) يَعْنِي أَجْعَلْ مِيرَاثِي لغيركم.

لَوْ أَوْصَى مُسْلِمُ الْآنَ أَبْنَاءَهُ بِحَرْقِهِ لَا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ، أَوْ أَوْصَاهُمْ بِصَلْبِهِ، أَوْ أَوْصَاهُمْ بِتَلْيِيسِ قَبْرِهِ، وَجَعَلَ قَبْةَ عَلَيْهِ، أَوْ التَّجْصِيسَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْبَدْعِ، لَا يَجُوزُ.

(وَأَكْثَرُ عِلْمِي أَنَّهُ قَالَ: ثُمَّ اسْحَقُونِي) هَذَا مِنَ الرَّوَايِ، يَعْنِي لَا يَكْفِي الْإِحْرَاقُ بِلِ السَّحَقِ.

(فَإِنِّي لَمْ أَبْتَهِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا): لَمْ أَدَّخِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى شَوْمِ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ وَشِدَّتِهَا.

(١) وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: (٣٤٧٨).

(فَمَا تَلَفَاهُ غَيْرُهَا) يعني تجاوز الله عَزَّوَجَلَّ عنه؛ لجهله، وتجاوز عنه بمخافته منه، فإن الخوف عبادة عظيمة.

(أَنَّ رَجُلًا مِنَ النَّاسِ رَغَسَهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا): أعطاه الله مالا ولدا، بمعن اللفظ الأول.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (إِنَّ ابْنَ شِهَابٍ ذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ، ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ الْمَرْأَةِ الَّتِي دَخَلَتْ النَّارَ، وَعَذِّبَتْ بِسَبَبِ هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، ثُمَّ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: لَيْتَلَا يَتَكَلَّ رَجُلٌ، وَلَا يَنَاسُ رَجُلٌ) معناه: أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ لَمَّا ذَكَرَ الْحَدِيثَ الْأَوَّلَ خَافَ أَنَّ سَامِعَهُ يَتَكَلَّمُ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ سَعَةِ الرَّحْمَةِ، وَعِظَمِ الرَّجَاءِ، فَضَمَّ إِلَيْهِ حَدِيثَ الْهِرَّةِ الَّذِي فِيهِ مِنَ التَّخْوِيفِ ضِدٌّ ذَلِكَ، لِيَجْتَمَعَ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: لَيْتَلَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَنَاسُ، وَهَكَذَا مُعْظَمُ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ، يَجْتَمِعُ فِيهَا الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ.

وَكَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: يُسْتَحَبُّ لِلْوَاعِظِ أَنْ يَجْمَعَ فِي مَوْعِظَتِهِ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ؛ لِئَلَّا يَقْنَطَ أَحَدٌ، وَلَا يَتَكَلَّ، قَالُوا: وَلِيَكُنِ التَّخْوِيفُ أَكْثَرَ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ إِلَيْهِ أَحْوَجُ؛ لِمِيلِهَا إِلَى الرَّجَاءِ وَالرَّاحَةِ وَالِاتِّكَالِ، وَإِهْمَالِ بَعْضِ الْأَعْمَالِ. اهـ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ، وَالتَّوْبَةُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٩ - (٢٧٥٨) حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ اعْمَلْ مَا

شِئْتُ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»، قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: لَا أَذْرِي أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: «اعْمَلْ مَا شِئْتُ»^(١).

٢٩ - (٢٧٥٨) قَالَ أَبُو أَحْمَدَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زُنْجُوَيْةَ الْقُرَشِيُّ الْقُشَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ النَّرْسِيُّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

٣٠ - (٢٧٥٨) حَدَّثَنِي عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنِي أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: كَانَ بِالْمَدِينَةِ قَاصٌّ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ عَبْدًا أَذْنَبَ ذَنْبًا»، بِمَعْنَى حَدِيثِ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَذَكَرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَفِي الثَّالِثَةِ: «قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ».

(أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا) من الرجال أو النساء، فعل خطيئة كبيرة؛ لأن الصغائر تكفرها الأعمال الصالحة، والتي تحتاج إلى توبة هي الكبائر، والصغائر كذلك يتوب منها لكن في الغالب ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [سورة النساء: ٣١]، وقد تقدم حديث (كفارة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر).

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي): تجاوز عنه وكفره.

(فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ) لمن تاب وأناب، كما قال تعالى: ﴿وَأِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

(وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ) يعاقب عليه، وهذه عبادة جليلة، دالة على حسن المراقبة، وأن الله لا يعجزه شيء.

(اعْمَلْ مَا شِئْتُ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ) ليس معناه أنه أجاز له فعل السيئات، ولكن معناه:

أن العبد ما دام مذنبا مستغفرا تائبا بشروط التوبة الصحيحة فتوبته مقبولة «والتائب من

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٧٥٠٧).

الذنب كمن لا ذنب له، ثم إنه يتعين عليه حين الإقلاع عن الذنب الأول الندم والعزم على عدم العود، أما إذا لم يكن نادما وكان عازما على العود فهذا لم يتب، فلا بد أن تتحقق أركان التوبة من الذنب الأول، ثم إذا عاد إليه لزمته توبة أخرى، وهكذا.

وهذا الحديث رد على من زعم أن التوبة النصوح ضابطها: أن لا يعود في الذنب مرة ثانية، فهذه توبة نصوح، غُفر له في الأولى، وغُفر له في الثانية، وغُفر له في الثالثة وهكذا.

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٣١ - (٢٧٥٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَسْطُرُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

٣١ - (٢٧٥٩) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

في هذا الحديث فضل التوبة، وأنها تصح في كل وقت، وعظيم فضل الله **عَزَّجَلَّ** على المؤمنين، إذ إنه يتجاوز على من تاب.

وفيه إثبات صفة اليدين لله **عَزَّجَلَّ**. وهما خبريتان تليق بجلاله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وفيه أن الله يُعصى في الليل ويعصى في النهار، ويتعين على العبد المبادرة بالتوبة قبل أن يحال بينه وبينها، إما بموتة في فجأة، أو غير ذلك.

وفيه أنها إذا طلعت الشمس من مغربها حيل بين الشخص وبين التوبة، وقد تقدم مرارا هل المراد في الوقت الذي تطلع الشمس فيه من مغربها أم حتى بعد ذلك؟ فقال بعض أهل العلم: إنما لا تقبل في ذلك الوقت؛ لأن الناس لشدة الهول تقع منهم التوبة جميعا، أما بعد أن ترجع لحالها الأول فتطلع من الشرق وتغرب في المغرب يعود الناس إلى ما هم فيه من الإعراض، والبعد عن طاعة الله **عَزَّجَلَّ**، والله المستعان.

والنووي رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذَا الْبَابِ يُؤَوِّلُ الْيَدَ كَمَا هِيَ الْعَادَةُ فِي شَأْنِهِ، وَنَحْنُ نَثَبِتُ صِفَةَ الْيَدَيْنِ كَمَا يَلِيقُ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، يَأْخُذُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَا وَيَسْطِهَا، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [سورة المائدة: ٦٤]، وَيَهْزُهَا، وَيَرْفَعُ بِهَا وَيَخْفِضُ، وَإِثْبَاتِ الْأَدْلَةِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ هُوَ مِنْهُجُ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ غَيْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ

قَالَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللهُ:

٣٢ - (٢٧٦٠) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشِ» ^(١).

٣٣ - (٢٧٦٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ».

٣٤ - (٢٧٦٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: قُلْتُ لَهُ أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ وَرَفَعَهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَا أَحَدٌ

(١) وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، حَدِيثُ رَقْمٍ: (٤٦٣٤).

أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنْ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ.

٣٥ - (٢٧٦٠) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ».

(أبو وائل) شقيق، (عبد الله) بن مسعود.

هذا حديث عظيم، فيه بيان محبة الله ﷻ للمدح والثناء، ولذلك مدح نفسه في كتابه، ومدحه رسول الله ﷺ في صحيح سنته، ويحب الله ﷻ أن يؤتى قبل دعائه بمدحه والثناء عليه، ويمدح الله ﷻ ويحمد، ويشكر على عظيم نعمه، وجميل مننه، كما يحمد **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على تمام وكمال صفاته، إذ أنه الكامل من كل وجه، ذاتا، وصفاتا وأفعالا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١].

ولكثرة محامده **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كثرت أسمائه وكثرت صفاته، والصفات الثبوتية كثرتها دال على عظيم الكمال، وعلو صفات الجلال، وأول سورة في القرآن جلها مدح وثناء: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ① الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ② مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ③ ﴿سورة الفاتحة: ٢-٤﴾ فلما حمد وكمل عبد **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة: ٥]، فلما عبد هدى وسدد وثبت وأعان، ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ④ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑤ [سورة الفاتحة: ٦-٧].

لم يكونوا من المغضوب عليهم ولا الضالين؛ لمدحهم الله ﷻ، فلم يغلو بحيث عبدوا غير الله كما فعل النصارى، ولم يجفوا بحيث ضيعوا حق الرسل كما فعل اليهود،

بل إنهم مع الله، ومع رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على أكمل ما يكون من الوجه.

ولا يُحمد أن يمدح الإنسان نفسه، إلا إذا كان لبيان خير عنده، ولدفع مذمة فيه وهو بريء من ذلك، وإلا فقد قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [سورة النجم: ٢٢]، بينما الله **عَزَّوَجَلَّ** لما كمل في صفاته وأسمائه وعظيم ذاته وأفعاله مدح نفسه، **(لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ)**، وقد افتتح خمس سور بالحمد الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وغافر.

(وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ) إثبات صفة الغيرة لله، على ما يليق بجلاله، وهي من الصفات الفعلية.

(مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ) ما فحش من الأفعال والأقوال، ما ظهر منها كالسب والشتم ونحو ذلك، وما بطن كالزنا واللواط ونحو ذلك، نسأل الله السلامة والعافية.

(وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ) يعذر الجاهلين، ويعذر المتأولين، بتأويل لهم فيه وجه، ويعذر المخطئين والناسين، ويعذر المكرهين، جعل أعدارا، فأنزل الكتاب وأرسل الرسول؛ لإقامة الحجة الرسالية على الناس، ﴿لَئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [سورة النساء: ١٦٥]، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: ١٥]، ﴿وَمَا كَانَتْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [سورة القصص: ٥٩].

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٣٦ - (٢٧٦١) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنُ عَلِيٍّ، عَنْ حَجَّاجِ بْنِ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: قَالَ يَحْيَى: وَحَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ»^(١).

٣٦ - (٢٧٦٢) قَالَ يَحْيَى: وَحَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ حَدَّثَهُ أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»^(٢).

٣٦ - (٢٧٦١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ وَحَرْبُ بْنُ شَدَّادٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ رِوَايَةِ حَجَّاجٍ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ خَاصَّةً، وَلَمْ يَذْكُرْ حَدِيثَ أَسْمَاءَ.

٣٧ - (٢٧٦٢) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ، حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ أَسْمَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا شَيْءٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»^(٣).

٣٨ - (٢٧٦١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، عَنْ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ يَغَارُ، وَاللهُ أَشَدُّ غَيْرًا».

٣٨ - (٢٧٦١) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ الْعَلَاءَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٢٢٣).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٢٢٢).

(٣) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٢٢٢).

فيه دليل أن الله **عَزَّوَجَلَّ** يوصف بصفات وقد يوصف بها المخلوق، لكن ما أضيف إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** مختص به، وما أضيف إلى المخلوق مختص به، فالله **عَزَّوَجَلَّ** يغار غير تليق بجلاله، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١]، والمخلوق يغار غير تليق بضعفه وعجزه، وقدرته.

والغيرة غيرتان: غيرة محمودة وغيرة مذمومة، فالمحمودة ما تكون بسبب والمذمومة ما تكون على شك.
قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾

قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

٣٩ - (٢٧٦٣) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو كَامِلٍ فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْجَحْدَرِيُّ كِلَاهُمَا عَنْ يَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي كَامِلٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي عُمَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ قَالَ: فَتَزَلَّتْ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُلْنَا مِنْ أَلِيلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَ لِلذَّكِرِينَ﴾ [سورة هود: ١١٤]، قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلَيْ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي»^(١).

٤٠ - (٢٧٦٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ أَبِيهِ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَانَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ أَنَّهُ أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ إِمَّا قُبْلَةً أَوْ مَسًّا بِيَدٍ أَوْ شَيْئًا، كَأَنَّهُ يَسْأَلُ عَنْ كَفَّارَتِهَا قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ **عَزَّوَجَلَّ**، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يَزِيدَ.

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٥٢٦).

٤١ - (٢٧٦٣) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ قَالَ: أَصَابَ رَجُلٌ مِنْ امْرَأَةٍ شَيْئًا دُونَ الْفَاحِشَةِ، فَاتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَعَظَّمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَى أَبَا بَكْرٍ فَعَظَّمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يَرِيدَ وَالْمُعْتَمِرِ.

٤٢ - (٢٧٦٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَفُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى، قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ سِمَاكِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ وَالْأَسْوَدِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ، وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمْسَهَا، فَأَنَا هَذَا فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ سَتَرَكَ اللَّهُ لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ قَالَ: فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، فَقَامَ الرَّجُلُ فَأَنْطَلَقَ فَاتَّبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا دَعَاهُ، وَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَدُلْفَا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِفَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾ [سورة هود: ١١٤]، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةٌ؟ قَالَ: «بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً».

٤٣ - (٢٧٦٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا أَبُو التُّعْمَانِ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعِجْلِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ يُحَدِّثُ عَنْ خَالِهِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي الْأَحْوَصِ وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: فَقَالَ مُعَاذُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا لِهَذَا خَاصَّةٌ أَوْ لَنَا عَامَّةٌ؟ قَالَ: «بَلْ لَكُمْ عَامَّةً».

(أَنْ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً) وليست بمحرم وليست بزوجة.

(فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ)؛ خشية معرة الذنب، ويبحث عن مكفر لذلك، وإلا فإن الأصل أن الإنسان يستر نفسه في مثل هذه الحالات، لكن لكمال إيمانهم ولعظيم شأنهم يبحث أحدهم عن المكفر، ولو أدى ذلك إلى جلده وضربه، وربما إلى قتله، كما هو في أحاديث الرجم.

(فَنَزَلَتْ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النِّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾) هذه الآية في سورة هود وهي مكية، والآية قيل: مدنية، وقيل: بأنها نزلت في مكة، وإنما نزلت مرة أخرى في شأن هذا الرجل، وبعض أهل العلم يستبعد النزول مرتين.

(﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النِّهَارِ﴾) يعني الصبح والمساء، **(﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾)**: المغرب والعشاء، ذكر بعض أهل العلم: أن هذه الآية تضمنت الأوقات الخمسة. قوله **عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النِّهَارِ﴾** أي: الغدَاةُ وَالْعِشْيُ، يَعْنِي: صَلَاةَ الصُّبْحِ وَالْمَغْرِبِ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: طَرَفَا النِّهَارِ صَلَاةُ الصُّبْحِ وَالظُّهْرِ وَالْعَصْرِ. ﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾: صَلَاةُ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ. **وَقَالَ مُقَاتِلٌ: صَلَاةُ الْفَجْرِ وَالظُّهْرِ طَرَفٌ، وَصَلَاةُ الْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ طَرَفٌ، وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ، يَعْنِي: صَلَاةُ الْعِشَاءِ.**

وَقَالَ الْحَسَنُ: طَرَفَا النِّهَارِ، الصُّبْحُ وَالْعَصْرُ، وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ: الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: طَرَفَا النِّهَارِ الْغَدَاةُ وَالْعِشْيُ، يَعْنِي صَلَاةَ الصُّبْحِ وَالْمَغْرِبِ.

قوله: **(﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾)** أي: سَاعَاتُهُ وَاحِدَتُهَا زُلْفَةٌ. وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ زُلْفًا، بِضَمِّ اللَّامِ ^(١).

وذهب بعض هؤلاء المتقفرين يقولون: إنما فرض على الإنسان صلاتان، قيل: هذا في أول الإسلام، على القول بأنها تدل على صلاتين قيل: هذا في أول الإسلام، فالآية مكية، وقد قالت عائشة: فرضت الصلاة في الحضر والسفر ركعتين ركعتين، فأقرت صلاة السفر وزيد في الحضر، وقد تقدم.

(إِنَّ الْحَسَنَاتِ): الطاعات (يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) بسبب الأعمال المخالفات.
 (ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ) موعظة للمؤمنين المستجيبين.
 (لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي) وهذا دليل للقاعدة الأصولية: أن أدلة القرآن والسنة كثيرها خاص النزول عام الدلالة، وقال: (بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً)، (بَلْ لَكُمْ عَامَّةً)، فالنصوص الشرعية وإن كانت خاصة السبب فإنها عامة اللفظ.
 وفي هذا الحديث دليل عظيم أن الحسنات يذهبن السيئات، وقد جاء في حديث أبي ذر ومعاذ: «يَا مُعَاذُ، أَتَبِعَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(١).
 (أَصَابَ رَجُلٌ مِنْ أُمَّرَأَةٍ شَيْئًا دُونَ الْفَاحِشَةِ) أي: القبله ونحو ذلك.
 (فَأَتَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَعَظَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَى أَبَا بَكْرٍ فَعَظَّمَ عَلَيْهِ) بينما النبي ﷺ انتظر نزول الوحي فكان فيه الفرج بعد الشدة، فالذنوب قبيحة ومعرتها شديدة، لكن إن غفرها الله وتجاوز عنها صارت السيئات حسنات.
 قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٤ - (٢٧٦٤) حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمُّهُ عَلَيَّ قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمُّ فِيَّ كِتَابَ اللَّهِ قَالَ: «هَلْ حَضَرَتِ الصَّلَاةُ مَعَنَا؟» قَالَ: نَعَمْ قَالَ: «قَدْ غُفِرَ لَكَ»^(٢).

(أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمُّهُ عَلَيَّ) يعني وقعت في مخالفة شرعية، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٩]، فالحد قد يطلق على المعصية، وقد يطلق على ما يستوجب الإنسان على فعل المعصية.

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: (٢١٩٨٨).

(٢) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٦٨٢٣).

(فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) الجماعة.

(فَأَقِمَّ فِيَّ كِتَابَ اللَّهِ) إن كان هناك حد في كتاب الله فالحدود إذا بلغت السلطان تعين

إقامتها.

(قَدْ غُفِرَ لَكَ)؛ لأنه فعل فعله دون الحد، لكن قد يقع عليه التعزير، لا سيما لمن

جاهر بها واستمر عليها.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥ - (٢٧٦٥) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ (وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ) قَالَا: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا شَدَّادٌ، حَدَّثَنَا أَبُو أُمَامَةَ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَنَحْنُ فُعُودٌ مَعَهُ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمَّهُ عَلَيَّ، فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَعَادَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمَّهُ عَلَيَّ، فَسَكَتَ عَنْهُ، وَأُقِمَتِ الصَّلَاةُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: فَاتَّبَعَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ انْصَرَفَ، وَاتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْظَرُ مَا يَرُدُّ عَلَى الرَّجُلِ، فَلَحِقَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمَّهُ عَلَيَّ، قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا؟» فَقَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ أَوْ قَالَ ذَنْبَكَ».

(أبو أُمَامَةَ) صدي بن عجلان.

(بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، وَنَحْنُ فُعُودٌ مَعَهُ) كانوا كثيرا ما يلزمون المسجد

للصلاة والذكر، وانتظار الصلاة، وسماع الخير.

(إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا): أي معصية.

(أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ): أخبرني حين خرجت من بيتك.

(أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ التَّوْبَةَ؟) وهذا من المكفرات، كما تقدم في حديث

عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا؟) وهذا من المكفرات.

هَذَا الْحَدُّ مَعْنَاهُ مَعْصِيَةُ مِنَ الْمَعَاصِي الْمَوْجِبَةِ لِلتَّعْزِيرِ، وَهِيَ هُنَا مِنَ الصَّغَائِرِ؛ لِأَنَّهَا كَفَرَتْهَا الصَّلَاةُ، وَلَوْ كَانَتْ كَبِيرَةً مُوجِبَةً لِحَدٍّ، أَوْ غَيْرُ مُوجِبَةٍ لَهُ لَمْ تَسْقُطِ بِالصَّلَاةِ، فَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْمَعَاصِي الْمَوْجِبَةَ لِلْحُدُودِ لَا تَسْقُطُ حُدُودُهَا بِالصَّلَاةِ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ، وَحَكَى الْقَاضِي عَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحَدِّ الْمَعْرُوفِ، قَالَ: وَإِنَّمَا لَمْ يَحْدِّهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُفَسِّرْ مُوجِبَ الْحَدِّ، وَلَمْ يَسْتَفْسِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ إِثَارًا لِلِسُّرِّ، بَلِ اسْتَحَبَّ تَلْقِينَ الرَّجُوعِ عَنِ الْإِقْرَارِ بِمُوجِبِ الْحَدِّ صَرِيحًا. أفاده النووي.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ، وَإِنْ كَثُرَتْ قَتْلُهُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦ - (٢٧٦٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فَيَمَنُ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُدِّلَ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ فَكَمَلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فُدِّلَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ فَاَنْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا

مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَاتَّاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَذْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَذْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ. قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ ^(١).

٤٧ - (٢٧٦٦) حَدَّثَنِي عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الصَّدِيقِ النَّاجِيَّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا قَتَلَ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ نَفْسًا، فَجَعَلَ يَسْأَلُ هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَآتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ: لَيْسَتْ لَكَ تَوْبَةٌ فَقَتَلَ الرَّاهِبَ، ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ فِيهَا قَوْمٌ صَالِحُونَ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَذْرَكَهُ الْمَوْتُ فَتَأَى بِصَدْرِهِ، ثُمَّ مَاتَ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ مِنْهَا بِشَرٍّ، فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا».

٤٨ - (٢٧٦٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ مُعَاذٍ، وَزَادَ فِيهِ: «فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْ هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَإِلَى هَذِهِ أَنْ تَقْرَبِي».

(أبو الصديق) الناجي.

(كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) أي في بني إسرائيل، والحديث مذكور في قصص بني إسرائيل في غير ما الكتاب.

(رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ نَفْسًا) أي كان جريئاً على القتل، وهي من الأنفس المعصومة، أما لو قتل أكثر من ذلك وهي لم تكن معصومة لم يخاطب.

(فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدَلَّ عَلَى رَاهِبٍ)؛ لجهل الناس لا يفرقون بين العالم والعابد، وما أكثرهم الآن! العالم عندهم من ظهر في التلفزيون أو ظهرت صورته، أو

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٣٤٧٠).

كثرت شهرته، ربما كان معه قناة في اليوتيوب، أو موقع في تويتر، أو القناة على التلجرام وإذا به يُشهر بين الناس، ويظنه الناس عالماً وليس بعالم، فيتبعونه على ضلاله وعلى مخالفته.

(فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟) أي: رجوع إلى الله.

(فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ) أصابه شؤم جهله، أفتاه بعدم التوبة مع أن التوبة تصح من كل ذنب وفي كل وقت، فأصيب بشؤم جهله، وبسوء فتواه وفعله.

(ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ) دل على أنه ما زال في قلبه الخير يؤمله ويرجوه.

(فَدَلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ) والعالم يسر الله **عَزَّجَلَّ** على يديه الحلول والإرشادات.

(نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟) من يمنع بين هذا الرجل القاتل المسرف وبين

التوبة التي تصح من الكفر؟ فكيف بالذنب العظيم؟

(انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا) دله على العلاج، أحيانا البيئة مفسدة، مجالسة السيئين

سيئة، ولذلك إذا كثرت معاصيك في بلد ارحل منها إلى غيرها، وجالس الصالحين.

(فَإِنَّ بِهَا أَنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ) مجالسة الصالحين خير، وتعاون على

البر والتقوى.

(وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سُوءٌ) سوء بسبب أهلها، وإلا فإن الأرض لا

شأن لها، لكن سوء بسبب أهلها، فقد كثر فيهم المعاصي والسيئات حتى جاهدوا

بالقتل ونحوه.

(أَنَّهُ الْمَوْتُ) ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [سورة الرعد: ٣٨]، ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٥].

(فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ) ملائكة الرحمة تريده إلى الجنة،

وملائكة العذاب تريده إلى النار بسبب ذنوبه ومعاصيه الكثيرة، لكن التوبة تهدم ما

قبلها.

(فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ) والتوبة تهدم ما قبلها على ما تقدم، بل ربما تحيل السيئات إلى حسنات.

(وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ) لكن العمل القلبي خير، فملائكة العذاب نظرت إلى كثرة أفعاله الإجرامية، لم يتورع عن قتل العباد وغير العباد، وملائكة الرحمة نظرت إلى خاتمته الحسنة.

(فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ) أي للحكم بينهم، وفيه أن الملائكة لا يعلمون إلا ما علمهم الله.

وفيه التحكيم بالأمر المختلف فيها، والرضا بالحكم إن وافق الحق والصواب، والأخذ بالقرائن، وغير ذلك.

(نَأَى بِصَدْرِهِ) أي مال بصدرة، فصار من أهل الخير.

(فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ هَذِهِ أَنْ تَبَاعِدِي، وَإِلَى هَذِهِ أَنْ تَقْرَبِي) فيه عظيم فضل الله عَزَّوَجَلَّ على عباده.

وفيه أن الأعمال بالخواتيم وأن القتل ليس بكفر، وهذا رد على الخوارج كما أن فيه رد على المرجئة من حيث بيان ضعف الإيمان بالأعمال السيئة.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٩ - (٢٧٦٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ: هَذَا فِكَأُكَ مِنَ النَّارِ».

٥٠ - (٢٧٦٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ أَنَّ عَوْنًا وَسَعِيدَ بْنَ أَبِي بُرْدَةَ حَدَّثَاهُ أَنَّهُمَا شَهِدَا أَبَا بُرْدَةَ يَحْدُثُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا».

قَالَ: فَاسْتَحْلَفَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَحَلَفَ لَهُ قَالَ: فَلَمْ يُحَدِّثْنِي سَعِيدٌ: أَنَّهُ اسْتَحْلَفَهُ، وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَى عَوْنِ قَوْلِهِ.

٥٠ - (٢٧٦٧) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ، أَخْبَرَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ عَفَّانَ وَقَالَ: عَوْنُ بْنُ عُتْبَةَ.

٥١ - (٢٧٦٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبَّادِ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ، حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ، حَدَّثَنَا شَدَّادُ أَبُو طَلْحَةَ الرَّاسِبِيُّ، عَنْ غِيلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ، وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى»، فِيمَا أَحْسَبُ أَنَا، قَالَ أَبُو رَوْحٍ: لَا أَذْرِي مِمَّنِ الشُّكُّ.

قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ: أَبُوكَ حَدَّثَكَ هَذَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؟ قُلْتُ: نَعَمْ.

(إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وحشر الناس، وأخذوا بأعمالهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون.

(فَيَقُولُ: هَذَا فِكَامُكَ مِنَ النَّارِ): الخلاص والفداء.

قال النووي رحمه الله: وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: لِكُلِّ أَحَدٍ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَالْمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ خَلَفَهُ الْكَافِرُ فِي النَّارِ لِاسْتِحْقَاقِهِ ذَلِكَ بِكُفْرِهِ.

وقد ذكر هذا عند قول الله عز وجل: ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [سورة الحجر: ٢٣]. اهـ

(يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ) معاصي كثيرة وسيات عظيمة.

(فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ) يتجاوز عنهم فيها.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فَمَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفِرُ تِلْكَ الذُّنُوبَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَيُسْقِطُهَا عَنْهُمْ، وَيَضَعُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِثْلَهَا بِكُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ، فَيَدْخِلُهُمُ النَّارَ بِأَعْمَالِهِمْ لَا بِذُنُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا بُدَّ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [سورة الأنعام: ١٦٤].

وَقَوْلُهُ: (وَيَضَعُهَا) مَجَازٌ، وَالْمُرَادُ: يَضَعُ عَلَيْهِمْ مِثْلَهَا بِذُنُوبِهِمْ كَمَا ذَكَرْنَاهُ، لَكِنْ لَمَّا اسْقَطَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الْمُسْلِمِينَ سَيِّئَاتِهِمْ، وَأَبْقَى عَلَى الْكُفَّارِ سَيِّئَاتِهِمْ، صَارُوا فِي مَعْنَى مَنْ حَمَلَ إِثْمَ الْفَرِيقَيْنِ؛ لِكَوْنِهِمْ حَمَلُوا الْإِثْمَ الْبَاقِي، وَهُوَ إِثْمُهُمْ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَثَامًا كَانَ لِلْكَفَّارِ سَبَبٌ فِيهَا، بِأَنْ سَنُوها، فَتُسْقِطُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ بِعَفْوِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُوضَعُ عَلَى الْكُفَّارِ مِثْلُهَا؛ لِكَوْنِهِمْ سَنُوها، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ كُلِّ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٢ - (٢٧٦٨) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هِشَامِ الدَّسْتَوَائِيِّ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عُمَرَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يُدْنِي الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ».

(فِي النَّجْوَى) يعني في شأن المناجاة التي تكون بين العبد وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّ

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يدني المؤمن يوم القيامة فيناجيه، في ستر من الناس لا يفصحها، ولا

يبعده، ولا يقصيه، بخلاف الكافر، فإنه يفضح على رؤوس الأشهاد، نسأل الله السلامة والعافية.

(يُذْنِي الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّجَلَّ) إكراما له وسترا عليه.

(حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ): ستره، والحديث يمر كما جاء.

(فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ) يعني يقول: عملت كذا وكذا؟ عملت كذا

وكذا؟ وهو يقول: نعم يا رب.

(فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا) وهذا دليل على عظيم نعمة الله على العبد ما دام

مستورا في الدنيا يرجى له الخير، وإذا فضح في الدنيا يخشى عليه الشر والظير والنبى

ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَايِي إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ

عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ

رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ».

(وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ) يتجاوز عنه فيها.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبِيهِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٣ - (٢٧٦٩) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَرْحِ مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ، أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، وَهُوَ يُرِيدُ الرُّومَ وَنَصَارَى الْعَرَبِ بِالشَّامِ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ كَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: لَمْ أَتَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا قَطُّ إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ

بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهُ إِلَّا مَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ
عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ، وَبَيَّنَ عُدُوَّهُمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ.
وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أَحَبُّ
أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا.

وَكَانَ مِنْ خَبَرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ
أَقْوَى، وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَاللَّهُ مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا
رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ،
وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَارًا، وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ؛ لِيَتَأَهَّبُوا
أَهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ،
وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ، يُرِيدُ بِذَلِكَ الدِّيَّانَ.

قَالَ كَعْبٌ: فَقُلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ
مِنَ اللَّهِ ﷻ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الشَّمَارُ وَالظَّلَالُ، فَأَنَا
إِلَيْهَا أَصْعَرُ، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ
مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ، وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ
يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادَى بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْحَدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَادِيًا،
وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا،
فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأَدْرِكَهُمْ
فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يَقْدَرْ ذَلِكَ لِي فَطَفِقْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْزِنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النَّفَاقِ، أَوْ
رَجُلًا مِمَّنْ عَدَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ.

وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ:
«مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟»، قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمْةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ

فِي عَظْمِيهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبَيَّضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ»، فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ.

فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَنِي، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمِ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟ وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ لِي: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاخَ عَنِّي الْبَاطِلُ، حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُو مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا، فَاجْتَمَعْتُ صِدْقَهُ.

وَصَبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَرَكَعَ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخْلَفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضِعَّةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ.

حَتَّى جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمُ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ»، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَحْدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي عُذْرٌ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ».

فَقُمْتُ وَنَارَ رِجَالٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَدَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَدَرَبِهِ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتَغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤْنِبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأُكَذِّبَ نَفْسِي.

قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِيَ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ لَقِيَهِ مَعَكَ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ، قَالَ: قُلْتُ مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعَةِ الْعَامِرِيُّ وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ، قَالَ: فَذَكَّرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أَسْوَةٌ قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوا هُمَا لِي.

قَالَ: وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ قَالَ: فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ وَقَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنْكَرْتُ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكْنَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَكَ شَفَتَيْهِ بَرْدَ السَّلَامِ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أَصْلِي قَرِيبًا مِنْهُ، وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي.

حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أَحَبُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ.

فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبْطِي مِنْ نَبْطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَى حَتَّى جَاءَنِي، فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ عَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتِبًا فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضِيعَةٍ، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتَهَا: وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَأَمَمْتُ بِهَا التَّنُورَ فَسَجَرْتُهَا بِهَا.

حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ، وَاسْتَلَبْتُ الْوَحْيَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ امْرَأَتَكَ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَطْلُقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا بَلٍ اغْتَرِلْهَا، فَلَا تَقْرَبْنَهَا، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيَّ صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِمَ امْرَأَتِي: الْحَقِّي بِأَهْلِكَ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ. قَالَ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لَا وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكَ»، فَقَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَّا إِلَى شَيْءٍ وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا.

قَالَ: فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ؟ فَقَدْ أَذِنَ لِمَرْأَةِ هَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا اسْتَأْذَنُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ. قَالَ: فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ فَكَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَيْ عَنْ كَلَامِنَا قَالَ: ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ عَنْ رَجُلٍ مِنَّا، قَدْ ضَاقتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ فَرْجٌ.

قَالَ: فَأَذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُشِيرُونَ، فَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي، وَأَوْفَى الْجَبَلَ فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي فَنَزَعْتُ لَهُ ثُوبِي فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ، وَاللَّهُ مَا أَمْلِكُ غَيْرُهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثُوبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، فَانْطَلَقْتُ أَتَأْتِمُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ، وَيَقُولُونَ: لَتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ يُهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي، وَهَنَّانِي وَاللَّهُ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ قَالَ: فَكَانَ كَعَبٍّ لَا يَسَاها لِطَلْحَةَ.

قَالَ كَعَبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ وَيَقُولُ: «أَبَشِّرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»، قَالَ: فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «لَا بَلَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ.

قَالَ: فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلَعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ، قَالَ: وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أَحْدَثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيْتُ.

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ بِهِ، وَاللَّهُ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَا رَجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ.

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ**: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ١٧٧ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١٧٨﴾ [سورة التوبة: ١٧٧-١٧٨] حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿يَتَابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١١٩].

قَالَ كَعْبٌ: وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ وَقَالَ اللَّهُ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنُغَرِّضَنَّ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٦٠﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ١٦١﴾ [سورة التوبة: ٩٥-٩٦].

قَالَ كَعْبٌ: كُنَّا خُلَفَا أَيْهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّىٰ قَضَىٰ اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ [سورة التوبة: ١١٨] وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِفْنَا تَخَلُّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ، وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ ^(١).

٥٣ - (٢٧٦٩) وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ بِإِسْنَادٍ يُؤْنَسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ سَوَاءً.

٥٤ - (٢٧٦٩) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ ابْنُ أَخِي الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَمِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ بْنُ مَالِكٍ، وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ حِينَ عَمِيَ قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَزَادَ فِيهِ عَلَى يُونُسَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلَمًا يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي حَدِيثِ ابْنِ أَخِي الزُّهْرِيِّ أَبَا خَيْثَمَةَ، وَلُحُوقَهُ بِالنَّبِيِّ ﷺ.

٥٥ - (٢٧٦٩) وَحَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَيْبٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ، حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ وَهُوَ ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ عَمِّهِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ، وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ حِينَ أُصِيبَ بَصَرُهُ، وَكَانَ أَعْلَمَ قَوْمِهِ وَأَوْعَاهُمْ لِأَحَادِيثِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ وَهُوَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تَبَّ عَلَيْهِمْ، يُحَدِّثُ: أَنَّهُ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا قَطُّ غَيْرَ غَزَوَتَيْنِ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ وَقَالَ فِيهِ: وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَنَاسٍ كَثِيرٍ يَزِيدُونَ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ دِيَوَانٌ حَافِظٌ.

إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ غزوة بدر النبي ﷺ لم يعاتبهم، بل أمر من كان ظهره حاضرا أن يركب، أما في تبوك أخبرهم بالوجهة، أخبرهم بالاستعداد، دعاهم إلى الخروج، أمرهم بالنفر.

(حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ، وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ) ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنَّ اللَّهَ لَيَفْضِي أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [سورة الأنفال: ٤٢].

(وَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدٌ بَدْرٍ)؛ لأن ليلة العقبة بداية الهجرة، فيها النصر العظيمة. **(ولم يكن رسول الله ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا)** حتى يصبّحوا أو يمساوا المشركين على غرة، وأيضا كان الاستعداد يسير، مثلا غزوة أيام ربما يستعد قائد

الجيش بأكلهم، بشرهم، بمشيهم يسهل، أما غزوة تبوك المسافة بعيدة، مسير شهر، والرجوع شهر، يحتاجون إلى إعداد شديد.

(فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا) في صحراء، ما فيها حتى التراب، إنما فيها الرمال، وبهذا استدل أهل العلم أنه لا يشترط التراب في التيمم؛ لأن النبي ﷺ سافر إلى تبوك ما كان هناك تراب، كان هناك رمال، فكان يтимم على الرمال.

(وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا) من الروم.

(وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ، يُرِيدُ بِذَلِكَ الدِّيَّانَ) يعني عدد كبير، وما كانوا يكتبون العساكر كما يكتب الآن.

(حِينَ طَابَتْ الشَّمَارُ وَالظَّلَالُ) ثمار النخل.

(حَتَّى اسْتَمَرَ بِالنَّاسِ الْجِدُّ) الجد هنا المراد به كأنه الحاجة والغنى.

(ثُمَّ لَمْ يَقْدَرْ ذَلِكَ) ولو قدر لكان.

(أَنِّي لَا أَرَى لِي أَسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ) يعني أصبح إما بين منافق وإما بين عاجز، وهو رجل في كامل قوته.

(وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ) هكذا الناس يتمايزون في المعرفة، في النصر، الآن قد تقع عليك حالة أو أمر ينزل بك آلاف ما يبالون بك، ما تعتب عليهم، ولا تقول: لماذا ما سألوا عني؟ ولا: أين هم؟ بينما قد تسأل عن واحد بعينه: الله المستعان فلان قصر؟ فلان ما اتصل بي؟ فلان ما كلمني؟ فلان ما أعانني؟

فالنبي ﷺ ما ذكر كثيرا من الناس الذين تخلفون، لاسيما أصحاب النفاق، ليس بمبال بهم، بل في تخلفهم رحمة للمسلمين، ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضِعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٤٧]، لكن ذكر مثل هذا الرجل، رجل عرفه بالخير والصلاح.

(حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفِيهِ) هكذا كثير من الناس ربما يسيئون الظن بالإنسان، لا سيما إذا وقع منه ما يستوجب إساءة الظن، فالإنسان يكون على حذر مما يستوجب إساءة الظن، لا يضع نفسه في موطن التهمة ثم يقول: لماذا أساءوا الظن به؟ تميز عن مواطن التهم، يجلس مع أصحاب المخدرات ويقول: لماذا يظنون أنني من أصحاب المخدرات؟ أو يماشي الفسقة ويقول: يا جماعة لماذا يظنون في أنني فاسق؟ تميز، جالس الصالحين يظن بك الصلاح، جالس السيئين يظن بك السوء حتى ولو كنت لست مثلهم في السوء، لكن هكذا ظن الناس.

(فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا) مدافعة عمن علم خيره، والتماس العذر له.

(فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَشِي) ما يقول؟ بماذا تعتذر؟ إذا كان الخطأ كبيرا بماذا تعتذر؟ أخطاء الناس على قدر منازلهم ومراتبهم. (عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُو مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا) فيه كذب، هذا من توفيق الله له، أما البقية من أهل النفاق ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المجادلة: ١٤].

(فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ) أسهل الأشياء الحلف عند المنافقين، قبل أن تقول له: احلف وهو يقول: والله العظيم، وأقسم بالله، وأنتك عندي عزيز، وأنا كنت أريد وأنا، لا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله السلامة والعافية.

(فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ) لكن نزلت سورة التوبة في فضحهم: ومنهم ومنهم، حتى سميت الفاضحة.

(تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ) يعني يعاتبه بهذا التبسم، كأنه يقول: الله المستعان تخلفت عنا في أحلك الظروف وأحوج ما نكون إليك؟

(وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ) المعصية من أسباب سخط الله على العباد، ارض الله يرضي الله عنك

الناس، اسخط الله تطلب رضا الناس يُسخط الله عليك الناس بعد أن يسخط عليك، نسأل الله السلامة والعافية، من أَرْضَى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، ومن أَرْضَى الله بسخط الناس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وأَرْضَى عنه الناس كما قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [سورة مريم: ٩٦].

(لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ) هذا شور قد يفسد عليه الحال، لكن **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ثبت، (فذكروا له هلال بن أمية ومرارة بن الربيع ممن تأخروا).

(فِيهِمَا أُسْوَةٌ): قدوة.

(فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ وَقَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا) استجابة لله ولرسوله.

(حَتَّى تَنَكَّرْتُ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ) يا أخي أحيانا لو تهاجرت مع أيك أو أنت وزوجتك أو ولدك تضيق الأيام حتى يتم المصالحة، فكيف إذا كانت المهاجرة من جميع المسلمين بما فيهم رسول الله ﷺ؟

(فَعُدْتُ فَنَاسَدْتُهُ فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) أبى أن يقول له: نعم، فقد أمر الله بهجرك وأمر رسول الله ﷺ بهجرك، فالله أعلم، فكانت هذه شديدة عليه.

(إِذَا نَبَطِيٍّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ) نصراني.

(يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ...) وهكذا أهل الباطل إذا شعروا أن صاحب الحق قد نُصَحَ أو وُجِهَ له شيء من النصح من محبيه يريد أن يزيغه إلى أشد الزيغ، فالنبي ﷺ أمر بهجرهم؛ لتقويمهم، وهذا المُدْبِر يريد أن يخرجهم من الإسلام.

(فَسَجَرْتُهَا بِهَا) أي أحرقتها.

(الْحَقِّي بِأَهْلِكَ) استدل العلماء بهذه اللفظة على أن لفظ **(الحقي بأهلك)** ليس بطلاق إلا مع النية.

(وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ) هذا من الفرج بعد الشدة، وأي شدة نزلت بهم؟ ليست شدة فقر ولا شدة مرض، شدة يُخشى من غضب الله وغضب رسوله ﷺ.

(فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُشِيرُنِي، فَزَعْتُ لَهُ نُوبِي فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبَشَارَتِهِ) فيه المجازاة على البشارة ونحو ذلك.

(يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنِّتُونِي بِالتَّوْبَةِ، وَيَقُولُونَ: لِيَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ) هنيئًا، وكثير من الناس ينحرفون عن الكتاب والسنة ويستمترون في انحرافهم؛ خشية مثل هذا الموقف، لكن الإنسان لو تاب تاب الله عليه، وصدق، هنيئًا له.

(فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ يَهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي، وَهَنَانِي) هكذا من وقع في زلة وعلمت توبته يُشجع ويعان ويكرم، لعل الله أن يثبته.

(أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ) كيف لا يكون خير يوم والله عزَّجَلَّ قد ذكره في القرآن؟ ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١١٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ [سورة التوبة: ١١٨-١١٩].

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ [سورة التوبة: ١١٨] ليس المعنى: الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك؛ لأن الذين تخلفوا عن تبوك أعداد كثيرة، لكن الذين خُلِفُوا عن قبول توبتهم وقبول عذرهم.

هذا حديث عظيم، ذكره النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب التوبة من (رياض الصالحين)، ويصلح أن يكون في كتاب الصدق، ويصلح أن يكون في كتاب الفرج بعد الشدة، ويصلح أن يكون في كتاب الجهاد، ويصلح أن يكون في كتاب الطاعة لله ولرسوله، والمبادرة إلى ذلك، ويصلح أن يكون في كتاب السنة، وهجر أهل البدع والمنازمة لهم، وله أبواب كثيرة، ولعل الحافظ يذكر بعض الاستنباطات بعد أن يذكر شرحه:

قال رحمه الله: ويستنبط منه ترك قتل الزنديق إذا أظهر التوبة، وأجاب من أجازه بأن الترك كان في زمن النبي ﷺ؛ لمصلحة التأليف على الإسلام.

وفيها: عظم أمر المعصية، وقد نبه الحسن البصري على ذلك فيما أخرجه بن أبي حاتم عنه قال: يا سبحان الله! ما أكل هؤلاء الثلاثة مالا حراما ولا سفكوا دما حراما ولا أفسدوا في الأرض أصابهم ما سمعتم، وضائق عليهم الأرض بما رحبت فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر؟

وفيها: أن القوي في الدين يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ الضعيف في الدين. وجواز إخبار المرء عن تقصيره وتفريطه وعن سبب ذلك وما آل إليه أمره؛ تحذيرا ونصيحة لغيره، وجواز مدح المرء بما فيه من الخير إذا أمن الفتنة، وتسلية نفسه بما لم يحصل له بما وقع لنظيره وفضل أهل بدر والعقبة والحلف للتأكيد من غير استحلاف والتورية عن المقصد، ورد الغيبة، وجواز ترك وطء الزوجة مدة.

وفيه: أن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها، ولا يسوف بها؛ لئلا يحرمها كما قال تعالى: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [سورة الأنفال: ٢٤]، ومثله قوله تعالى: ﴿وَنَقَلِبْ أَفْدَنَّهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة الأنعام: ١١٠]، ونسأل الله تعالى أن يلهمنا المبادرة إلى طاعته، وأن لا يسلبنا ما خولنا من نعمته.

وفيها: جواز تمنى ما فات من الخير، وأن الإمام لا يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور، بل يذكره؛ ليراجع التوبة، وجواز الطعن في الرجل بما يغلب على اجتهاد الطاعن عن حمية الله ورسوله.

وفيها: جواز الرد على الطاعن إذا غلب على ظن الراد وهم الطاعن أو غلظه.

وفيها: أن المستحب للقدام أن يكون على وضوء، وأن يبدأ بالمسجد قبل بيته فيصلّي ثم يجلس لمن يسلم عليه، ومشروعية السلام على القادم وتلقيه، والحكم بالظاهر، وقبول المعاذير، واستحباب بكاء العاصي أسفا على ما فاته من الخير.

وفيها: إجراء الأحكام على الظاهر ووكل السرائر إلى الله تعالى.

وفيها: ترك السلام على من أذنب، وجواز هجره أكثر من ثلاث، وأما النهي عن الهجر فوق الثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعيا، وأن التبسم قد يكون عن غضب كما يكون عن تعجب ولا يختص بالسرور^(١)، ومعاتبة الكبير أصحابه ومن يعز عليه دون غيره.

وفيها: فائدة الصدق وشؤم عاقبة الكذب.

وفيها: العمل بمفهوم القلب إذا حفته قرينة؛ لقوله ﷺ لما حدثه كعب: «أما هذا فقد صدق»، فإنه يشعر بأن من سواه كذب، لكن ليس على عمومه في حق كل أحد سواه؛ لأن مرارة وهلا لا أيضا قد صدقا، فيختص الكذب بمن حلف واعتذر لا بمن اعترف، ولهذا عاقب من صدق بالتأديب الذي ظهرت فائدته عن قرب، وآخر من كذب للعقاب الطويل، وفي الحديث الصحيح: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَجَّلَ لَهُ عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرًّا أَمْسَكَ عَنْهُ عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا، فَبَرِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِذُنُوبِهِ».

قيل: وإنما غلظ في حق هؤلاء الثلاثة؛ لأنهم تركوا الواجب عليهم من غير عذر ويدل عليه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ١٢٠]، وقول الأنصار:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

وفيها: تبريد حر المصيبة بالتأسي بالنظير.

(١) يقولون: إذا رأيت الرجل يضحك ويتبسم وهو حزين فاعلم أنه غضبان.

وفيها: عظم مقدار الصدق في القول والفعل، وتعليق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما به، وأن من عوقب بالهجر يعذر في التخلف عن صلاة الجماعة؛ لأن مرارة وهلا لا لم يخرجها من بيوتها تلك المدة^(١).

وفيها: سقوط رد السلام على المهجور عمن سلم عليه إذ لو كان واجبا لم يقل كعب: هل حرك شفتيه برد السلام؟

وفيها: جواز دخول المرء دار جاره وصديقه بغير إذنه ومن غير الباب إذا علم رضاه.

وفيها: أن قول المرء: الله ورسوله أعلم ليس بخطاب ولا كلام، ولا يحث به من حلف أن لا يكلم الآخر إذا لم ينو به مكالمته، وإنما قال أبو قتادة ذلك لما ألح عليه كعب وإلا فقد تقدم أن رسول ملك غسان لما سأل عن كعب جعل الناس يشيرون له إلى كعب ولا يتكلمون بقولهم مثلا: هذا كعب؛ مبالغة في هجره والإعراض عنه.

وفيها: أن مسارقة النظر في الصلاة لا تقدر في صحتها، وإيثار طاعة الرسول على مودة القريب، وخدمة المرأة زوجها، والاحتياط لمجانبة ما يخشى الوقوع فيه، وجواز تحريق ما فيه اسم الله للمصلحة وفيها مشروعية سجود الشكر والاستباق إلى البشارة بالخير، وإعطاء البشير أنفس ما يحضر الذي يأتيه بالبشارة، وتهنئة من تجددت له نعمة والقيام إليه إذا أقبل، واجتماع الناس عند الإمام في الأمور المهمة وسروره بما يسر أتباعه، ومشروعية العارية، ومصافحة القادم والقيام له، والتزام المداومة على الخير الذي ينتفع به، واستحباب الصدقة عند التوبة، وأن من نذر الصدقة بكل ماله لم يلزمه إخراج جميعه، وسيأتي البحث فيه في كتاب النذر إن شاء الله تعالى.

وقال بن التين: فيه أن كعب بن مالك من المهاجرين الأولين الذين صلوا إلى القبليتين، كذا قال، وليس كعب من المهاجرين، إنما هو من السابقين من الأنصار.

(١) الله أعلم الذي يظهر أن التخلف عن صلاة الجماعة إذا عجز عن الحضور، أما بمجرد الهجر لا، وهؤلاء لعلمهم كانوا شيوخا كبارا في السن، يشق عليهم.

موافق مرت بهم، وكانوا صادقين مع الله، وصادقين مع رسول الله ﷺ، وصادقين في استقامتهم، الآن بعض الناس يترك الاستقامة بنصيحة يوجها له شيخه، وربما يترك طلب العلم، ويترك الخير، وتجد العتب الشديد، والله المستعان.

وهكذا في الأبناء وفي الزوجات، وفي جميع المداخلات، فالإنسان إذا وقع منه المخالفة يتحمل ما ينزل به من العتب، ما ينزل به ربما من غلظ القول، ما ينزل به ربما من هجر بعضهم، مع أن كل شيء ينزل على الوجه الشرعي. أفاده الحافظ في الفتح

قال رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ: فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ، وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاضِي

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

٥٦ - (٢٧٧٠) حَدَّثَنَا جَبَّارُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ الْأَيْلِيُّ، (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ وَالسِّيَاقُ حَدِيثُ مَعْمَرٍ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ وَابْنِ رَافِعٍ قَالَ يُونُسُ وَمَعْمَرٌ جَمِيعًا عَنْ الزُّهْرِيِّ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، فَبَرَّاهَا اللَّهُ مِمَّا قَالُوا، وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةٌ مِنْ حَدِيثِهَا وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ، وَأَثَبَتْ اقْتِصَاصًا، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي، وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا.

ذَكَرُوا: أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأُفْرِغَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا، حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوِهِ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ أَذِنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَكُنْتُ حِينَ أَذْنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرَحِلُونَ لِي، فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ.

قَالَتْ: وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُهَبَّلْنَ، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهُودَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَحِثُّ مَنَازِلِهِمْ، وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَنِي عَيْنِي فَنِمْتُ.

وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادْلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَيْتِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَاِنْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ، بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ.

فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيئُنِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فَيَسَلُّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تَيْكُم؟» فَذَلِكَ يَرِيْبُنِي، وَلَا أَشْعُرُ بِالْشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَفَقْتُ وَخَرَجْتُ مَعِي أُمُّ مِسْطَحَ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ، وَهُوَ مُتَبَرِّزُنَا، وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ قَرِيبًا مِنْ بَيْوتِنَا، وَأَمَرْنَا أُمَّ الْعَرَبِ الْأُولَى فِي السَّنَةِ، وَكُنَّا نَتَأَدَّى بِالْكُنْفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بَيْوتِنَا.

فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحَ، وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُحْمَ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرَ بْنِ عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أَثَّانَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُحْمَ قَبْلَ بَيْتِي حِينَ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرْتُ أُمُّ مِسْطَحَ فِي مَرِطِهَا فَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحُ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتَ، أَتُسَيِّبُ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؟ قَالَتْ: أَيْ هَتَاهُ أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَاذَا قَالَ؟ قَالَتْ: فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِلْفِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي.

فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تَيْكُم؟» قُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيْقَنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَحِثُّتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بَنِيَّةُ هَوْنِي عَلَيْكَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ وَضِئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرِقُّ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي.

وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلَبْتُ الْوَحْيَ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسَأَلَ الْجَارِيَةَ تَصُدُّكَ قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ

فَقَالَ: «أَيُّ بَرِيرَةٍ، هَلْ رَأَيْتَ مِنْ شَيْءٍ يَرِيكَ مِنْ عَائِشَةَ؟» قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمَصْهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنَّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ.

قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْتَعْدَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي إِبْنِ سُلُوكٍ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي».

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرْبَنَا عَنْقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنْ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ، لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ، لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّكَ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ.

قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بَنُومٌ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بَنُومٌ، وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي، فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنْتُ عَلَيَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيَّ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ: يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً فَسَيِّرْكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَيِّي: أَحِبُّ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنَّ لَا أَفْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا، حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نَفُوسِكُمْ وَصَدَقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونِي، وَإِنِّي وَاللَّهُ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ:

﴿فَصَبَّرَ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [سورة يوسف: ١٨].

قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي قَالَتْ: وَأَنَا وَاللَّهُ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِرَءَاتِي، وَلَكِنْ وَاللَّهُ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ ﷻ فِيَّ بِأَمْرِ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا.

قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَزَّوَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ؛ مِنْ ثَقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ.

قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكَ»، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَءَاتِي قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ [سورة النور: ١١] عَشْرَ آيَاتٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَزَّوَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَءَاتِي.

قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقَرِهِ: وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى﴾ [سورة النور: ٢٢] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [سورة النور: ٢٢].

قَالَ جَبَّانُ بْنُ مُوسَى، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ إِنِّي لَا حُبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَمْرِي: «**مَا عَلِمْتَ؟**» أَوْ «**مَا رَأَيْتِ؟**» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِنِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ، وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَهَذَا مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ ^(١). وَقَالَ فِي حَدِيثِ يُونُسَ: احْتَمَلْتُهُ الْحَمِيَّةَ.

٥٧ - (٢٧٧٠) وَحَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ، حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ، (ح) وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ كِلَاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ وَمَعْمَرٍ بِإِسْنَادِهِمَا، وَفِي حَدِيثِ فُلَيْحٍ: اجْتَهَلْتُهُ الْحَمِيَّةَ، كَمَا قَالَ مَعْمَرٌ وَفِي حَدِيثِ صَالِحٍ احْتَمَلْتُهُ الْحَمِيَّةَ كَقَوْلِ يُونُسَ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ صَالِحٍ قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَنًا وَتَقُولُ: فَإِنَّهُ قَالَ:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرَضِي *** لِعَرَضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءَ

(١) وأخرجه البخاري، حديث رقم: (٤١٤١).

وَزَادَ أَيْضًا قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ عَنْ كَتَفِ أُثْنَى قَطُّ، قَالَتْ: ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ شَهِيدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَفِي حَدِيثٍ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: مُوَعِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: مُوَعِرِينَ قَالَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ: قُلْتُ لِعَبْدِ الرَّزَّاقِ: مَا قَوْلُهُ مُوَعِرِينَ؟ قَالَ: الْوَعْرَةُ شِدَّةُ الْحَرِّ.

٥٨ - (٢٧٧٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا ذُكِرَ مِنْ شَأْنِي الَّذِي ذُكِرَ، وَمَا عَلِمْتُ بِهِ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا، فَتَشَهَّدَ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ: أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أَنْاسِ أَبْنَاءِ أَهْلِي، وَإِنَّمِ اللَّهُ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَأَبْنَاهُمْ بِمَنْ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَلَا دَخَلَ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا وَأَنَا حَاضِرٌ، وَلَا غِبْتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا غَابَ مَعِيَ».

وَسَاقَ الْحَدِيثِ بِقِصَّتِهِ، وَفِيهِ: وَلَقَدْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتِي، فَسَأَلَ جَارِيتِي فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا عَيْبًا إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ تَرْقُدُ حَتَّى تَدْخُلَ الشَّاةُ، فَتَأْكُلُ عَجِينَهَا أَوْ قَالَتْ: خَمِيرَهَا (شَكَّ هِشَامٌ) فَانْتَهَرَهَا بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اصْطَدَّقَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَسْقَطُوا لَهَا بِهِ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا يَعْلَمُ الصَّائِغُ عَلَى تَبْرِ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ.

وَقَدْ بَلَغَ الْأَمْرُ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا كَشَفْتُ عَنْ كَتَفِ أُثْنَى قَطُّ، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَقُتِلَ شَهِيدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَفِيهِ أَيْضًا مِنَ الزِّيَادَةِ: وَكَانَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِهِ مِسْطَحٌ وَحَمْنَةُ وَحَسَّانُ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فَهُوَ الَّذِي كَانَ يَسْتَوْشِيهِ وَيَجْمَعُهُ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ وَحَمْنَةُ.

(أَذْنُوا بِالرَّحِيلِ) أعلموا بالرحيل.

(فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ) أي لقضاء حاجتها.

(مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ) نوع من الأحجار الكريمة، ظفار: منطقة في اليمن، والجزع: من الأحجار الكريمة.

(لَمْ يَهَبَّلَنْ): لم يلحقهن السمن.

(إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ) يعني الشيء اليسير.

(فَتَيَمَّمْتُ مَنَزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ أُنَا) وهكذا

من ضاع عن رفقته عليه أن يبقى في المكان الذي فارقه فيه.

(فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِحِلَابِي) حياء وحشمة والتزاما بشرع الله **عَزَّجَلَّ**، وهذا من أقوى

الأدلة على وجوب الحجاب وتغطية الوجه.

(وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ) قَالَ عُرْوَةُ: أَخْبَرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاعُ،

وَيُحَدَّثُ بِهِ عِنْدَهُ فَيَقْرَهُ وَيَسْتَمِعُهُ وَيَسْتَوْشِيهِ.

يعني يقول لهم: هاه أيش الخبر؟ أيش قلتم؟ لأنه لو صرح بقذفها جلد لكن لخبثه

كان يستوشي الخبر دون أن يصرح، فيجعل من يصرح ويجلد غيره.

وَقَالَ عُرْوَةُ أَيضًا: لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ إِلَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَمِسْطَحُ بْنُ أَثَّاثَةَ،

وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ فِي نَاسٍ آخَرِينَ لَا عِلْمَ لِي بِهِمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ عَصَبَةٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى،

وَإِنَّ كِبَرَ ذَلِكَ يُقَالُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ

عِنْدَهَا حَسَّانُ، وَتَقُولُ: إِنَّهُ الَّذِي قَالَ:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرَضِي لِعَرَضٍ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءَ

وأيضا لما ذكروا لها قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ١٩] قالت: وأي عذاب أشد من العمى؟ يعني حيث

عمي حسان.

(وَهُوَ يَرِيئِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسْلَمُ، ثُمَّ يَقُولُ: كَيْفَ تَيْكُمُ؟)؛ لأن الإنسان طبيعة إذا في نفسه شيء ما يستطيع أن يظهر ما كان يظهره من قبل.
(وَهُوَ مُتَبَرِّزُنَا) لقضاء الحاجة.

(وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ) هذه الحمامات تسمى الكنف، وأما الحمامات المراد بها بهذا اللفظ فهي البخارية.

(فَعَثَرْتُ أُمَّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا): لباسها.
(فَقَالَتْ: تَعَسَّ مِسْطَحٌ): دعت عليه بالتعاسة.
(فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتَ أَتُسَيِّبَنَّ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؟) وهي أمة، هذا معلوم عند الصحابة أنه لا يسب الصحابي، فهذه أمة دعت عليه ومع ذلك عائشة تنكر عليها، فما بال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا.

(قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَجِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي) العرض عزيز، وفي الحديث: «ذود عن أعراضكم بالمال».
(لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ) ليس مسألة النساء، مسألة العرض.
(وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقْ) أي بريرة.

(فَقَالَ: أَيُّ بَرِيرَةٍ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيئُكَ مِنْ عَائِشَةَ؟) صاحبة الشر تُراب تعلم، أما هذه المرأة بريئة، صاحبة الشر ربما تعرفها في نظراتها، تعرفها في معاملتها تعرفها في كثير من حركاتها، تخرج بغير إذن أو كذا، أمورها تكون على ريبة.
(أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ) يعني أنتقده عليها.

(وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا) وما زال، إلا انه في ذلك اليوم.
(الْبُكَاءُ فَالِقُ كَبْدِي) في مثل هذا الحال حين ينزل بأحد أمر شديد ما تمنعه من البكاء، هو في هم وغم وحالة شديدة، وإنما إذا ناحت النساء في حال الموت ينكر

عليهن النوح، أما البكاء تبكي لا حرج، وهكذا إذا نزلت المصيبة، ومنه إذا ضربت الولد ما يصلح أن تقول له: لا تبك، لا بد أن يبكي، وإلا إذا بقي الإنسان لا يبكي ربما يصاب بحالة نفسية.

(أَمَّا بَعْدُ: يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً فَسَيِّرْكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ) انظروا إلى الكرم، انظروا إلى الشجاعة، انظروا إلى المروءة، بعضهم الآن إذا وقع في نفسه شيء من الشك يقوم عليها بالشدة، وهذا يسألها، ويستفصل منها، ويأمرها إن كانت أَلَمْتَ بشيء بالتوبة، التوبة تهدم ما قبلها.

والذين رَوَوْا هذا الحديث هم الذين رَوَوْا لنا القرآن، فالذين لا يقبلون هذا الحديث يلزمهم رد القرآن؛ لأن الرافضة والقرآنيين ومن إليهم يقولون: نحن نقبل القرآن ولا نقبل السنة، نقول لهم: من الذي نقل القرآن إلينا؟ أليس الصحابة؟ من الذي جمع القرآن؟ أليس أبو بكر الذي تكفرونه؟ من الذي كتبه في الرقاع والجلود والحجارة والخاف؟ أليس عمر الذي تكفرونه؟ من الذي خطه وأرسل به إلى الآفاق؟ أليس عثمان الذي تكفرونه؟

إِذَا كَيْفَ يَقْبَلُونَ الْقُرْآنَ وَتَرُدُّونَ السَّنَةَ؟ إِمَّا أَنْ تَقْبَلُوا الْقُرْآنَ وَالسَّنَةَ وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّ الْقُرْآنَ وَالسَّنَةَ، أَمَا نَحْنُ فَنَقْبَلُ الْقُرْآنَ وَالسَّنَةَ الصَّحِيحَةَ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ نَقَلُوا الْقُرْآنَ هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا السَّنَةَ، وَأَمَّا أَنْتُمْ بَرْدَكُمْ لِلسَّنَةِ فَتَرُدُّونَ الْقُرْآنَ وَالسَّنَةَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم: ٣-٤].

(فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَارْجِعْ إِلَى مِسْطَحِ النَّفَقَةِ الَّذِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ) من تاب تاب الله عليه، وإذا أخطأ الإنسان في حَقِّك بكلمة ثم عرف الخطأ على نفسه التجاوز والصفح، فبعض الناس لو وقع بينه وبين أخيه شيء يقول: لا أنا طبعتي هكذا، أنا طبعتي هكذا، ما أستطيع خلاص، إذا قلبي تعقد من واحد لا يمكن

أن قلبي يعود إليه، أيش من طبيعة هذه؟ طبيعة سيئة، تأتي تصلح بينه وبين أخيه يقول لك: أنا طبيعتي، أنا قلبي، أين الاستسلام للنصوص؟

انظروا إلى أبي بكر، رجل طعن في ابنته العفيفة الطاهرة، وتكلم فيها بأمر عظيم لكن قد أُقيم عليه الحد، وغفر الله له، وتجاوز عنه، وهو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: خلاص ما سأنفق عليه، يعني أكرمه بعد ذلك هذا الجزاء؟ فأنزل الله الآية، فقال: بلى أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وربما زاده فيها، احتساب عظيم.

فإياك أن تكون من الصنف الذي يقول: أنا قلبي ما يسمح، يسمح بالشرع، إذا أساء إليك مسيء واعترف ورجع واعتذر اعف عنه يا أخي، **﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾** [سورة المائدة: ١٣] تجاوز وانس، لا تبقى تعيره ليل نهار بتلك الكلمة.

المهم أن الله **عَزَّ وَجَلَّ** قد صان بيت النبوة، النبي **ﷺ** وأزواجه وبناته من هذا الفعل، ولكن المنافقين لا يعقلون، والله المستعان.

قال النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: قوله: (حدثنا حبان بن موسى) هو بكسر الحاء، وليس له في صحيح مسلم ذكر إلا في هذا الموضع، وقد أكثر عنه البخاري في صحيحه.

قوله: (عن الزهري، قال: حدثني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير، وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة... إلى قوله: وكلهم حدثني طائفة من الحديث، وبعضهم أوعى لحديثها من بعض... إلى قوله: وبعض حديثهم يصدق بعضها)، همذا الذي ذكره الزهري من جمعه الحديث عنهم جائز لا منع منه، ولا كراهة فيه؛ لأنه قد بين أن بعض الحديث عن بعضهم، وبعضه عن بعضهم، وهؤلاء الأربعة أئمة حفاظ ثقات من أجل التابعين، فإذا ترددت اللفظة من هذا الحديث بين كونها عن هذا أو ذاك لم يضرب، وجاز الاحتجاج بها؛ لأنهما ثقتان، وقد اتفق العلماء على أنه لو قال: حدثني زيد أو عمرو وهما ثقتان معروفان بالثقة عند المخاطب جاز الاحتجاج به.

قوله: (وبعضهم أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصا) أي: أحفظ وأحسن إيرادا وسردا للحديث .

قولها: (كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه) هذا دليل لمالك والشافعي وأحمد وجماهير العلماء في العمل بالقرعة في القسم بين الزوجات، وفي العتق والوصايا والقسمة ونحو ذلك، وقد جاءت فيها أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة، قال أبو عبيد: عمل بها ثلاثة من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: يونس، وزكريا، ومحمد ﷺ .

قال ابن المنذر: استعمالها كالإجماع، قال: ولا معنى لقول من ردها، والمشهور عن أبي حنيفة إبطالها، وحكي عنه إجازتها، قال ابن المنذر وغيره: القياس تركها، لكن عملنا بها للأثار .

وفيه القرعة بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن، ولا يجوز أخذ بعضهن بغير قرعة، هذا مذهبنا، وبه قال أبو حنيفة وآخرون، وهو رواية عن مالك، وعنه رواية: أن له السفر بمن شاء منهن بلا قرعة ; لأنها قد تكون أنفع له في طريقه، والأخرى أنفع له في بيته وماله .

قولها: (أذن ليلة بالرحيل) روي بالمد وتخفيف الذال وبالقصر وتشديدها، أي: أعلم .

قولها: (وعقدي من جزع ظفار قد انقطع) أما "العقد" فمعروف نحو القلادة، و"الجزع" - بفتح الجيم وإسكان الزاي - وهو خرز يمانى، وأما "ظفار" فبفتح الظاء المعجمة وكسر الراء وهي مبنية على الكسر، تقول: هذه ظفار، ودخلت ظفار، وإلى ظفار - بكسر الراء بلا تنوين في الأحوال كلها - وهي قرية في اليمن .

قولها: (وأقبل الرهط الذي كانوا يرحلون لي، فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري) هكذا وقع في أكثر النسخ "لي" - باللام - وفي بعض النسخ: "بي" - بالباء

- واللام أجود، و "يرحلون" - بفتح الياء وإسكان الراء وفتح الحاء المخففة - أي: يجعلون الرحل على البعير، وهو معنى قولها: "فرحلوه" - بتخفيف الحاء - و "الرهط" هم جماعة دون عشرة، و "الهودج" - بفتح الهاء - مركب من مراكب النساء. قولها: (وكانت النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقه من الطعام)، فقولها: "يهبلن" ضبطوه على أوجه؛

أشهرها: ضم الياء وفتح الهاء والباء المشددة، أي: يثقلن باللحم والشحم .
والثاني: يهبلن، بفتح الياء والباء وإسكان الهاء بينهما .

والثالث: بفتح الياء وضم الباء الموحدة، ويجوز بضم أوله وإسكان الهاء وكسر الموحدة، قال أهل اللغة: يقال: هبله اللحم وأهبله، إذا أثقله وكثر لحمه وشحمه، وفي رواية البخاري: "لم يثقلن"، وهو بمعناه، وهو أيضا المراد بقولها: "ولم يغشهن اللحم"، و "يأكلن العلقه" - بضم العين - أي: القليل، ويقال لها أيضا: البلغة .
قولها: (فتيممت منزلي) أي: قصدته .

قولها: (وكان صفوان بن المعطل) هو بفتح الطاء بلا خلاف، كذا ضبطه أبو هلال العسكري والقاضي في المشارق وآخرون .

قولها: (عرس من وراء الجيش فأدلج) التعريس: النزول آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة، وقال أبو زيد: هو النزول أي وقت كان، والمشهور الأول .

قولها: (ادلج) بتشديد الدال، وهو سير آخر الليل .

قولها: (فرأى سواد إنسان) أي: شخصه .

قولها: (فاستيقظت باسترجاعه) أي: انتبهت من نومي بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قولها: (خمرت وجهي) أي: غطيته.

قولها: (نزلوا موغرين في نحر الظهيرة) "الموغر" - بالغين المعجمة - النازل في وقت الوجرة - بفتح الواو وإسكان الغين - وهي شدة الحر، كما فسرهما في الكتاب في آخر الحديث، وذكر هناك أن منهم من رواه: "موعرين" - بالعين المهملة - هو ضعيف، و"نحر الظهيرة": وقت القائلة وشدة الحر.

قولها: (وكان الذي تولى كبره) أي: معظمه، وهو بكسر الكاف على القراءة المشهورة، وقرئ في الشواذ بضمها، وهي لغة.

قولها: (وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول) هكذا صوابه "ابن سلول"، برفع "ابن" وكتابته بالألف صفة لعبد الله، وقد سبق بيانه مرات، وتقدم إيضاحه في كتاب الإيمان في حديث المقداد مع نظائره.

قولها: (والناس يفيضون في قول أهل الإفك) أي: يخوضون فيه، و"الإفك" بكسر الهمزة وإسكان الفاء، هذا هو المشهور، وحكى القاضي فتحهما جميعاً، قال: هما لغتان كنجس ونجس، وهو الكذب.

قولها: (هو يريني أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه) "يريني" - بفتح أوله وضمه - يقال: رابه وأرابه؛ إذا أوهمه وشككه، و"اللطف" - بضم اللام وإسكان الطاء، ويقال: بفتحها معا لغتان - وهو: البر والرفق.

قولها: (ثم يقول: كيف تيكم؟) هي: إشارة إلى المؤنثة كـ "ذلكم" في المذكر.

قولها: (خرجت بعدما نقهت) هو بفتح القاف وكسرها؛ لغتان حكاهما الجوهري في الصحاح وغيره، والفتح أشهر، واقتصر عليه جماعة، يقال: نقه ينقه نقوها فهو ناقه، ككلح يكلح كلوحا فهو كالح، ونقه ينقه نقها فهو ناقه، كفرح يفرح فرحا، والجمع: نقه - بضم النون وتشديد القاف - والناقه: هو الذي أفاق من المرض ويبرأ منه، وهو قريب عهد به، لم يتراجع إليه كمال صحته.

قولها: (وخرجت مع أم مسطح قبل المناصع) أما " مسطح " فبكسر الميم، وأما " المناصع " فبفتحتها، وهي مواضع خارج المدينة كانوا يتبرزون فيها .
قولها: (قبل أن نتخذ الكنف) هي جمع كنيف، قال أهل اللغة: الكنيف: الساتر مطلقا .

قولها: (وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه) ضبطوا " الأول " بوجهين:
أحدهما: ضم الهمزة وتخفيف الواو .

والثاني: الأول - بفتح الهمزة وتشديد الواو - وكلاهما صحيح، والتنزه: طلب النزاهة بالخروج إلى الصحراء .

قولها: (وهي بنت أبي رهم، وابنها مسطح بن أثاثة) أما " رهم " فبضم الراء وإسكان الهاء، و " أثاثة " بهمزة مضمومة وطاء مثلثة مكررة، و " مسطح " لقب، واسمه: عامر، وقيل: عوف، كنيته: أبو عباد، وقيل: أبو عبد الله، توفي سنة سبع وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين، واسم أم مسطح: سلمى .

قولها: (فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح) أما " عثرت " فبفتح الثاء، وأما " تعس " فبفتح العين وكسرها ؛ لغتان مشهورتان، واقتصر الجوهري على الفتح، والقاضي على الكسر، ورجح بعضهم الكسر، وبعضهم الفتح، ومعناه: عثر، وقيل: هلك، وقيل: لزمه الشر، وقيل: بعد، وقيل: سقط بوجهه خاصة، وأما " المرط " فبكسر الميم، وهو: كساء من صوف، وقد يكون من غيره .

قولها: (أي هنتاه) هي بإسكان النون وفتحها، الإسكان أشهر، قال صاحب نهاية الغريب: وتضم الهاء الأخيرة وتسكن، ويقال في الثنية: هنتان، وفي الجمع: هنات وهنوات، وفي المذكر: هن وهنان وهنون، ولك أن تلحقها الهاء ؛ لبيان الحركة، فتقول: يا هنه، وأن تشبع حركة النون فتصير ألفا، فتقول: يا هناه، ولك ضم الهاء، فتقول: يا هناه أقبل، قالوا: وهذه اللفظة تختص بالنداء، ومعناه: يا هذه، وقيل: يا امرأة، وقيل: يا

بلهاء، كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشروورهم، ومن المذكور حديث الصبي بن معبد، قلت: يا هناء، إني حريص على الجهاد . والله أعلم .

قولها: (قلما كانت امرأة وضیئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها) "الوضیئة" - مهموزة ممدودة - هي الجميلة الحسنة، والوضاءة: الحسن، ووقع في رواية ابن ماهان: "حظية"؛ من الحظوة وهي الوجاهة، وارتفاع المنزلة، و"الضراير": جمع ضرة، وزوجات الرجل ضراير؛ لأن كل واحدة تتضرر بالأخرى بالغيرة والقسم وغيره، والاسم منه الضر - بكسر الصاد - وحكي ضمها، وقولها: "إلا كثرن عليها"، هو بالثاء المثلثة المشددة، أي: أكثرن القول في عيبها ونقصها .

قولها: (لا يرقأ لي دمع) هو بالهمزة، أي: لا ينقطع .

قولها: (ولا أكتحل بنوم) أي: لا أنام .

قولها: (استلبث الوحي) أي: أبطأ ولبث ولم ينزل .

قولها: (وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير) هذا الذي قاله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الصواب في حقه؛ لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي ﷺ في اعتقاده، ولم يكن ذلك في نفس الأمر؛ لأنه رأى انزعاج النبي ﷺ بهذا الأمر وتقلقه، فأراد راحة خاطره، وكان ذلك أهم من غيره .

قولها: (والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله) فقولها: "أغمصه" - بفتح الهمزة وكسر الميم وبالصاد المهملة - أي: أعيبتها، والداجن: الشاة التي تألف البيت ولا تخرج للمرعى، ومعنى هذا الكلام: أنه ليس فيها شيء مما تسألون عنه أصلا، ولا فيها شيء من غيره إلا نومها عن العجين .

قولها: (فقام رسول الله ﷺ على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول) أما "أبي" منون، و"ابن سلول" بالألف، وسبق بيانه، وأما "استعذر" فمعناه: أنه قال

من يعذرني فيمن آذاني في أهلي، كما بينه في هذا الحديث، ومعنى: "من يعذرني": من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعالة، ولا يلومني، وقيل: معناه: من ينصرتني، والعذير: الناصر.

قولها: (فقام سعد بن معاذ فقال: أنا أعذرک منه) قال القاضي: هذا مشكل لم يتكلم فيه أحد، وهو قولها: "فقام سعد بن معاذ فقال: أنا أعذرک منه"، وكانت هذه القصة في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق سنة ست فيما ذكره ابن إسحاق، ومعلوم أن سعد بن معاذ مات في إثر غزاة الخندق من الرمية التي أصابته، وذلك سنة أربع بإجماع أصحاب السير، إلا شيئاً قاله الواقدي وحده، قال القاضي: قال بعض شيوخنا: ذكر سعد بن معاذ في هذا وهم، والأشبه أنه غيره، ولهذا لم يذكره ابن إسحاق في السير، وإنما قال: إن المتكلم أولاً وآخره أسيد بن حضير، قال القاضي: وقد ذكر موسى بن عقبة أن غزوة المريسيع كانت سنة أربع، وهي سنة الخندق، وقد ذكر البخاري اختلاف ابن إسحاق وابن عقبة، قال القاضي: فيحتمل أن غزاة المريسيع وحديث الإفك كانا في سنة أربع قبل قصة الخندق، قال القاضي: وقد ذكر الطبري عن الواقدي أن المريسيع كانت سنة خمس، قال: وكانت الخندق وقريظة بعدها، وذكر القاضي إسماعيل الخلاف في ذلك، وقال: الأولى أن يكون المريسيع قبل الخندق. قال القاضي: وهذا لذكر سعد في قصة الإفك وكانت في المريسيع، فعلى هذا يستقيم فيه ذكر سعد بن معاذ، وهو الذي في الصحيحين، وقول غير ابن إسحاق في غير وقت المريسيع أصح، هذا كلام القاضي، وهو صحيح.

قولها: (ولكن اجتهدته الحمية) هكذا هو هنا لمعظم رواة صحيح مسلم: "اجتهدته" - بالجيم والهاء - أي: استخفته وأغضبته وحملته على الجهل، وفي رواية ابن ماهان هنا: "احتملته" - بالحاء والميم - وكذا رواه مسلم بعد هذا من رواية يونس وصالح، وكذا رواه البخاري، ومعناه: أغضبته، فالروايتان صحيحتان.

قولها: (فثار الحيان الأوس والخزرج) أي: تناهضوا للنزاع والعصية، كما قالت: "حتى هموا أن يقتتلوا".

قوله ﷺ: (وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله) معناه: إن كنت فعلت ذنبا وليس ذلك لك بعادة، وهذا أصل اللمم.

قولها: (قلص دمعي) هو بفتح القاف واللام، أي: ارتفع لاستعظام ما يعينني من الكلام.

قولها لأبويها: (أجيبا عني) فيه تفويض الكلام إلى الكبار؛ لأنهم أعرف بمقاصده واللائق بالمواطن منه، وأبواها يعرفان حالها، وأما قول أبويها: (لا ندري ما نقول) فمعناه: أن الأمر الذي سألها عنه لا يقفان منه على زائد على ما عند رسول الله ﷺ قبل نزول الوحي من حسن الظن بها، والسرائر إلى الله تعالى.

قولها: (ما رام رسول الله ﷺ مجلسه) أي: ما فارقه.

قولها: (فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء) هي بضم الموحدة وفتح الراء وبالحاء المهملة والمد، وهي: الشدة.

قولها: (حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق) معنى "ليتحدر": لينصب، و"الجمان" - بضم الجيم وتخفيف الميم - وهو الدر، شبهت قطرات عرقه ﷺ بحبات اللؤلؤ في الصفاء والحسن.

قولها: (فلما سري عن رسول الله ﷺ) أي: كشف وأزيل.

قولها: (فقلت لي أُمي: قومي، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله؛ هو الذي أنزل براءتي) معناه: قالت لها أمها: قومي فاحمديه، وقبلني رأسه، واشكركه لنعمة الله تعالى التي بشرك، فقالت عائشة ما قالت إدلا لا عليه وعتبا؛ لكونهم شكوا في حالها،

مع علمهم بحسن طرائقها، وجميل أحوالها، وارتفاعها عن هذا الباطل الذي افتراه قوم ظالمون، ولا حجة له ولا شبهة فيه، قالت: وإنما أحمد ربي سبحانه وتعالى الذي أنزل براءتي، وأنعم علي بما لم أكن أتوقعه، كما قالت: ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله تعالى في بأمر يتلى .

قوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ أي: لا يحلفوا، والألية: اليمين، وسبق بيانها.

قولها: (أحمي سمعي وبصري) أي: أصون سمعي وبصري من أن أقول: سمعت، ولم أسمع، وأبصرت، ولم أبصر .

قولها: (وهي التي كانت تساميني) أي: تفاخرنى وتضاهينى بجمالها ومكانها عند النبي ﷺ، وهي مفاعلة من السمو وهو الارتفاع .

قولها: (وظفقت أختها حمنة تحارب لها) أي: جعلت تتعصب لها، فتحكي ما يقوله أهل الإفك، و " طفق الرجل " - بكسر الفاء على المشهور - وحكي فتحها، وسبق بيانه .

قوله: (ما كشفت عن كنف أنثى قط) " الكنف " : هنا - بفتح الكاف والنون - أي: ثوبها الذي يسترها، وهو كناية عن عدم جماع النساء جميعهن ومخالطتهن .

قوله: (وفي حديث يعقوب: موعرين) يعني: بالعين المهملة، وسبق بيانه، وقوله في تفسير عبد الرزاق: " الوغرة: شدة الحر " هي بإسكان الغين، وسبق بيانه .

قوله ﷺ: (أشيروا علي في أناس أبناوا أهلي) هو بباء موحدة مفتوحة مخففة ومشددة، روه هنا بالوجهين، التخفيف أشهر، ومعناه: اهتموها، والأبن - بفتح الهمزة - يقال: أبنة ويأبنه - بضم الباء وكسرها - : إذا اهتمه ورماه بخلة سوء، فهو مأبون، قالوا: وهو مشتق من الأبن - بضم الهمزة وفتح الباء - وهي: العقد في القسي تفسدها وتعاوب بها .

قوله: (حتى أسقطوا لها به، فقالت: سبحان الله) هكذا هو في جميع نسخ بلادنا: "أسقطوا لها به) بالباء التي هي حرف الجر، وبهاء ضمير المذكر، وكذا نقله القاضي عن رواية الجلودي، قال: وفي رواية ابن ماهان: "لهاها" - بالتاء المثناة فوق - قال الجمهور: هذا غلط وتصحيف، والصواب الأول، ومعناه: صرحوا لها بالأمر، ولهذا قالت: سبحان الله؛ استعظاما لذلك، وقيل: أتوا بسقط من القول في سؤالها وانتهازها، يقال: أسقط وسقط في كلامه؛ إذا أتى فيه بساقط، وقيل: إذا أخطأ فيه، وعلى رواية ابن ماهان - إن صحت - معناها: أسكتوها، وهذا ضعيف؛ لأنها لم تسكت بل قالت: "سبحان الله، والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب"، وهي القطعة الخالصة.

قولها: (وأما المنافق عبد الله بن أبي فهو الذي كان يستوشيه) أي: يستخرجه بالبحث والمسألة، ثم يفشيه ويشيعه ويحركه، ولا ندعه يحمد، والله أعلم.

واعلم أن في حديث الإفك فوائد كثيرة:

إحداها: جواز رواية الحديث الواحد عن جماعة، عن كل واحد قطعة مبهمة منه، وهذا وإن كان فعل الزهري وحده فقد أجمع المسلمون على قبوله منه والاحتجاج به. الثانية: صحة القرعة بين النساء وفي العتق وغيره مما ذكرناه في أول الحديث مع خلاف العلماء.

الثالثة: وجوب الإقراع بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن.

الرابعة: أنه لا يجب قضاء مدة السفر للنسوة المقيمات، وهذا مجمع عليه إذا كان السفر طويلا، وحكم القصير حكم الطويل على المذهب الصحيح، وخالف فيه بعض أصحابنا.

الخامسة: جواز سفر الرجل بزوجه.

السادسة: جواز غزوهم.

- السابعة: جواز ركوب النساء في الهودج .
- الثامنة: جواز خدمة الرجال لهن في تلك الأسفار .
- التاسعة: أن ارتحال العسكر يتوقف على أمر الأمير .
- العاشرة: جواز خروج المرأة لحاجة الإنسان بغير إذن الزوج، وهذا من الأمور المستثناة .
- الحادية عشرة: جواز لبس النساء القلائد في السفر كالحضر .
- الثانية عشرة: أن من يركب المرأة على البعير وغيره لا يكلمها إذا لم يكن محرماً إلا لحاجة ؛ لأنهم حملوا الهودج ولم يكلموا من يظنونها فيه .
- الثالثة عشرة: فضيلة الاقتصار في الأكل للنساء وغيرهن، وألا يكثر منه بحيث يهبله اللحم ؛ لأن هذا كان حالهن في زمن النبي ﷺ، وما كان في زمانه ﷺ فهو الكامل الفاضل المختار .
- الرابعة عشرة: جواز تأخر بعض الجيش ساعة ونحوها لحاجة تعرض له عن الجيش إذا لم يكن ضرورة إلى الاجتماع .
- الخامسة عشرة: إعانة الملهوف، وعون المنقطع، وإنقاذ الضائع، وإكرام ذوي الأقدار، كما فعل صفوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا كله .
- السادسة عشرة: حسن الأدب مع الأجنيات لا سيما في الخلوة بهن عند الضرورة في برية أو غيرها، كما فعل صفوان من إبرائه الجمل من غير كلام ولا سؤال، وإنه ينبغي أن يمشي قدامها لا بجانبها ولا وراءها .
- السابعة عشرة: استحباب الإيثار بالركوب ونحوه كما فعل صفوان .
- الثامنة عشرة: استحباب الاسترجاع عند المصائب، سواء كانت في الدين أو الدنيا، وسواء كانت في نفسه أو من يعز عليه .
- التاسعة عشرة: تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي، سواء كان صالحاً أو غيره .

العشرون: جواز الحلف من غير استحلاف .

الحادية والعشرون: أنه يستحب أن يستر عن الإنسان ما يقال فيه إذا لم يكن في ذكره فائدة، كما كتموا عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هذا الأمر شهراً، ولم تسمع بعد ذلك إلا بعارض عرض، وهو قول أم مسطح: " تعس مسطح " .

الثانية والعشرون: استحباب ملاطفة الرجل زوجته، وحسن المعاشرة .

الثالثة والعشرون: أنه إذا عرض عارض بأن سمع عنها شيئاً أو نحو ذلك يقلل من اللطف ونحوه ؛ لتفطن هي أن ذلك لعارض، فتسأل عن سببه فتزيله .

الرابعة والعشرون: استحباب السؤال عن المريض .

الخامسة والعشرون: أنه يستحب للمرأة إذا أرادت الخروج لحاجة أن تكون معها رفيقة تستأنس بها، ولا يتعرض لها أحد .

السادسة والعشرون: كراهة الإنسان صاحبه وقريبه إذا آذى أهل الفضل أو فعل غير ذلك من القبائح، كما فعلت أم مسطح في دعائها عليه .

السابعة والعشرون: فضيلة أهل بدر، والذب عنهم، كما فعلت عائشة في ذهابها عن مسطح .

الثامنة والعشرون: أن الزوجة لا تذهب إلى بيت أبويها إلا بإذن زوجها .

التاسعة والعشرون: جواز التعجب بلفظ التسبيح، وقد تكرر في هذا الحديث وغيره .

الثلاثون: استحباب مشاورة الرجل بطانته وأهله وأصدقائه فيما ينوبه من الأمور .

الحادية والثلاثون: جواز البحث والسؤال عن الأمور المسموعة عمن له به تعلق،

أما غيره فهو منهى عنه، وهو تجسس وفضول .

الثانية والثلاثون: خطبة الإمام الناس عند نزول أمر مهم .

الثالثة والثلاثون: اشتكاه ولي الأمر إلى المسلمين من تعرض له بأذى في نفسه أو أهله أو غيره، واعتذاره فيما يريد أن يؤذيه به .

الرابعة والثلاثون: فضائل ظاهرة لصفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشهادة النبي ﷺ له بما شهد، وبفعله الجميل في إركاب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحسن أدبه في جملة القضية .

الخامسة والثلاثون: فضيلة لسعد بن معاذ وأسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

السادسة والثلاثون: المبادرة إلى قطع الفتن والخصومات والمنازعات، وتسكين الغضب .

السابعة والثلاثون: قبول التوبة والحث عليها .

الثامنة والثلاثون: تفويض الكلام إلى الكبار دون الصغار ؛ لأنهم أعرف .

التاسعة والثلاثون: جواز الاستشهاد بآيات القرآن العزيز، ولا خلاف أنه جائز .

الأربعون: استحباب المبادرة بتبشير من تجددت له نعمة ظاهرة، أو اندفعت عنه بلية ظاهرة .

الحادية والأربعون: براءة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الإفك، وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز، فلو تشكك فيها إنسان - والعياذ بالله - صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين، قال ابن عباس وغيره: لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا إكرام من الله تعالى لهم .

الثانية والأربعون: تجدد شكر الله تعالى عند تجدد النعم .

الثالثة والأربعون: فضائل لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ الآية .

الرابعة والأربعون: استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين .

الخامسة والأربعون: العفو والصفح عن المسيء .

السادسة والأربعون: استحباب الصدقة والإنفاق في سبيل الخيرات .

السابعة والأربعون: أنه يستحب لمن حلف على يمين ورأى خيرا منها أن يأتي الذي هو خير، ويكفر عن يمينه .

الثامنة والأربعون: فضيلة زينب أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

التاسعة والأربعون: التثبيت في الشهادة .

الخمسون: إكرام المحبوب بمراعاة أصحابه، ومن خدمه أو أطاعه، كما فعلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بمراعاة حسان وإكرامه إكراما للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الحادية والخمسون: أن الخطبة تبتدأ بحمد الله تعالى، والثناء عليه بما هو أهله .

الثانية والخمسون: أنه يستحب في الخطب أن يقول بعد الحمد والثناء والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والشهادتين: أما بعد، وقد كثرت فيه الأحاديث الصحيحة .

الثالثة والخمسون: غضب المسلمين عند انتهاك حرمة أميرهم، واهتمامهم بدفع ذلك .

الرابعة والخمسون: جواز سب المتعصب لمبطل كما سب أسيد بن حضير سعد بن عبادة لتعصبه للمنافق، وقال: " إنك منافق تجادل عن المنافقين "، وأراد: أنك تفعل فعل المنافقين، ولم يرد النفاق الحقيقي . من شرح النووي قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ بَرَاءَةِ حَرَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرِّبَةِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٩ - (٢٧٧١) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَتَّهَمُ بِأَمٍّ وَلَدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ: «اذْهَبْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ»، فَأَتَاهُ عَلِيٌّ فَإِذَا هُوَ فِي رَكِيٍّ يَتَبَرَّدُ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ:

اُخْرِجْ، فَنَاولَهُ يَدَهُ فَأَخْرَجَهُ، فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ، فَكَفَّ عَلَيَّ عَنْهُ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَمَجْبُوبٌ مَا لَهُ ذِكْرٌ.

قال السندي في حاشيته على مسند أحمد (١٣٩٨٩): قوله (أن رجلا كان يتهم بامرأة فبعث النبي - ﷺ - عليا ليقتله) لعل عليا كان من شك من هذا الأمر، فبعثه ليظهر له حقيقة الأمر وكذب مقالة الناس، وكان الأمر معلوما عنده - ﷺ - وكان عالما بالوحي أنه لا يقع القتل، بل ينكشف الحقيقة، ويندفع التهمة، وإلا فلا شك أنه لا يجوز القتل بمجرد الاتهام بلا تحقيق الأمر، والله تعالى أعلم.

انتهيت من كتاب التوبة في الثاني من ذي القعدة لعام خمسة وأربعين وأربعمائة وألف.



الفهرس

الإعجاز

شرح

صحيح مسلم بن الحجاج



الفهرس

كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْآدَابِ ٥

كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْآدَابِ ٧

بَابُ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَأَتَّهَمَا أَحَقُّ بِهِ ٧

بَابُ تَقْدِيمِ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى التَّطَوُّعِ بِالصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا ١١

بَابُ: «زَعَمَ أَنْفٌ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ» ١٩

بَابُ صَلَةِ أَصْدِقَاءِ الْأَبِ وَالْأُمِّ وَنَحْوِهِمَا ٢١

بَابُ تَفْسِيرِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ ٢٣

بَابُ صَلَةِ الرَّجَمِ، وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا ٢٥

بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّدَابُرِ ٣١

بَابُ تَحْرِيمِ الْهَجْرِ فَوْقَ ثَلَاثٍ بِلاَ عُدْرٍ شَرْعِيٍّ ٣٣

بَابُ تَحْرِيمِ الظَّنِّ وَالتَّجَسُّسِ وَالتَّنَافُسِ وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا ٣٤

بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ، وَدَمِهِ، وَعَرْضِهِ، وَمَالِهِ ٣٧

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الشَّحْنَاءِ، وَالتَّهْجُرِ ٤٠

بَابُ: فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ ٤٢

بَابُ فَضْلِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ ٤٥

بَابُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيَمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ أَوْ حُزْنٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكِمَهَا ٤٨

بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ ٥٧



- ٧٠ بَابُ نَصْرِ الْأَخِ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا
- ٧٣ بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاظُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ
- ٧٥ بَابُ النَّهْيِ عَنِ السَّبَابِ
- ٧٧ بَابُ اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُّعِ
- ٧٨ بَابُ تَحْرِيمِ الْغَيْبَةِ
- ٨٢ بَابُ بَشَارَةِ مَنْ سَتَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَيْبَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَنْ يَسْتُرَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ
- ٨٣ بَابُ مُدَارَاةِ مَنْ يُتَّقَى فُحْشُهُ
- ٨٥ بَابُ فَضْلِ الرَّفْقِ
- ٩١ بَابُ النَّهْيِ عَنِ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا
- بَابُ: مَنْ لَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ سَبَّهُ أَوْ دَعَا عَلَيْهِ، وَلَيْسَ هُوَ أَهْلًا لِذَلِكَ كَانَ لَهُ زَكَاةٌ وَأَجْرًا وَرَحْمَةً ٩٦
- ١٠٤ بَابُ ذَمِّ ذِي الْوَجْبَيْنِ، وَتَحْرِيمِ فِعْلِهِ
- ١٠٦ بَابُ تَحْرِيمِ الْكُذْبِ وَبَيَانِ الْمُبَاحِ مِنْهُ
- ١١٠ بَابُ تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ
- ١١١ بَابُ قُبْحِ الْكُذْبِ وَحُسْنِ الصِّدْقِ وَفَضْلِهِ
- ١١٤ بَابُ فَضْلِ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَبَيِّئِ شَيْءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ
- ١١٩ بَابُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ
- ١٢١ بَابُ النَّهْيِ عَنِ ضَرْبِ الْوَجْهِ

- بَابُ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ لِمَنْ عَذَّبَ النَّاسَ بِغَيْرِ حَقٍّ ١٢٤
- بَابُ أَمْرِ مَنْ مَرَبِّسَاحٍ فِي مَسْجِدٍ أَوْ سُوقٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنَ الْمَوَاضِعِ الْجَامِعَةِ لِلنَّاسِ أَنْ
يُمْسِكَ بِنِصَالِهَا ١٢٥
- بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالسِّلَاحِ إِلَى مُسْلِمٍ ١٢٨
- بَابُ فَضْلِ إِزَالَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ١٢٩
- بَابُ تَحْرِيمِ تَعْذِيبِ الْهَرَّةِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْحَيَوَانِ الَّذِي لَا يُؤْذِي ١٣٣
- بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ ١٣٥
- بَابُ النَّهْيِ عَنِ تَقْنِيطِ الْإِنْسَانِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ١٣٧
- بَابُ فَضْلِ الضُّعْفَاءِ وَالْخَامِلِينَ ١٣٨
- بَابُ النَّهْيِ عَنِ قَوْلِ هَلْكَ النَّاسُ ١٣٩
- بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ١٤١
- بَابُ اسْتِحْبَابِ طَلَاقِ الْوَجْهِ عِنْدَ الْإِقَاءِ ١٤٤
- بَابُ اسْتِحْبَابِ الشَّفَاعَةِ فِيمَا لَيْسَ بِحَرَامٍ ١٤٥
- بَابُ اسْتِحْبَابِ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ، وَمُجَانَبَةِ قُرْنَاءِ السُّوءِ ١٤٦
- بَابُ فَضْلِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْبَنَاتِ ١٤٩
- بَابُ فَضْلِ مَنْ يَمُوتُ لَهُ وَلَدٌ فَيَحْتَسِبُهُ ١٥٢
- بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَبَبَهُ لِعِبَادِهِ ١٥٨
- بَابُ: الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ١٦٠
- بَابُ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ١٦١

بَابُ إِذَا أَتَيْ عَلَى الصَّالِحِ فِي بَشْرَى وَلَا تَضُرُّهُ ١٦٦

كِتَابُ الْقَدَرِ ١٦٩

كتاب القدر ١٧٢

بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ

..... ١٧٤

بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٩٧

بَابُ تَصْرِيفِ اللَّهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ ٢٠٣

بَابُ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ ٢٠٥

بَابُ: قُدِّرَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزَّيْنَةِ وَغَيْرِهَا ٢٠٧

بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ

..... ٢١٠

بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْأَجَالَ وَالْأَرْزَاقَ وَغَيْرَهَا لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ عَمَّا سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ ... ٢١٨

بَابُ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ، وَتَرْكِ الْعَجْزِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ ... ٢٢١

كِتَابُ الْعِلْمِ ٢٢٥

كِتَابُ الْعِلْمِ ٢٢٧

بَابُ النَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مُتَّبِعِيهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْاِخْتِلَافِ فِي

الْقُرْآنِ ٢٣٢

بَابُ فِي الْأَلَدِ الْخَصِمِ ٢٤٠

بَابُ اتِّبَاعِ سَنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ٢٤٢

بَابُ: هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ ٢٤٣

بَابُ رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ، وَظُهُورِ الْجَهْلِ، وَالْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ٢٤٥

بَابُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً، وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ ٢٥٦

كِتَابُ الذِّكْرِ، وَالِدُّعَاءِ، وَالتَّوْبَةِ، وَالِاسْتِغْفَارِ ٢٦١

كِتَابُ الذِّكْرِ، وَالِدُّعَاءِ، وَالتَّوْبَةِ، وَالِاسْتِغْفَارِ ٢٦٣

بَابُ الْحَثِّ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ٢٦٦

بَابُ: فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفَضْلِ مَنْ أَحْصَاهَا ٢٧٠

بَابُ الْعَزْمِ بِالِدُّعَاءِ، وَلَا يَقُلْ: إِنْ شِئْتُ ٢٧٤

بَابُ كِرَاهَةِ تَمَيُّي الْمَوْتِ لِضُرِّ نَزَلٍ بِهِ ٢٧٥

بَابُ: مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ٢٧٨

بَابُ فَضْلِ الذِّكْرِ، وَالِدُّعَاءِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ٢٨٢

بَابُ كِرَاهَةِ الدُّعَاءِ بِتَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا ٢٨٦

بَابُ فَضْلِ مَجَالِسِ الذِّكْرِ ٢٨٩

بَابُ فَضْلِ الدُّعَاءِ بِاللَّهِمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ٢٩٦

بَابُ فَضْلِ التَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَالِدُّعَاءِ ٢٩٧

بَابُ فَضْلِ الْجُمُعَةِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَعَلَى الذِّكْرِ ٣٠٧

بَابُ اسْتِحْبَابِ الْاسْتِغْفَارِ، وَالِاسْتِكْنَارِ مِنْهُ ٣١٦

بَابُ اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ ٣١٩

- بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ، وَغَيْرِهَا ٣٢٤
- بَابُ التَّعَوُّذِ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَغَيْرِهِ ٣٢٥
- بَابُ: فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ ٣٢٨
- بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ، وَأَخَذِ الْمَضْجَعِ ٣٣١
- بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ ٣٤١
- بَابُ التَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَعِنْدَ النَّوْمِ ٣٥٥
- بَابُ اسْتِحْبَابِ الدُّعَاءِ عِنْدَ صِيَاكِ الدِّيَكِ ٣٥٩
- بَابُ دُعَاءِ الْكَرْبِ ٣٦١
- بَابُ فَضْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ٣٦٣
- بَابُ فَضْلِ الدُّعَاءِ لِلْمُسْلِمِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ٣٦٤
- بَابُ اسْتِحْبَابِ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ٣٦٦
- بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ يُسْتَجَابُ لِلدَّاعِي مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي .. ٣٦٧

كِتَابُ الرِّقَاقِ ٣٧١

- كِتَابُ الرِّقَاقِ ٣٧٣
- بَابُ: أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ الْبَغِيَّاءُ، وَبَيَانُ الْفِتْنَةِ بِالنِّسَاءِ ٣٧٣
- بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ، وَالتَّوَسُّلِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ٣٨٣

كِتَابُ التَّوْبَةِ ٣٨٩

- كِتَابُ التَّوْبَةِ ٣٩١

- بَابُ: فِي الْحِصِّ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْفَرَحِ بِهَا ٣٩١
- بَابُ سُقُوطِ الذُّنُوبِ بِالِاسْتِغْفَارِ تَوْبَةً ٤٠١
- بَابُ فَضْلِ دَوَامِ الذِّكْرِ، وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ، وَالْمُرَاقَبَةِ، وَجَوَازِ تَرْكِ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَالِاسْتِغَالِ بِالدُّنْيَا ٤٠٤
- بَابُ: فِي سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ ٤٠٧
- بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ، وَالتَّوْبَةُ ٤١٧
- بَابُ غَيْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ ٤٢٠
- بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ ٤٢٤
- بَابُ قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ، وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ ٤٢٩
- بَابُ حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبِيهِ ٤٣٥
- بَابُ: فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ، وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاذِفِ ٤٥٠
- بَابُ بَرَاءَةِ حَرَمِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الرِّيْبَةِ ٤٧٣
- الفهرس ٤٧٥**
- الفهرس ٤٧٧

